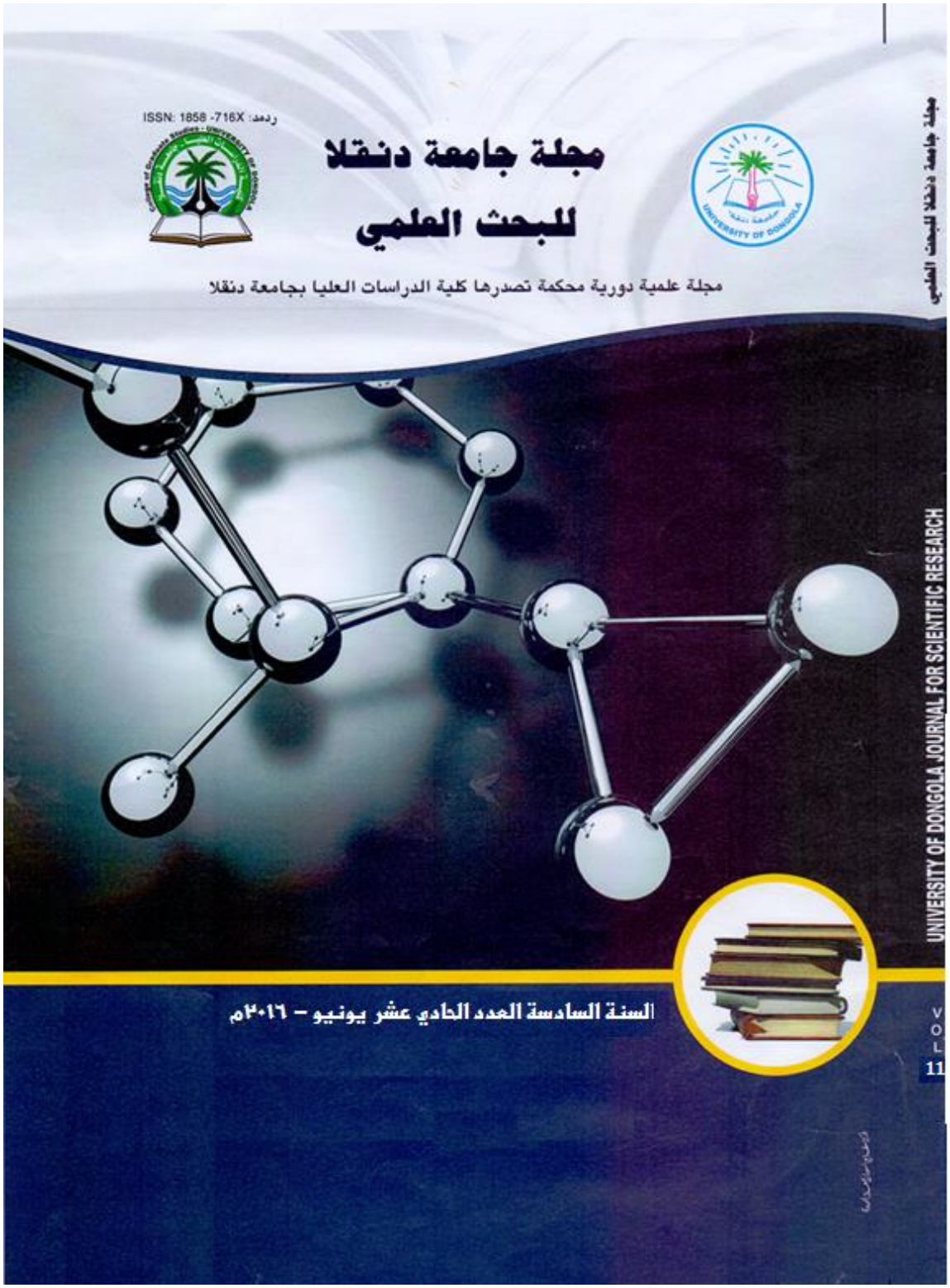
ISSN: 1858 -716X ردمد:
مجلة جامعة دنقلا
للبحث العلمي
مجلة علمية دورية محكمة تصدرها كلية الدراسات العليا بجامعة دنقلا
UNIVERSITY OF DONGOLA JOURNAL FOR SCIENTIFIC RESEARCH
السنة السادسة العدد الحادي عشر يونيو - ٢٠١٦م

مجلة جامعة دنقلا للبحث العلمي

مجلة دورية علمية محكمة

تصدر عن كلية الدراسات العليا – جامعة دنقلا

رئيس مجلس الإدارة

أ.د سعد الدين إبراهيم محمد عزالدين

رئيس هيئة التحرير

د. آمال محمد عز الدين

نائب رئيس هيئة التحرير

أ.عثمان محمد أحمد الأغبش

هيئة التحرير

أ.د. الزهور حسن الماهل

د. عمر بشارة أحمد بشارة

د. عبد الوهاب شمت محمد أحمد

أ. عبد العظيم التجاني آدم

مستشارو التحرير

أ.د حسن علي الساعوري

أ.د محمود حسن أحمد

أ.د محمد عثمان أحمد أبو جارة

أ.د كباشي حسين قسيمة

أ.د سامي محمد طمبل صالح

أ.د عباس سيد أحمد زروق

أ. د. محجوب محمد أدم

مجلة جامعة دنقلا للبحث العلمي

مجلة نصف سنوية علمية محكمة

تصدر عن كلية الدراسات العليا – جامعة دنقلا

دنقلا – السودان

مقدمـة:

مجلة جامعة دنقلا للبحث العلمي مجلة تصدر عن كلية الدراسات العليا بجامعة دنقلا، وهي مجلة نصف سنوية علمية محكمة، تسهم في توسيع دائرة العلم والمعرفة، وذلك من خلال نشر البحوث والأوراق العلمية، التي تتوافر فيها الأصالة والمنهجية والفائدة العلمية ووفق هذه الرؤية ترحب المجلة بإسهامات الأساتذة الباحثين من داخل وخارج الجامعة والتي تتوفر فيها كل أساسيات البحث العلمي، شريطة أن لا تكون الإسهامات قد نشرت من قبل أو تحت إجراء النشر في أي مجلة أخرى.

<u>قواعد النشر:</u>

- **ترحب المجلة بالبحوث في ثلاث نسخ مطبوعة علي وجه واحد على ورق A4 بفراغات مزدوجة وهوامش 2.5 سم، على أن لا يزيد حجم البحث عن أربعين صفحة شاملة الملخصين والموضوع والمراجع والملاحق. ويكون حجم الحرف (14) وترقم الصفحات في الأسفل على الجانب الأيسر بشكل متسلسل.**
- **يجب أن يحتوي البحث على ملخص بحدود (10) أسطر باللغة الأصلية للبحث (عربي، الإنجليزية). بالإضافة إلى ملخصٍ وافٍ باللغة الإنجليزية إذا كان البحث مكتوباً باللغة العربية، وملخصٍ وافٍ باللغة العربية إذا كان البحث مكتوباً باللغة الإنجليزية.**
- **يكتب في بداية البحث: عنوان البحث، واسم الباحث، القسم، الكلية، الجامعة، المدينة، البلد، والكلمات المفتاحية Keywords باللغتين العربية والإنجليزية.**
- **يجب أن تتبع الطريقة العلمية المثلى لعرض البحث أو الورقة من حيث الخلاصة ومناهج ووسائل البحث، وعرض الموضوع وتحليله، والنتائج التي تم التوصل إليها، والتوصيات المقدمة، وقائمة المراجع وفق المنهج المتبع.**
- **يجب أن يراعى ترقيم الجداول والأشكال والرسومات والصور المرسومة بالحبر الأسود, مع الإيضاح المقابل لكلٍ، على أن تكون واضحة عند إعادة إنتاجها.**
- **تخضع البحوث المقدّمة للنشر، للتقويم من قبل مختصين في موضوع البحث.**

- في حالة البحوث والأوراق المستلة، يجب توضيح الدرجة التي منحت للرسالة وزمانها، والجامعة التي قدمت لها، واللجنة التي قومتها.
- بعد التحكيم يطلب من الباحث تسليم البحث في قرص مدمج (CD).
- يحق لهيئة التحرير إجراء التغيرات التي تراها ضرورية لأغراض الصياغة أو تصويب الأخطاء النحوية، أو الترقيم.
- يرجي من الباحثين إرفاق سيرتهم الذاتية.
- يحق لمن ينشر له بحث في المجلة نسختين من العدد المعني.
- المجلة غير ملزمة برد الأوراق التي لم يتم اعتمادها للنشر، وترسل إفادة بعدم النشر للكاتب.
- ترسل الأوراق إلى المجلة على العنوان التالي:

مجلة جامعة دنقلا للبحث العلمي

هيئة التحرير

كلية الدراسات العليا

جامعة دنقلا- ص ب: 47

دنقلا – السودان

تلفون 0241 825947 فاكس 0241 825946

البريد الإلكتروني hstudies.du@gmail.com

موقع المجلة على الإنترنت: http://www.uofd.edu

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله وصحبه أجمعين أما بعد...

أعزائي قراء مجلة كلية الدارسات العليا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لا اجد ما يجيش في خواطر وما اصف به مقدار سعادتي لأضع بين أيدي قراء ومحبي مجلة كلية الدراسات العليا التي تصدرها جامعة دنقلا في عدد الحادي العاشر في ظل الاهتمام الإقليمي والعالمي بعملية النشر المقرئ والمرئي حيث يحاول فريق هيئة التحرير جاهداً أن يلبث المجلة طابع جديد يتوافق مع عصر التقنية والتقدم العلمي لتحقيق أهداف النشر المنهجي من خلال توسيع المنافذ للوصول لأكبر عدد من الباحثين عن المعرفة والنشر وتبادل الآراء والأفكار لما يخدم مصلحة الباحثين وتقويم وتقيم المجلة مع بعض قريناتها في هذا المجال من خلال تقيم الناشر والقارئ لها وهى حتماً تصب في معين واحد إي كانت إيجاباً فهي تسعدنا وتثلج صدورنا فاذا كانت سالباً فالمؤمن مرآة أخيه والكل يعزز مسيرة تجويد عملية النشر.

ختاما نقدم بخالص تحياتنا لكافة الناشرين والقراء وتحية خاصة لأعضاء هيئة التحرير، مستشارو التحرير والشكر والتقدير لكل من ساهم معنا في إصدار هذا العدد ولكل من ممن لم ترى أبحاثهم النور بعد فهم موعودون لرؤيتها في الأعداد القامة.

رئيس هيئة التحرير

الفهرس

الباحث / الباحثون	عنوان البحث	رقم الصفحة
د. سعد بن عبدالعزيز الدُّرَيْهِم	نَظَرَاتٌ بَيَانِيَّةٌ فِي آيَاتِ حَادِثَةِ الإِفْكِ	1
د. أبو القاسم خليفة التهامي	عام الرمادة وأثاره على الوضع الاقتصادي بالحجاز في عصر الخليفة عمر بن الخطاب (18هـ – 639م)	18
د. بشير محمد آدم عبد الله د. عصام إدريس كمتور الحسن	واقع أعداد ونسبة هيئة التدريس لطلاب البكالوريوس بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم في إطار ضبط جودة ونوعية التعليم العالي	30
د. صالح بن أحمد بن سليمان العليوي	الإعجاز القرآني بين الرماني والباقلاني عرض وموازنة	49
د. محمد حسن محمد حسن	أثر الخبرة الطبية في إثبات جرائم الحدود في القانون السوداني	72
د أسامة معاوية بخيت حسين	مصادر الإيرادات الذاتية للولاية الشمالية وأفاق تطورها	84
د. عبد الله عوض الطيب عبد الهادي	الحاكم والمحكوم في السنة النبوية	104
د. عبدالعزيز محمد موسي	العادات الاجتماعية عند القبائل النيلية في دولة جنوب السودان	144
د. شوقي عبد المجيد عبيدي بردويل	الآثار السلبية لتعاطي المخدرات	159
د. الطاهر حاج النور أحمد د. ادم محمد حسن ابكر	ملامح الدلالات التاريخية والثقافية لبعض أسماء المدن والأماكن بالسودان	183
د. محمد إبراهيم محمد عبد الفضيل	أحكام النيابة في العبادات في الفقه الإسلامي	198
Samia Sadig Mohamed Ismail	Staphylococcus Species Isolated from Home Made Icecream (Dandorma) in Shambat–North Khartoum Province	225
Saudi Hassan Salim Izzeldin	The Relationship between Idioms and Culture with Reference to English/Arabic Translation	232
Taha, K. M. ElHussein, A. M. and Abdulla, H. S.	Transmissibility of Theileria lestoquardi between sheep and goats	239
Intisar Mohammed Bakheit and Abdel Gaffar Elhag Said	Effect of Nitrogen Fertilization on Growth and Yield of Banana.	249

نَظَرَاتٌ بَيَانِيَّةٌ فِي آيَاتِ حَادِثَةِ الإِفْكِ

د. سعد بن عبد العزيز الدريهم

الأستاذ المشارك بكلية الملك خالد العسكرية بالحرس الوطني

المستخلص

ما تَجَلَّت سِيرةُ أحدٍ من النَّاس، أو عظيمٍ من العظماء كما تجلَّت سيرةُ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ؛ ولا يستطيع إنسان أن يتهم القرآن بمحاباة محمَّدٍ أو مجاملتِه، بل القرآنُ الكريمُ جعل شخصَ محمدٍ ﷺ في المحلة التي تليقُ به، حيث جلَّى هذا المصدرُ سيرةَ النبيِّ غاية الجَلاء وبيَّن مكامنَها البشريةَ وإشراقَ الجانب النبويِّ فيها؛ حتى لتَحَارُ العقول في دقة البلاغ وروعة التصوير فيها بل تناول فيه أخص خصوصيات الرسول الكريم ﷺ، فحادثة الإفك كان عِظَمِ خطرها على الرسالة وصاحبِ الرسالة؛ لما لها من خُطُوب كادت تعصِفُ بالبيت النبويِّ الكريم، وتَهْدِمُ ركناً شديداً من قوائمه، وهو العفةُ والطهارة؛ لتكون تُكَأَةً لنشر الفاحشة في الذين آمنوا؛ لتجعلَ منه مرتقى لأصحاب النفوس المريضة من المنافقين والكافرين؛ للافتيات على صاحب الرسالة ﷺ، وتلك مرحلة مهمة في أجندة أعداء الله للقضاء على الدين وأهله لو تم لهم ذلك، ولكن الله سلم، فلا ينبغي لمن لبس لَبُوسَ الإيمان أن يخوضَ فيه أو يطرقَ حِمَاه؛ ومن خلال هذا الحدث الأهمِّ في السياق النبوي، حوَّل هذه المسألة من رحبة الفروع إلى مسلمات العقائد التي لا ينبغي الخوضُ فيها، أو ذكرُها إلاَّ على سبيل التبجيل والتقدير لمن كانوا شُخُوصاً لأحداثها.

Abstract

What manifested biography of one of the people, or great of greats, as illustrated biography of Prophet Muhammad peace be upon him, people cannot be accused of favouring the Quran or Compliment Mohammed, but the Quran make Mohammed peace be upon him in suitable situation, and the source expected the biography of the Prophet very well and illustrate his human royalty as well as the Prophetic consideration, to amazes minds in rhetoric and wonderful photography but deal with the peculiarities of the Holy Prophet peace be upon him. The great effect of lie event toward the message and its owner which affects the Prophetic house, and destroys its chastity to spread the obscenity among believers to satisfy the illness souls of hypocrites and unbelievers to defame upon the messenger peace be upon him, and this represent an important stage agenda of the enemies of Allah to eliminate religion and its people if completed, but Got blessings. Its forbidden for those who wear the address of the faith to go deeper in these

problems and through this important event in the context of the Prophet, the researcher convert the problem from the hostility of branches to certainty of creed that never strive on it, or mentioned it as an example of reverence and appreciation for those who were heroes of events.

المُقَدِّمَةُ

الحُكْمُ على أيِّ شيء يكون من خلال تصوره؛ وإنني مهما قلتُ عن حادثة الإفك وعِظَمِ خطرها على الرسالة وصاحبِ الرسالة؛ فلن آتي على بلاغ لها مبين كما لو ذكرتُها وذكرتُ ما أحاط بها من خُطُوب كادت تعصِفُ بالبيت النبويِّ الكريمِ، وتَهْدِمُ ركناً شديداً من قوائمه، وهو العفةُ والطهارة؛ لتكون تُكَأَةً لنشر الفاحشة في الذين آمنوا؛ لتجعلَ منه مرتقى لأصحاب النفوس المريضة من المنافقين والكافرين؛ للافتيات على صاحب الرسالة ﷺ، وتلك مرحلة مهمة في أجندة أعداء الله للقضاء على الدين وأهله لو تم لهم ذلك ، ولكن الله سلم؛ إذ قَوَّضَ منهم تلك العَزَمَاتِ وجعل كيدهم في تباب ، وليس ذاك وحسبُ، بل وجعل ما كان مُستسهلاً مستساغاً ذا خطر عظيم، لا ينبغي لمن لبس لَبُوسَ الإيمان أن يخوضَ فيه أو يطرقَ حِمَاه؛ فهو ومن خلال هذا الحدث الأهمِّ في السياق النبوي، حوَّل هذه المسألة من رحبة الفروع إلى مسلمات العقائد التي لا ينبغي الخوضُ فيها، أو ذكرُها إلاَّ على سبيل التبجيل والتقدير لمن كانوا شُخُوصاً لأحداثها.

لنُدرك خطر هذا الحدث كما أسلفت. لا بدَّ من استعراض هذا الحدث من خلال السياق الحديثي كما أورده أصحابُ الأثر، وقد توافرت دواوينُ السُّنَّةِ على نقلها وصياغتها صياغةً تحقق لها المصداقية.

كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة؛ فأقرع بيننا في غَزْوَةٍ غَزَاها[1]، فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أُنزلَ الحجاب، فكنت أحُمل في هَوْدَج وأُنْزَل فيه، فسرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك و دنونا من المدينة قافلين آذن ليلةً بالرحيل، فقمتُ حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيتُ شأني أقبلت إلى رحلي ، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع ظفار[2] قد انقطع؛ فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يَرْحَلون لي فاحتملوا هودجي ورحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه . وكان النساء إذ ذاك

(1) هي غزوة بني المصطلق.

(2) ظفار : مدينة بعمان ، والجزع الظفاري منسوب إلى هذه المدينة.

خفافا لم يُهَبَّلْن[3]، ولم يَغْشَهُنَّ اللحم؛ إنما نأكل العُلْقة[4] من الطعام . فلم يستنكر القوم خِفَّةَ الهودج حين رفعوه وحملوه ؛ وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجملَ وساروا .

فوجدتُ عقدي بعد ما استمر الجيش ؛ فجئت منازلهم، وليس بها منهم داع ولا مجيب؛ فيممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني ويرجعون إلي.

فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمتُ، وكان صفوانُ بن المعُطَّل السُّلَمي[5]، ثم الذَّكواني قد عرَّس من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم؛ فعرفني حين رآني . وكان رآني قبل الحجاب . فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني؛ فخَمَّرتُ وجهي بجلبابي، واللهِ ما تكلَّمنا بكلمة ولا سمعتُ منه كلمةً غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها ، فانطلق يقود الرَّاحلة حتى أتينا الجيش موغرين[6] في نحر الظهيرة .

قالت: فهلك من هلك، وكان الذي تولَّى كِبْرَ الإفك عبدالله بن أُبَيِّ بن سلول.

قال عروة: أُخبِرتُ أنه كان يُشاع ويتحدث به عنده ويقره ويستمعه ويستوشيه.

قال عروة: لم يُسمَّ من أَهل الإفك إلاَّ حسَّان بن ثابت، ومِسْطح بن أُثاثة[7]، وحَمْنَة بنت جحش[8]، في أناس آخرين لا علم لي بهم (*عُصْبَة*)[9]، كما قال الله عز وجل، وإنَّ كِبْرَ ذلك كان يُقال عند عبدالله بن أبي بن سَلول.

قال عروة : وكانت عائشة تكره أن يُسَبَّ عندها حسانُ بنُ ثابت ، تقول: إنه الذي قال:

فإنَّ أَبي ووالــدَه وعـرضـي

لعرضِ محمدٍ مِنكُم وِقَـاءُ

---

(3) لم يهبلن: لم يكثر عليهن اللحم .

(4) العلقة: البلغة، أي ما يتبلغ به المرء.

(5) أبو عمر، أسلم قبل المريسيع، وشهد المريسيع وما بعدها، كان يكون على ساقة النبي. قيل : إنه قتل في غزاة أرمينية شهيداً سنة تسع عشرة في خلافة عمر، وقيل غير ذلك. « سير أعلام النبلاء : 2 / 545 ».

(6) الوغرة : شدة الحر، وأوغروا: دخلوا.

(7) مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ،قيل: اسمه عوف ، كان فقيراً ينفق عليه أبوبكر . توفي سنة أربع وثلاثين. « سير أعلام النبلاء: 1 / 187 ».

(8) حمنة بنت جحش الأسدية ، أخت أم المؤمنين زينب ، كانت زوج مصعب بن عمير ، كانت من المبايعات ، وشهدت أحداً . « الإصابة: 13/ 291 »

(9) النور آية: 11.

قالت عائشة : فقدِمنا المدينةَ؛ فاشتكيتُ حين قدمت شهراً، والنَّاس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أَعرف من رسول الله ﷺ اللُّطف والبرَّ الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيقول: « كَيفَ تِيكُم؟» ، ثم ينصرف فذلك الذي يريبني، ولا أَشعر بالشَّرِّ حتى خرجت بعدما نَقَهْتُ فخرجت معي أُمُّ مِسْطَح قِبَل المناصع وكان مُتَبَرَّزًا، وكنَّا لا نخرج إلا من ليل إلى ليل، وذلك قَبلَ أن تُتَّخذ الكُنُفُ قَريباً من بيوتنا ، وأمرُنا أمرُ العرب الأُوَلِ في التَّنَزُّه قِبَلَ الغَائِطِ ، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.

قالت: فانطلقت أنا وأُمُّ مِسطح وهي ابنةُ أبي رُهْمٍ بن المطَّلب بن عبد مناف، وأُمُّها ابنة صخر بن عامر خالةُ أبي بكر الصديق ﷺ، وابنها مِسطَح بن أُثَاثة بن عبَّاد بن المطلب؛ فأقبلت أنا وأُمُّ مسطح قِبَل بيتي وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أمُّ مسطح في مِرْطِها، فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما قلتِ! أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ قالت: ياهنتاه ألم تسمعي ما قال؟ قالت: قلت: وما قال؟

فأخبرتني بقول أهل الإفك. فازددتُ مرضاً على مرضي. فلمَّا رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: « كيفَ تيكم ؟». فقلتُ: ائذن لي آتي أبوي. قالت: وأنا أريد أن أتيقن الخبرَ من قبلهما. قالت: فأذن لي رسول الله > فجئت أبويَّ فقلت: يا أمي، ماذا يتحدث به الناس؟ قالت: يا بنية، هوني عليك، فو الله لقلَّما كانت امرأةٌ وضيئةٌ عند رجل يحبُّها، لها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت: فقلت: سبحان الله! أو لقد تحدَّث النَّاس بهذا؟

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم.

قالت: فأصبحتُ أبكي ؛ ودعا رسول الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب وأسامة بن زيد م حين استَلْبَثَ الوحيُ يستشرهما في فراق أهله؛ فأمَّا أسامة بن زيد ﷺ فأشار على رسول الله > بالذي يعلم من براءة أهله، والذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال أسامة: يا رسول الله، أهلُك ولا نعلم إلا خيراً؛ وأمَّا عليّ بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيِّق اللهُ عليك ، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقْك. فدعا رسول الله ﷺ بريرة ، فقال: « أَيْ بَرِيْرَة ، هل رأيتِ شيئاً يريبك ؟ » . قالت له بريرة : والذي بعثك بالحق، ما رأيت عليها قطُّ أمراً أَغْمِصُه أكثر من أنها جَارية حديثة السِّنِّ تنام عن عجينِ أهلها ، فتأتي الدَّاجنُ فتأكله.

فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أُبي ابن سلول، وهو على المنبر،

فقال: «يا معشر المسلمين، من يَعْذِرُني من رجل قد بلغ أذاه في أهلي؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلا ما علمت منه إلا خيراً ، وما دخل على أهلي إلا معي ».

فقام سعد بن معاذ ﷺ أحد بني عبد الأشهل، فقال : يا رسول الله أنا أَعْذُرُك منه إن كان من الأوس ضربتُ عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أَمَرتَنا ففعلنا ما أمرت.

قال: فقام رجل من الخزرج ، وكانت أُمُّ حسان ابنة عمه من فخذه، وهو سعد بن عبادة ، وهو سيد الخزرج، قال: وذلك رجل صالح ، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن تقتله.

فقام أُسيد بن الحضير وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة كذبتَ لعمر الله، لنقتلنَّه، وإنك منافقٌ تجادل عن المنافقين.

قالت: فثار الحيان الأوسُ والخزرج حتى همُّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت ، قالت : فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحِلُ بنومٍ، قالت: فأصبح أبويَّ عندي وقد بكيتُ ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع يظنان أن البكاء فالقٌ كَبِدِي، قالت فبينما هما جالسانِ عندي وأنا أبكي فاستأذنتْ عليَّ امرأة من الأنصار؛ فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ ، فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهراً لا يُوحَى إليه في شأني ، قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال أما بعدُ يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ؛ فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السِّنِّ لا أقرأُ كثيراً من القرآن: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به؛ فلئن قلتُ لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقنِّي، والله ما أجد لكم مثلا

إلا قول أبي يوسف: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (18).[10]

قالت: ثم تحولتُ فاضطجعت على فراشي، قالت : وأنا حينئذٍ أعلمُ أني بريئة وأنَّ الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أنَّ الله منزل في شأني وحياً يتلى ولشأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتْلَى ولكن كنت أرجو أن يرى رسولُ الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، قالت: فو الله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه؛ فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاءِ حتى إنَّه ليتحدر منه مثلُ الجُمَان من العرق وهو في يومٍ شاتٍ من ثقل القول الذي ينزل عليه قالت: فلما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ سُرِّيَ عنه وهو يضحك ؛ فكانت أول كلمة تكلم بها يا عائشة، أما الله عز وجل فقد برأك ، فقالت : أمِّي قومي إليه قالت: فقلت: لا والله، لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل.

فأنزل الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11))[11]، العشر الآيات كلها، فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة ﷺ لقرابته منه وفقرة: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال.

فأنزل الله: (*ولا يأتل* أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (22). [12]

قال أبو بكر: بلى واللهِ إنِّي أحبُ أن يغفرَ الله لي ، فرجع إلى مِسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال : والله لا أنزِعُها منه أبداً.

---

(10)سورة يوسف الاية (18) للكلمات دلالة عامة ، وقد تتطور دلاليا لتسبغ على نفسها دلالة أخرى قد تكون أعم أو أخص ، ومن ذلك كلمة البيان ؛ فقد كانت في البدايات تعني الظهور والكشف والوضوح ، وفي القرآن كانت في هذا السياق وكذلك في السنة النبوية الشريفة، قال الحق سبحانه أأ بي تر □ ً [الرحمن :] ؛ وظلت على ذلك ما شاء الله لها أن تكون ؛ حتى جاء أهل البلاغة ابتداء من الجاحظ وغيره، حيث كانت تدل على الفصاحة والبلاغة بمعناها الشامل للأقسام الثلاثة المعاني والبيان والبديع، وكذلك مايعن من لفتات بلاغية مما لا يندرج تحت هذه الأقسام الثلاثة، وظلت على ذلك ردحاً من الزمن؛ حتى جاء أصحاب تقعيد البلاغة كما عند السكاكي ومدرسته؛ فجعلوا البيان مقتصراً على فنون التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز العقلي، وهو القسم الثاني من أقسام البلاغة، ولا زال البيان وحتى عصرنا هذا يأخذ هذا الإطلاق، لكنني في دراستي هذه رددت البيان للمعنى الشامل المحيط بالمعاني البلاغية، كما عند المتقدمين . انظر: معجم المصطلحات البلاغية: 1 / 406 وما بعدها.

(11) النور آية :11.

(12) النور آية : 22.

قالت: عائشة وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال: يا زينب، ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري ما علمت إلا خيراً قالت ، وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ ؛ فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك[13].

النَّظَرَاتُ البَيَانِيَّةِ[1]في الآيَات:

شَغَلَتْ آياتُ حَادِثَةِ الإفكِ عشرَ آياتٍ بيناتٍ مِن مَسَاحَةِ السُّورَةِ، التي بَلَغَتْ آياتُها أربعاً وستينَ آيةً، وقد اشتملتِ السورةُ أو كادت تتمخض لأحكامِ مُعاشَرَةِ الرِّجالِ للنساء وآدابِ الخُلطة والزِّيارةِ، وَهِيَ عَلَى سَبِيلِ التَّفصيل إلى جَانبِ تلك القَضِيَّةِ المُهِمَّة حَادِثَةِ الإفْكِ عرضت لقضية التزوج بامرأةٍ اشتهر عنها الزنا وعُرِفَتْ به، كذلك لعقاب الذين يقذفون المحصنات من النساء وكذلك لحكم اللِعَان ، كما أنَّ السورةَ حذَّرت من إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا وبيان مغبته، وتنطلق السورة بعد ذلك لترسخَ مبدأ العفو والصفح عمن أساء، كما أنها تُوقِفُ الناس على آدابِ الاستئذان وآدابِ الناس في المُخالطة وإفشاءِ السلام، كما أنَّ السورة الكريمة تُنَادِي بتزويج العَبِيدِ والإماء وتحرِّض على مكاتبتهم، وتنهى عن البِغَاء الذي كان شائعاً في الجاهلية، كما أنَّ إعلاءَ أمر العفاف من مقاصد السورة الكريمة، ومَن ينظر ويتأمل يلحظ أنَّ ذمَّ النفاق والمنافقين وبيان طويتهم الفاسدة ممَّا أبانته السورةُ ..

وسورةُ النُّورِ تحذِّر غاية التحذير من الوقوع في حَبَائِلِ الشيطان، وتضربُ المُثُلَ على استقامة الإيمانِ وضلالِ الكُفْرِ واعوجاجِهِ، وبين ذا وذاك ترسمُ السُّورةُ صورةَ العظمةِ لله سبحانه وبديعِ صنعه، وما امتن به من نعم على عباده في الدنيا والآخرة، ومهما ارتفع العبدُ أو شمخ بأنفه فإلى الله المصير سبحانه هذا ما ختمت به السورةُ ..

والإنسانُ وهو يُقَلِّبُ آياتِ السُّورة، أو الموضوع الذي تخيره للحديث عنه في تضاعيفها ، تدركه الحيرة ويظل داهشاً جراء تلك المعاني الغزيرة التي انثالت عليه، فلا هو يرضى باطراحها، ولا هي بالتي ترضى أن تدعه يغادرها دون أن تسمه بميسم أعاجيبها، وهكذا كان الشأن مني مع آيات حادثة الإفك العشر، فهناك الوفرة، وهناك الدقة، وهناك العُمقُ الذي يتجلى لك في كل كلمةٍ

(13) حادثة الإفك رواها الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه، كتاب المغازي، باب: حديث الأفك رقم الحديث : « 4141 »، ومسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب: حديث الأفك، رقم الحديث « 56 ».

أو جملةٍ من نظمها، فلو قَضَّيتُ العُمُرَ وأضعافَه لعلي لا آتي ولو على بعض من أسرارها، ولكن وكما قيل ما لا يدرك كله لا يترك جله ، وهي كلماتٌ ربما تبل الصدى ، وتُوقِفُ الرَّاغب على بلاغة هذا الكتاب العزيز ..

فالآيات الكريمات العشر التي صدرت بقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11) لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (12) لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (20))(14)، جاءت بموضُوعٍ مختلفٍ جداً عمَّا سبقها، فَهِي تستأنفُ حديثاً يتعلق بالبيتِ النبويِّ وما وُصِم به هذا الجانبُ الرفيعُ من الطهارة من قول الزور؛ لتأتي بما يدحضه ويجتثه من جذوره، وهكذا فعلت آياتُ هذه الحادثة، حيث كانت قامعةً لكلِّ قالة المنافقين ومن غُرِّرَ بهم من جهلة المسلمين، بل إنَّ هذا القول لم تقم له قائمة بعد نزولها، بل إنها لتعد حَكَماً عدلاً فيمن تَقَوَّل بهذا القول بعد ذلك حتى قيام الساعة، وإن تصدير الآيات بأداء التوكيد « إنَّ » لتوقف القائلين بهذا البهتان على رداءة التصور وقبح التوجه، حتى إنَّهم لربما تخيلوا وتخيل من بعدهم أنَّ القَول به من ضروب المستحيل؛ إذ كيف يجرؤ من ارتضى الإسلام ديناً ومحمداً ﷺ نبياً أن يقول به، ولكنه حصل ووقع وخاض فيه من خاض، فلا مناص من إنكاره ، وهذا من البلايا التي ربما دَهَمَتِ المجتمعات المسلمة ، وتعريف لفظ « الإفك » يحمل في طياته الحصر، أي: لا إفك إلا ذلك الإفك ، وتكون اللام هنا جنسية(15)، واختيار هذه اللفظة «الإفك»، واصطفاؤها على غيرها ليوقفنا ويوقف كل إنسان على بطلان ما قاله المنافقون ومن في قلوبهم مرض ؛ لأن الإفك هو الكذب الذي خلا من أي شبهة ولو بعيدة.

(14) النور الآيات 11: ، 20.

(15) روح المعاني : 18 /111.

وهذه الحادثة وإن كان ظاهرها شراً لكنها تحميل في طياتها الخير، (لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)، ومن ذلك إِعْزَازُ جَنَابِ البيت النبوي وبيانُ طهارته من كل شبهة أو شك، وكذلك لإزالة ما في نفوس المؤمنين من الأسف على اجتراء هذه العُصْبة على هذا البهتان العظيم، والتعبير بالاسمية (بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)؛ للدلالة على ثبوت الخير واستقراره، وأنه وإن جاء ما يعكره صفوه؛ فإنه يعود كما كان لأنه الأصل، وكم كان اهتمام المنافقين بالغاً بهذا الحَدَث يصور هذا التعبير بالمجيئ (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا)؛ لأن من يخبر بخبر غريب يقال له: جاء بكذا ، وكل الأخبار الغريبة غالباً ما تكون في رحال الوافدين، فشبه الخبر بقدوم المسافر أو الوافد على سبيل الاستعارة المكنية ، وقد رشحت هذه بالمجيئ، وكملت بالباء ترشيحاً، ولفظ المجيئ يوحي كذلك بأن حديث الإفك اختراعٌ من أنفسهم ، ولم يكن له أصل قبل ذلك، وفي تنكير العذاب ووصفه بالعظم فيه تعظيم وتهويل للخطب ، وأنه بالغ الخطورة وهكذا كان، ولم تُذْكَرْ أُمُّ المؤمنين عائشة ل صراحة هنا تنزيهاً لها عن هذا المقام ولصيانتها جنابها العلي رضى الله عنها(16).

وسورة النور. كما أسلفت بُنِيَت خطوطُها العريضة على الحث على الفضائل وإعلائها ، فما من خلقٍ رفيعٍ إلا ونادت به وعززت من جانبه وأظهرت شرفَه ومكانته، وما من خلقٍ وضيع إلا وتجد اللفظ القرآني الكريم يحذِّر منه وينأى بالمجتمع عن سلوك طريقه ، ولو نظرتَ وأَنْعَمتَ النظر لوجدتَ أنَّ هذا التوجه من القُرآن الكريم لتقوية البناء الداخلي للمجتمع الإنساني عامة والمجتمع الإسلامي على وجه الخُصُوص ، فمن ذلك إشاعة الظن الحسن بين المسلمين واستبعاد كلِّ جنوح نحو الشكوك والظنون الفاسدة. (لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ(12))، فالمؤمن والمؤمنة لا يظن بالمؤمنين والمؤمنات إلا كلَّ ظَنٍّ حسن خَيِّر ، والسماع في النظم القرآني وإن كان مسنداً للجميع إلا أنه مخصوص به من سمعوا هذا الكلام الغث فلم يكذبوه ولم تتحرك نفوسهم نحو ذلك ، وهذا مُستوحى من أداة التوبيخ « لولا » التي جاءت بمعنى هلا، وما أروع التنزيل الإلهي الكريم عندما يراعي النفوس المؤمنة وإن صدر عنها ما صدر ، فلم يفضحها ولم يعنفها على الملأ، بل أبهمها، فأسند الفعل إلى المؤمنين والمؤمنات مع أن من صدر منه الأمر رجل وامرأة ، وهذا دأب النظم القرآني كما في قوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173))

مع أن القائل واحد، وقد استوحى النبيُّ ج ذلك المعنى العظيم فتجده في خطبه يُعَرِّضُ ولا

(16) نظم الدرر : 13 / 221.

يصرّح ، فيقول ج: (ما بال أقوام)، فلم يكن يزيد على هذا اللفظ وهذه العبارة بأبي هو وأمي ج، وثمة مقصد آخر للفظ القرآني في هذه السورة الكريمة ألا وهو أنه لا يُريد ربط الآيات الكريمة ومقاصدَها بأشخاصٍ بأعيانهم، فتكون رهينة ذكرهم وما وقعت بسببه ، وإنما يريد أن يتسع بها فتشمل كل قائل بتلك المقولة إلى قيام الساعة ؛ لذا أطلق علماء أصول التفسير مقولتهم الشهيرة : إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وقد تمثل المجتمع الإسلامي الأول هذا الخلق وتلك الأريحية العذبة ، فلم يكن في نفوسهم إلا سلامة التوجه نحو الآخرين من إخوانهم، فألجموا نفوسهم بلجام العفة عن كل عِرْض غافل ففازوا وحازوا الخير من أطرافه، وفي قصة أبي أيوب مع زوجه م خير شاهد على ذلك ، فقد قال أبو أيوب الأنصاري لما بلغه خبر الإفك: ألا ترين ما يقال ؟ فقالت له : لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله ج سوءا؟ قال: لا، قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله ج، فعائشة خير مني، وصفوان خير منك، قال: نعم(17).

وفي تقديم الظرف (لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) على عامله (نَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ)؛ للاهتمام بمدلول ذلك الظرف وما جاء به، وهو أنَّ الظن الحسن كان يجب أن يكون ملازماً للعصبة المؤمنة ، وثابتاً لا تزلزله الحوادث ولو كانت محكمة الصنع محبوكة المقصد، ويكون الرد منهم ذا نبرة واثقة صارمة تقذف في قلوب من استهواهم القيل الخزي والحسرات، وبعض من ذلك قد كان ولا أدل على ذلك من قلة الخائضين في حمأة هذا الخطر العظيم.

ولا يزال النظمُ القرآني الكريم يكيل الضربات الموجعات لمن تولى كبر هذه الفرية العظيمة وهذا البهتان المبين، فنلحظ أنه عَدَل عن الضمير إلى الاسم الصريح في قوله تعالى: (نَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا) بدلاً من ظننتم بأنفسكم خيراً ، للاهتمام بالتوبيخ(18)، ولكي يذكر لفظ الإيمان الذي هو المحرك الأساس في سلامة القلوب تجاه الآخرين خاصةً من اتصفوا بصفات الإيمان، وفي تعقيب هذا النظم بالعطف وما عطف، وهو قوله: (وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (12))؛ للدلالة على أن الإنكار لا بد أن يتواطأ عليه القلب واللسان ، ولا يكفي أحدهما دون الآخر ، فذاك حظ الضمير وهذا حظ اللسان، وتذييل الخطاب بلفظ مبين للدلالة على ظهور الأمر

(17) الكشاف: 3 / 218.

(18) الكشاف: 3 / 218 ؛ الدر المصون : 5 / 213.

ووضوحه ، حتى إنه لفرط وضوحه وجلائه كأنه يبين غيره.

ولا زال النظم القرآني الكريم يترقى مع القوم المفترين ، ويُعْمِل سوطه في ظهورهم إلهاباً لها لئلا يجترئوا على مثل هذا القول في مستقبل أيامهم، أو يكون حافزاً لغيرهم أن يسلكوا السبيل نفسه فهاهو القرآن بعد أن قرر أن مقول هؤلاء القوم عارٍ عن كل دليل أو برهان على صدقه أو صحته ، قذف بهم إلى هوة سحيقة ليس لها قرار؛ إذ جعلهم موصوفين بوصف ينفر منه من كان في نفسه ذرة من حياء، فجعلهم في صفوف الكذبة، بل هم الكذبة حقاً ، وهم عنوان هذا الخلق المرذول، فكأنه إذا ذكر الكذب جاء هؤلاء مثالاً صادقاً عليه، وكفى بذلك تقبيحاً لهم ولفعلهم، وقد جعل الحق سبحانه وتعالى الحصر (أُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13)) قوماً لهذا الأمر وأساً متيناً يقوم عليه بنيانه ، ويعزز من ذلك القيد بالظرف (عِندَ اللَّه) ؛ لزيادة تحقيق كذبهم ، فهم في علم الله الأزلي لا يتعدون هذه الحقيقة، وعلم الله لا يكون إلا موافقاً لمآله، ولا ريب أن مدار السعادة والشقاء مرده لحقيقة الأمر عند الرب فمن كان عند الله صادقاً فهو الصادق ومن كان عند الله كاذباً فهو الكاذب، وكل ذلك بسبب تراكمات تولدت جراء إدمان هذا الخلق الوضيع، كما قال النبي ﷺ: « ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»، فهؤلاء القوم كان لهم سابقة في سجل الموبقات؛ فاستمرؤوا ما هم عليه لتأتي هذه الباقعة، وهو ولوغهم في عرض الصِّديقة؛ ليجعل لهم قدم سبق في جحافل الكَذَبَةِ إلى يوم القيامة وبئس والله صنيعهم.

والنفوسُ الكبار لا تُعْرَفُ إلاّ عند المحن وعند الكروب والشدائد ، وبعكسها النفوس الصغار، فالنفوس الكبار تزيدها جهالة الجهلاء وحمق السفلة اطمئناناً بما عندها من كرم النفوس وسعة الحلم، فهم كعود طيِّب لا يزيده الاحتراق إلا طيباً وعبقاً زكياً، وهكذا كان وزراء محمد ج، كانوا حلماء علماء ، ولم يكن ذلك تصنعاً واستكثراً بما لم يعطوا، بل كان جِبلة وسجية، كيف لا وهم صفوة الله من خلقه لصحبه خير بني آدم ج، وهذه الآية الكريمة (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14)) تجلي هذه الحقيقة وتعلي من شأنها، فالحد أُسْقِطَ عمن خاض في هذا البهتان المبين ، وذلك بعفو الصديقة بنت الصديق ك عمن اتهمها ونال من شرفها، وكذلك بعفو صفوان ط، فهناك عفوان عفو في الدنيا، وهناك عفو في الدار الآخر: فالعفو في الدنيا بتنازل عائشة وصفوان م، وعفو الآخرة يكون بالتوبة، وقد تاب من خاض ولم يتخلف من ذلك أحد إلاَّ من كان مغموصاً في النفاق، وقد علم الله مآلهم فلم يهدهم

إلى جادة الصواب.

وهنا يجد ربي ألا أغادر هذا السياق في هذه الآية حتى أعرِّجَ على تركيب بديع خلَّفَه النَّظمُ القرآني الكريم ، وهو قوله تعالى: (فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ)، فشبَّه تناقل الكلام والزيادة فيه بإفاضة الماء في الإناء ليكثر، فحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإفاضة على سبيل الاستعارة، وكم في هذا التعبير من إيحاء بليغ ورسالة ما أبلغها لو تدبرنا ! فالشرور تبدأ صغيرة، وكان يمكن أن توأد في مهدِها ولا يُحَسُّ بشيء منها ، لولا نفخ النفوس الخبيثة فيها ، فتكسبها بعداً آخر حجماً وأثراً، وهكذا كان حادث الإفك؛ فالنفاق وأهله ومن غُرِّرَ به من المؤمنين جعل منه أحدوثة بسبب تَزَيُّدهم في الكلام..

ويمضي النظم القرآني الكريم في تجلية هذه الحادثة ، فنراه يقوم بإحضار الصورة التي كان عليها الأمر وكيف كانت تدار فعالياته ، والهدف من ذلك تقبيحه وتفظيعه في نفوس المؤمنين ؛ لئلا تجرؤ نفوسهم على شاكلته، فنلحظ أن السِّياقَ القرآنيَّ الكريم اختار اللفظَ الموحيَ (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ)، الذي يشعر بتجشم المشاق والتكلُّف من أجل نيل الأمر المرغوب فيه، وهكذا الحال من السعاة في القول بالإفك، فقد هان عندهم كلُّ أمر من أجل تحصيله؛ حتى دينهم الذي هو عصمة أمرهم زهدوا فيه في سبيل تحصيل لذة عارضة متوهمة .

وهنا في هذا السياق تشبيه موحي حيث شُبِّهَ الخبرُ بشخص وشُبِّه الراوي بمن يتهيأ ويستعد للقائه على سبيل الاستعارة المكنية، فجُعلت الألسنُ آلةً للتلقي على طريقةٍ تخييلية بتشبيه الألسن في رواية الخبر بالأيدي في تناول الشيء، وإنما جُعِلَتِ الألسن آلةً للتلقي مع أن تلقيَ الأخبار بالأسماع؛ لأنه لما كان هذا التلقي غايتَه التحدث بالخبر جُعِلَتِ الألسنُ مكانَ الأسماع مجازاً بعلاقة ما يؤول إليه. وفيه تعريضٌ بحرصهم على تلقي هذا الخبر، فهم حين يتلقونه يبادرون بالإخبار به بلا ترو ولا تريث. وهذا تعريض بالتوبيخ أيضاً.

وهنا لفتة لطيفة في إسناد القول إلى الأفواه مع أن القَوْل لا يصدر إلا عنها ، وذلك لأنه أراد بذلك التمهيد لقوله سبحانه بعده (مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ)، أَيْ: إن القول الذي صدر ليس له نصيب من الصحة ، فهو مجرد لفظٍ مبنيٍّ على الظن الخاطئ، وحسبك به كذباً وقولاً على الله بغير علم، ولا يقف النظمُ القرآني عند ذلك الحد، بل يتبعه بتوبيخ آخر يجعل من هؤلاء القوم يفكرون في القول قبل إطلاقه أو التلفظ به، فيقول الحق سبحانه (وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15))، فالناس لهم مقاييس في الأقوال التي يتلفظون بها ، ولكن المِقْيَاس الحق هو عند

الله سبحانه وتعالى، حتى إن النبيَّ ج ليقول: «إن الرجلَ ليتكلم بالكلمة لا يُلْقِي لها بالاً تهوي به في النَّار أبعدَ مما بين المشرق والمغرب»، وخطر اللسان ظاهر جلي لا يغيب عن أصحاب العقول؛ لذا قال الحكماء: « كَمْ كَلِمَةٍ قالت لصاحبها دعني»، وليس أثر الكلمة في الآخرة ، بل في الدنيا والآخرة .

والإعادة والتكرار في قوله تعالى: (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا) عطفاً على قوله تعالى (لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ) مع إعادة « لولا» وما بعدها من شرطها والجواب؛ لزيادة الاهتمام بالجملة المسوق لها السياق ، وقُدِّم الظَّرفُ هنا (إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) على العامل فيه وهو (قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا) ؛ للاهتمام بمدلول الظرف.

واختير التعبير القرآني الكريم (قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا)، وعبر به دون « ليس لنا أن نتكلم بها »؛ للدلالة والتنبيه على أنَّ الكلام في هذه الموضوعات جديرٌ بالمؤمن أن يطَّرحه ويترفع عنه، وكلُّ ذلك جرياً على أنَّ قولهم: ما يكون لي أن أفعل أشدُّ في نفي الفعل من قولهم ليس لنا أن نفعل كذا ، لذا اختير هذا اللفظ حتى في نفي ادعاء الربوبية كما قال الحق سبحانه في قصة عيسى عليه السلام: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116)(19).

وقد وجه الخطاب في لفظ التنزيه (سُبْحَانَكَ)؛ للإشعار بأنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى غاضبٌ على كل من اجترأ على هذا الحِمَى، وأنَّ من كان على ذُلِّ المَرْتَعِ الوبيل عليه بالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى، وذيلت هذه الآية الكريمة بقوله: (هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16))؛ للتعليل لما قبلها، فهي تعزز من جانب التوبيخ المسوق له الآية الكريمة.

وقد وصف البهتان بالعَظَمَةِ في قوله (هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16))؛ لأنه اشتمل على الكذب، وكفى به عظيمة من العظائم الموبقة؛ ولأن هذا الأمر وهو الخوض في الأعراض يزرع في النفوس الإحن والأحقاد، ويتضاعف الوزر عندما يكون من وُجِّهَ إليه من خيرة الناس من الصَّحابة. كلُّ هذه الأمور تآزرت في تعظيم شأن هذا الأمر.

والسياق القرآني الكريم يُوقِفُ المؤمنين على أنَّ من عَرَضَ لعائشة بعد نزول القرآن معتقداً

(19) المائدة آية : 116.

وقوعه، فلا شك في كفره وخروجه من الملة، وذلك مفهوم من قوله تعالى (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (17))، فمقتضى الشَّرطِ يدلُّ على كُفره، وبذلك قال الإمامُ مالكٌ رحمه الله تعالى، حيث قال: « من سب أبا بكر وعمر أُدِّبَ، ومن سب عائشةَ قُتِلَ؛ لأنَّ الله تعالى يقول: (يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (17))، فمن سبَّ عائشة فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآنَ قُتِل.

واصطُفِيَ لَفظُ المَحَبَّة في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)؛ للدلالة على أن محبة انتشار الرذيلة في المؤمنين تستحق العقوبة ؛ لأنَّ محبة هذا الأمر تنطلقُ من خُبْثٍ في نية المُحِبِّ نحو المؤمنين، وغالباً ما تكون هذه المحبة باعثاً على الفعل بما فيه إضرارٌ بالمؤمنين، فالمحبة كناية عن التهيؤ لإبراز ما يحب وقوعه، والتعبير بالمضارع (يُحِبُّونَ)؛ للدلالة على الاستمرار.

وحذف جواب « لولا » في قوله تعالى: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14))؛ لتذهب النفس كل مَذْهَب ممكن في تقدير الجواب بحسب المقام . وختمت الآية هنا بالرأفة والرحمة؛ لأن رأفة الله ورحمته انتشلت الأمة من اضطراب عظيم في أخلاقها وآدابها وانفصام عرى وحدتها.

وكذلك وَصْفُ الرحمة والرأفة ألصق بما ذكر من إنقاذه سبحانه إياهم من سوء محبة إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، والتي كانت محل اطمئنان المنافقين ونفرة من المؤمنين(20).

هذه آيات حادثة الإفك وما اشتملت عليه من حكم وأحكام عظيمة وقد نزلت في سياق واحد، وتلاها المؤمنون، واطمأنوا لها وما فيها، ولا يخالف ما جاءت به إلا من كان منافقاً مغموصاً في النفاق.

الخاتمة والنتائج

بعد هذا التطواف في سورة النور وآيات حادثة الإفك منها خاصة؛ ندرك أن القرآن لا زال يحتاج منا الكثير والكثير من البحث؛ فلا زال النص القرآني الكريم يزخر بالكثير من الحِكَم والأَحكام والبيان الذي يرغب منا التوجه إليه لاستنطاقه وتحسس ما فيه من الإعجاز، ولا زال كل كشف منا يهدينا إلى كشف مثله أو أعظم، ولا يزال ذلك حالنا؛ ولن نفرغ لأنه من الله سبحانه وتعالى ، وقد قال النبي ث عن الكتاب العزيز كما في الحديث الذي أوردته في مقدمة هذا البحث: (لا تنقضي

(20) التحرير والتنوير : 18/ 186.

عجائبه)؛ لذا كلما نظرت فيه حباك من إعجازه ولا يزال، ولن يمل حتى تملوا؛ لذا من كمال التوفيق أن تجعل البحث في القرآن الكريم منتهى همك؛ ومن كان كذلك فقد استحق العلم والإيمان، ومن حوى الإيمان والعلم لن يهلك إلا على سنة وصراط مستقيم.

لا زلت أتناول القرآن بحثاً في إعجازه وكلما استكثرت كلما أدركت جهلي وتقصيري في جانب هذا الكتاب العزيز، وكم تأسفت على أيام وأوقات ذهبت في غير كتاب الله وتدارسه، والجلوس مع القرآن. والبحث فيه خاصة من جهة الإعجاز يجعلك تنظر للنص نظرة مختلفة، بل إنها لتخرجك من عالمك إلى عالم آخر ملؤه الإجلال والتقدير والإيمان والتسليم، ولا تزال في حبور ما دمت على هذه المسافة من القرب من الكتاب العزيز.

قل ما شئت وحدث بما تشاء لن تدرك معاني القرآن الإدراك الحقيقي ولن تتفيأ بحبوحة الأنس إلا عندما تضع قدميك في غرز القرآن، وبقدر ما تعطيه من صفاء الذهن بقدر ما يعطيك من المعاني العظيمة الرائقة ولن تزال في بحبوحة من ذلك ما دمت على ذلك ، وكم نحرم أنفسنا من هذه المائدة الإلهية، ولا انتهاء لها ولو أكثرت وما عند الله أكثر.

أقلب الطرف وأرجعه مرة بعد مرة في هذه الآيات العظيمة من سورة النور، وكل آية تستمطر الدمع خاصة إذا ربطت الآيات بالحدث ووصلتها بكتب السنة، وكم كان فيه من ألم، وكم كان جرحاً غائراً في قلب هذا النبي الذي طُعِن في أقرب الناس وأحبهم إليه زوجه عائشة رضي الله عنها، وكم كانت هذه الآيات شافيات لهذا الجرح، ولولا نزولها لما كان لهذا الجرح أن يندمل أو يبرأ، ولكنها حكمة الله؛ لقد تمنت الصديقة بنت الصديق رؤيا تكشف أمرها، وهي الواثقة من أمرها؛ لتأتي البراءة في آيات تتلى إلى يوم القيامة؛ لأنها ترى أنها أقل شأناً من أن تتلى ويتلى شأنها، وهكذا العبد أو الأمة لله؛ فكلما تواضع كانت الرفعة من الله له، وهكذا رفعت الصديقة فتذكر كلما ذكر العفاف والطهر، ولتكون تلك الآيات رادعة لمن نال من ذلك الطهر والعفاف، وكم هي آيات عظيمات تجبه أولئك الذين لا زالوا يلوكون عرضها ؛ وإنها لتنزلهم منزلة من لا خلاق له في الدنيا الآخرة فقولوا بقولكم أيها الحقراء فلن تنالوا بغيتكم ولن تزدادوا من الله إلا بعداً ولا من عباد الله إلا مقتاً ؛ فالطهر حيث الحجرات، وحيث تلك الأجساد الطاهرة تحت الثرى في البقيع؛ لقد رضي الله عنها ورضيت عنه فأنزلها من الجنة غرفاً، ومن كان منها فهو في سبيلها إن شاء الله؛ فاللهم صل على محمد وارض عن صحابته ومنهم زوجاته الطاهرات وأخص منهن أمنا عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

لو تأملنا جيداً لوجدنا أن السياق عندما بدأ في عرض البراءة أخذت الألفاظ تنحى منحى السياق الجمعي وتلح في ذلك؛ وذلك بإشعار المجتمع أنه لبنة واحدة، وأن ما يصيب أحد لبناته كفيل بضعضعة بنيان المجتمع، ومن هذا المنطلق ظن المؤمن في المؤمن يجب ألا يتعدى الظن الحسن (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) 12 النور، وعندما نستحضر الظن الحسن ترتفع من المجتمع قالة السوء ، وتتلاشى الفاحشة؛ لأن القول من مسببات حضورها، وإذا حضر القول تبعه الفعل ؛ لأن القول يرقق جرمها.

والتكرار في السياق القرآني في آيات حادثة الإفك كما في قوله: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا) 12 النور يريد أن يجعل الصف المؤمن مستحضراً هذه القصة لكي يكونوا على بينة من خطر إيرادها إلا على سبيل التحذير والإنكار من مغبة الخوض في العرض الطاهر، وهو كذلك للتنبيه إلى أن هذه الحادثة سيستحضرها الأعداء بين فينة وأخرى ؛ فلا تنخدعوا فيرقق منكم ذلك الاستحضار الإنكار؛ بل لابد أن يكون إنكاركم اللاحق خير من السابق وأعظم.

والسياق القرآني الكريم يُوقِفُ المؤمنين على أنَّ من عَرَضَ لعائشة بعد نزول القرآن معتقداً وقوعه، فلا شك في كفره وخروجه من الملة، وذلك مفهوم من قوله تعالى: (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين) ، فمقتضى الشَّرطِ يدلُّ على كُفره، وبذلك قال الإمامُ مالكٌ رحمه الله تعالى، حيث قال: « من سب أبا بكر وعمر أُدِّبَ، ومن سب عائشةَ قُتِلَ؛ لأنَّ الله تعالى يقول: (يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (17))، فمن سبَّ عائشة فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآنَ قُتِل.

وخلاصة الأمر أن طريقة المفسرين في معالجة النص القرآني تمتاز بالدقة ووسيلة لاستحضار المعاني التي تبنى عليها الأحكام، وكم كانت تلك المعاني ذات خطر، وكم كانت جابهة للمتهوكين في حدود الله، فالنص ثَرٌ بالمعاني ولكن لا سبيل لكثير منها إلا من خلال اعتماد التحليل البلاغي، وهو ما سلكناه مع هذه الآيات الكريمات، والله أسأل أن ينفع به.

فهرس المراجع

الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق الدكتور / عبدالله التركي، طبع دار هجر، الطبعة الأولى 1429 هـ.

تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية

للنشر والتوزيع.

خطبة الحاجة، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط، 1397 هـ.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 4 ، 1405 هـ _ 1985 م.

سنن ابن ماجه؛ للإمام أبي محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار التراث العربي، بيروت،1395 هـ.

سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، 1414 هـ 1994م.

صحيح البخاري، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، طبع مع فتح الباري، الطبعة السلفية الأولى، مصر 1381 هـ.

صحيح مسلم، ترتيب: محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة الإسلامية، تركيا استنبول.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط3 ،1407 هـ 1987 م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل ، شرح وتحقيق: أحمد شاكر، أتمه د. الحسيني، عبدالمجيد هاشم، دار المعارف ، مصر ، 1365 . 1375 هـ.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط 2 ، 1413 هـ _ 1992 م.

عام الرمادة وأثاره على الوضع الاقتصادي بالحجاز في عصر الخليفة عمر بن الخطاب (18هـ – 639م)

د. أبو القاسم خليفة التهامي

الأستاذ المساعد بكلية الآداب والدراسات الإنسانية جامعة دنقلا

المستخلص

تدهور الوضع الاقتصادي في منطقة الحجاز نتيجة للمجاعة التي ضربت المنطقة في القرن الثامن الميلادي إبان فترة خلافة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

أدّت هذه المجاعة إلى نزوح عدد كبير من السكان إلى المدينة المنورة . وقد قابل سيدنا عمر بن الخطاب هذه المجاعة بالإنفاق من مخزون بيت مال المسلمين ، كما أنه طلب من ولاته في الأقاليم الغنية مثل مصر وسوريا والعراق تقديم يد المساعدة وعلى الرغم من ذلك فقد أدت هذه المجاعة إلى موت عدد كبير من السكان . أدى سيدنا عمر والمسلمون صلاة الاستسقاء نتيجة لذلك انهمرت الأمطار ونما الزرع وعاد النازحون إلى أماكن إقامتهم.

وعليه يمكن القول بأنه وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهته فقد تمكن سيدنا عمر بن الخطاب من مواجهة تلك المجاعة باتخاذه العديد من الإجراءات والتدابير.

Abstract

The economic situation in the Hejaz has deteriorated as a result of the famine during the era of Omer bin Khattab in the 8th century, the famine led to the displacement of nomads to Almadina city. Omer bin Khattab address this crisis through his stock in the house of money (Bait almal) also the asked aid from the governors of the rich of states like Egypt, Syria and Iraq, Nevertheless famine led to the death of large number the nomads . Omer bless prayer for rain, (Istisga), rain came down and the plants grow according to that the nomads returned back again to their homeland, that is to say despite the so many difficulties Omer was able to overcome it through measures he set for treatment.

مقدمة:

تولى الخليفة عمر بن الخطاب الخلافة في العام الثالث عشر الهجري 634م، فور توليه الخلافة بدأ يتابع ما بدأه سلفه أبوبكر الصديق من حشد لجند المسلمين على جبهتي القتال ضد الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية. ظل هذا همه الأكبر لحماية دولة المسلمين الناشئة من خطر أكبر قوى عالمية وقتذاك.

في العام الثامن عشر الهجري 639م حدث أمر جلل بالحجاز جعل الخليفة يوجه كل همه لمعالجته إذ شهد هذا الإقليم مجاعة شهيرة عرفت بعام الرمادة بسبب جدب شديد وقحط عم الناس، فجاع الأهالي جوعاً شديداً أهلكهم، نزح سكان البادية إلى المدينة علهم يجدون عند الخليفة ما يسد حاجتهم ويسكن بطونهم الجائعة، فالمطر لم ينزل هذا العام ومعلوم اعتماد سكان الحجاز عليه لخلو إقليمهم من الأنهار" أجدب الناس بأرض الحجاز في هذا العام ولم يبق عند أحد منهم زاد" (ابن كثير، 2005: 1826)" في آخر 17هـ وأول 18هـ كانت الرمادة جوعاً أصاب الناس بالمدينة وما حولها فأهلكهم " (ابن الجوزي، 2005: 135).

سمي هذا العام عام الرمادة " لأن الأرض اسودت من قلة المطر، وأصبحت تشبه الرماد، وكانت الريح تسفي تراباً كأنه الرماد، اشتد الأمر حتى أوت الوحوش إلى الناس لشدة ما نزل بها من جوع " (الطبري، د:ت، 701).

عاش سكان الحجاز أياماً عصيبة ونتيجة لهذه المجاعة ماتت أغنامهم، ارتفعت درجة الحرارة نتيجة لهذا الجفاف "أصبح الناس يعانون الأمرّين، جوع شديد، وهلاك لأهم مورد اقتصادي هو الماشية إضافة للطقس السيء " (محمد رضا، 1993: 216).

وجد الخليفة نفسه في مواجهة أزمة اقتصادية حادة تتطلب منه حلولاً عاجلة فالبطون الجائعة لا تعرف الانتظار وعمر يقدر مسؤوليته فهو راع لهذه الأمة ومسؤول عن أمنها وسلامها الاجتماعي فيجب عليه ألا يترك الجوع يهدد الناس ويقضي على حياتهم، لذا نجده تحسب لمثل هذه الظروف ورتب نفسه لمواجهتها "واتخذ عمر دار الدقيق ، فجعل الدقيق والسويق والتمر والزبيب، وما يحتاج إليه، يعين به المنقطع والضيف" (ابن سعد، 1990 :214)، لكن هذه الأزمة

أكبر من ذلك فقد نفد المخزون ولم يكتف أصحاب الحاجات " لجأ الناس إلى أمير المؤمنين فأنفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفده " (ابن كثير، 2005: 1826).

قرر عمر بن الخطاب من واقع مسؤوليته كخليفة للمسلمين أن يشارك رعيته مصابهم ، لذلك حرَّم على نفسه أكل كل طيب من طعام "فلم يأكل عمر في عام الرمادة سمناً ولا سميناً" (السيوطي، 1351هـ: 128)، كان في زمن الخصب يبث له الخبز باللبن والسمن فلما كان عام الرمادة كان يبث له بالزيت والخل "حتى اسود لونه وتغيّر جسمه وخاف المسلمون عليه الضعف" (ابن كثير، 2005: 1827) قد يقول قائل ما جدوى ما فعله عمر بنفسه فإن ذلك لم يؤثر على حياة الرعية، فالناس جياع شبع هو أم جاع ، لكن الأمة تنظر لقائدها، فإن شعر الناس أنه يعيش حياته مثلهم فإن ذلك يجعلهم يصبرون على ما أصابهم ولا يفعلون شيئاً يهدد الأمن القومي للبلاد، ولأن القائد يضرب هذا المثل الرفيع فإن من يلونه في القيادة لا بد أن يحذوا حذوه وينتهجوا نهجه، فحسم عمر بن الخطاب أمره وعاش مثلما يعيش القوم " كان لعمر بن الخطاب في زمن الرمادة إزاراً فيه ست عشرة رقعة وهو يقول اللهم لا تجعل هلكة أمة محمد على رجليَّ " (ابن سعد، 1990: 243).

ركب عمر بن الخطاب عام الرمادة دابة فراثت شعيراً فرآها عمر فقال: " المسلمون يموتون هزلاً وهذه الدابة تأكل شعيراً ، لا والله لا أركبها حتى يحيا الناس " (ابن سعد، 1990: 237). بل ذهب عمر إلى أبعد من ذلك فحرّم على أهل بيته اللحم ليتساووا مع الآخرين فما دام الناس جياع فليكن آل عمر مثلهم " كان لعبيد الله بن عمر بهمة فجعلت في التنور فخرج على عمر ريحها فقال: ما أظن أحداً من أهلي اجترأ عليَّ يا أسلم اذهب فانظر، فوجدها في التنور فقال عبيد الله: استرني سترك الله، قال أسلم: لقد عرف لن أكذبه فاستخرجها ثم جاء بها فوضعها بين يديه واعتذر إليه أن تكون بعلمه "(ابن سعد، 1990: 238).

كان عمر بن الخطاب حريصاً على رعيته يتفقدهم ويسأل عن أحوالهم، وقد راعه ان الجوع بلغ بهم مبلغاً حتى امتنعوا عن الكلام والضحك، كما أن الفقراء الذين كانوا يسألون الناس تركوا ذلك فالجميع تساوى في هذه المحنة القاسية زاد ذلك من هم عمر وعزم على إيجاد الحلول "عسَّ عمر ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحداً يضحك ولا يتحدث الناس في منازلهم كالعادة, ولم

ير سائلاً يسأل الناس فسأل عن سبب ذلك فقيل له إن السُّؤال سألوا فما أعطوا، والناس في هم وضيق لا يتحدثون ولا يضحكون فازداد همه "(ابن كثير، 2005: 1827) .

تدابير معالجة الأزمة:

اتخذ عمر بن الخطاب عدد من الإجراءات الهامة لمواجهة هذه الأزمة الاقتصادية ، شملت معالجات معنوية هي اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، تمثل ذلك في الدعاء والاستغفار وصلاة الاستسقاء، ثم معالجات مادية أهمها طلب العون والمدد من ولاته في الأقاليم.

صلاة الاستسقاء :

يقود عمر بن الخطاب أمة مؤمنة تلجأ إلى الله في مثل هذه المواقف لذا جمع عمر أهل المدينة ومن نزح إليها من الأعراب وكتب إلى عماله في كل إقليم الحجاز وتم تحديد يوم معين لأداء صلاة الاستسقاء " لما أجمع عمر على أن يستسقي ويخرج بالناس كتب إلى عماله أن يخرجوا يوم كذا وكذا وأن يتضرعوا إلى ربهم ، ويطلبوا إليه أن يرفع هذا المحل عنهم" (الطبري، د:ت : 701).

استجاب الناس داخل المدينة لدعوة عمر وأقيمت صلاة الاستسقاء "خرج الناس وخرج عمر حتى انتهى إلى المصلى فخطب الناس وتضرع ودعا ، وصلى ركعتين ثم انصرف فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا الغدران" (الطبري، د:ت : 701).

أدى المسلمون خارج المدينة صلاة الاستسقاء في نفس اليوم الذي صلى فيه عمر بأهل المدينة فكان هذا اليوم يوماً للتضرع والتقرب إلى الله، اجتمعت فيه كلمة الأمة وتوجهت إلى الله تسأله الرحمة " كانت العرب قد علمت اليوم الذي استسقى فيه عمر فخرجوا يستسقون كأنهم النسور العجاف تخرج من وكورها "(ابن سعد، 1990 :245).

بدأ عمر بعد صلاة الاستسقاء يتابع نزول المطر فهو يأمل في أن يرفع الله هذا البلاء عنهم فكان يستبشر كلما رأى سحابة فيكبر ويهلل " لما استسقى عمر بالناس مكثنا أياماً ثم جعلنا نرى السحاب وجعل عمر يظهر التكبير كلما دخل وخرج ويكبر الناس حتى نظرنا إلى سحابة سوداء طلعت من البحر ثم تشاءمت وكان الحيا بإذن الله " (ابن كثير، 2005: 1826).

الاستنجاد بولاة الأقاليم :

بدأت بواكير الفرج بنزول المطر، لكن لابد من تدابير سريعة وعاجلة لأن الجوعى لا يصبرون حتى يزرع الناس ويحصدون، بل من يزرع ومن يحصد فالقوم بين جائع وهالك، فاتجه عمر إلى ولاته في أقاليم الدولة الإسلامية الأخرى فأقاليم الشام والعراق غنية فلما فتحها المسلمون وأصبحت جزءاً من دولتهم كانت إضافة حقيقية مثلت بعداً اقتصادياً، فهي مناطق عرفت بخصوبة أرضها وصلاح مناخها وكثرة مياهها العذبة من أنهار وعيون. لم يغب ذلك عن ذهن عمر فاستعان بولاة هذه الولايات وطلب منهم مده سريعاً بالمؤن، خاصة وأن ولاة هذه الولايات من كرام الصحابة الذين يهمهم أمر المسلمين، وبالفعل كانت استجابتهم سريعة فأرسلوا القوافل محملة بالزاد إلى الحجاز فكانت قوافل خير وبركة على الحجازيين الذين أنهكهم الجوع.

حرص عمر بن الخطاب أن تصل هذه المؤن إلى مستحقيها وألا ينتفع منها البعض دون الآخر، بل كان حريصاً على معرفة أعدادها وأوزانها ولمن سلمت، عليه كان لابد من تشكيل غرفة عمليات اختار لها عدد من أصحابه الثقاة، تتلخص مهمتهم في استلام القوافل وتوزيعها إلى مستحقيها وتقديم تقرير يومي إليه بما تم " لما كان عام الرمادة تجلبت العرب من كل ناحية فقدموا المدينة فكان عمر بن الخطاب قد أمر رجالاً يقومون عليهم ويقسمون عليهم أطعمتهم وإدامهم ، فكان يزيد بن أخت النمر، وكان المسعود بن مخرمة، وكان عبد الله بن عتبة بن مسعود ، فكانوا إذا أمسوا اجتمعوا عند عمر فيخبرونه بكل ما كانوا فيه وكان كل رجل منهم على ناحية من المدينة " (ابن سعد، 1930: 241).

أصبحت مهمة هؤلاء الرجال الذين كلفهم عمر بهذه المهمة سهلة بعد تحديد مواقع داخل المدينة للأعراب النازحين ليسهل على غرفة العمليات عمليات الإحصاء وتحديد الاحتياجات وتقديم الخدمات المتاحة" كان الأعراب حلولاً فيما بين رأس الثنية إلى راجح إلى بني حارثة إلى عبد الأشهل ومنهم طائفة بناحية بني سلمة" (ابن سعد، 1930: 241).

وصول المدد من الشام:

كتب عمر إلى معاوية بالشام فاستجاب معاوية وأرسل القوافل محملة بالطعام والكساء " اذا جاءك كتابي هذا فابعث إلينا من الطعام فإن القوم قد هلكوا إلا أن يرحمهم الله "(ابن كثير: 1826) وصلت الإمدادات وكان في انتظارها غرفة العمليات المعدة لذلك فتم استلام القوافل

ووزعت على المحتاجين " يطعمون الناس الدقيق وينحرون لهم الجذر ويكسونهم العباء " (ابن سعد، 1990: 236).

كانت كذلك استجابة أبو عبيدة عامر بن الجراح الموجود بدمشق سريعة لنداء عمر "أن يا غوثاه لأمة محمد "(الطبري، د ت: 703)، قدم أبو عبيدة من الشام في أربعة ألف راحلة من طعام وهنا تظهر عبقرية عمر الإدارية فإنه طلب من أبي عبيدة أن يتم توزيع هذه القوافل للأعراب في أماكنهم خارج المدينة، فعمر أراد ألا تتسبب هذه المجاعة في نزوح الناس وتركهم لموطنهم الأصلي فيتسبب ذلك في خلل يصيب النسيج الاجتماعي لهم ولمن يأتون إليهم، ومعلوم أن عمر كان حريصاً على راحة سكان المدينة ولا يريد أن تمتلئ بالنازحين فتكون هنالك مشكلة سكن وخدمات تؤثر على دار الخلافة فتصبح المشكلة مضاعفة "فبدلاً أن تكون محصورة في عدم الطعام تصبح وقد أضيفت إليها مشكلة السكن "(محمد السيد الوكيل، 1995: 267) أيضاً أراد الخليفة أن يطمئن هؤلاء الناس بأن الطعام سيصلهم في أماكن سكنهم فلا يحتاجون للنزوح بحثاً عنه وبذلك يتوفر أكبر قدر من الاستقرار " ووقتها يخطط الخليفة في هدوء وتؤدة لمكافحة تلك المجاعة التي أوشكت أن تقضي على كل مقومات الحياة في الجزيرة العربية " (محمد السيد الوكيل، 1995: 268).

نفذ أبو عبيدة بن الجراح ما أمره به الخليفة فوزع قافلته على الأعراب حول المدينة، ثم رفع تقريراً بذلك إلى الخليفة نال رضاه وطمئنه على ما تم من معالجات. وبناءً على ذلك قرر أن يكافئ أبا عبيدة بأربعة ألف درهم نظير أتعابه، لكن أبا عبيدة الذي هو صنو عمر سلوكاً وأخلاقاً والمعروف بزهده وتقشفه يأبى ذلك، وعمر يعرف حاجته للمال فيصر عليه حتى يأخذها فهو يستحقها وزيادة" كافأ عمر أبا عبيدة بأربعة ألف درهم ردها أبو عبيدة ، قائلاً: لا حاجة لي فيها إنما أردت الله بذلك فلا تدخل على الدنيا قال عمر: خذها وألح عليه حتى أخذها" (الطبري، د:ت: 704).

وصول المدد من مصر وفلسطين:

استجاب عمرو بن العاص لنداء الخليفة وأرسل القوافل محملة بالطعام، لكن من أين أرسلت هذه القوافل؟ إذ يشير بعض المؤرخين أمثال (الطبري وابن سعد) أنها وصلت من مصر (الطبري: 700، ابن سعد، 1990: 236) غير أن ابن كثير يرى أن مصر لم تكن فتحت في عام

الرمادة الذي يوافي العام الثامن عشر الهجري ومصر في معظم الروايات التاريخية فتحت في العام الحادي والعشرين الهجري " لكن ذكر عمرو بن العاص في مصر عام الرمادة فيه مشكل فإن مصر لم تكن فتحت 18هـ" (ابن كثير، 2005: 1826) كما أن وصول جزء من هذه القوافل عبر البحر قد لا يكون دقيقاً فإن المسلمين لم يعتادوا ركوب البحر ولم يعرفوه إلا في خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، عليه فإنني أميل إلى أن عمرو بن العاص أرسل قافلته من فلسطين التي كان يتواجد فيها عام 18هـ فلما كتب إليه عمر بن الخطاب يطلب منه المدد استجاب سريعاً، ورد إلى عمر أنه سيفعل كل ما في وسعه للمساهمة في حل هذه الضائقة "من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص فيا غوثاه ثلاثاً"، فرد عمرو " أما بعد أتاك الغوث لأبعثنّ إليك بعيراً أولها عندك وآخرها عندي " (ابن سعد، 1990 : 236)، أرسل عمرو قوافله تباعاً ، فكلما جاءت قافلة تم إرسالها إلى إحدى المواقع المحتاجة لها "فبعث عمر رجلاً إلى الطعام الذي بعث به عمرو فحمل إلى أهل تهامة يطعمونه" (ابن سعد، 1990: 236) كما تم استقبال قافلة أخرى قادمة من عمرو بن العاص وجه عمر من استقبلها بمكانها وزوده بعدد من النصائح الهامة " مل بما لقيت من الطعام إلى أهل البادية فأما الظروف فاجعلها لحفاً يلبسونها، وأما الابل فانحرها لهم، وأما الدقيق فيصطنعون ويحرزون حتى يأتي أمر الله بالفرج" (ابن سعد، 1990: 236).

وصول المدد من العراق:

كتب الخليفة عمر بن الخطاب مستنجداً بأبي موسى الأشعري بالبصرة وسعد بن أبي وقاص بالكوفة فبعثا إليه بالطعام والكساء، تم استقبال القوافل من قبل رجال أرسلهم عمر فوزعوها على النازحين الجوعى من أهل البادية "أرسل عمر بن الخطاب من لقي طعام أهل العراق فجعلوا ينحرون الجذور ويطعمون الطعام ويكسون العباء حتى رفع الله ذلك عن المسلمين" (ابن سعد، 1990: 236).

إدارة عمر بن الخطاب لهذ الأزمة الاقتصادية:

أدار عمر بن الخطاب هذه الأزمة الحادة بحكمة وعبقرية إدارية ساهمت كثيراً في تقليل الآثار السالبة التي ترتبت عليها، من ذلك أنه حرص أن يبقى الناس في مواقعهم ما أمكنه إلى ذلك سبيلاً. كما حرص أن يتأكد بنفسه من أحوال النازحين بالمدينة بل ويشاركهم طعامهم وفي هذا رسالة للمجتمع بأن قادته إلى جواره يشاركونه سراءه وضراءه " كان عمر يطعم الناس

الثريد الخبز يأدم بالزيت وينحر الجذور فيجعلها على الثريد وكان عمر يأكل مع القوم كما يأكلون" (ابن سعد، 1990: 237).

إن المتتبع لسيرة عمر في عام الرمادة يجده يفعل كل ما في وسعه لعلاج هذه الأزمة فهو يتولى بنفسه الإشراف على توزيع الطعام بل ويشارك في صنعه " كان يتولى بنفسه إطعام من كان بالمدينة "(محمد السيد الوكيل، 1995: 271) ولنستمع إلى أحد الصحابة وهو يتحدث عن موقف عمر من هذه الأزمة حديث المعجب المندهش الذي يعرف عمر وقدر عمر " قال أبو هريرة يرحم الله عمر رأيته عام الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت في يده حتى انتهى إلى صرار فإذا نحو عشرين بيتاً من محارب، فرأيت عمر طرح رداءه ثم اتزر فما زال يطبخ لهم حتى شبعوا" (ابن سعد، 1990: 293) ولم يتركهم في مكانهم بل حدد لهم موقعاً داخل المدينة أكثر أمناً واطمئناناً " ثم أرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة ثم كساهم، وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك عنهم "(ابن سعد، 1990 : 293) فعمر كان مهتماً بشان رعيته مقدراً لمسؤوليته "بئس الوالي أنا إن شبعت والناس جياع، كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسهم "(محمود المصري، 2008: 152).

أعمل عمر بن الخطاب عقله وفكره ليتجاوز سكان بادية الحجاز ما ألم بهم فنراه يفكر في أن يجعل هؤلاء الأعراب ضيوفاً على أهل المدينة فتتحمل كل أسرة مجموعة معينة تقاسمها طعامها وشرابها فأهل المدينة يثق بهم ويعرف أنهم سيرحبون بهذه الفكرة " لو لم أجد للناس ما يسعهم إلا أن أدخل على كل أهل بيت عدتهم فيقاسمونهم أنصاف بطونهم حتى يأتي الله بحياً فعلت، فإنهم لن يهلكوا عن أنصاف بطونهم" (ابن سعد، 1990: 240).

ظل الخليفة عمر بن الخطاب يوالي تفقده للأعراب النازحين إلى المدينة ليتأكد بنفسه أنهم طعموا وشربوا بل وحملوا إلى ذويهم من مرضى وكبار سن ما يسدون به رمقهم " كان عمر يصنع الطعام وينادي مناديه، من أحب أن يحضر طعامنا فيأكل فليفعل، ومن أحب أن يأخذ ما يكفيه وأهله فليأت فليأخذه " (ابن سعد، 1990: 236).

فعل عمر في عام الرمادة كل شيء يبعد عن الناس شبح الجوع ويشعرهم بالاطمئنان والسلم المجتمعي يدل على ذلك مشاركته القوم وهم يصنعون طعامهم، فقرب الحاكم من رعيته

يساهم في تقوية البناء الاجتماعي للأمة "مر عمر على امرأة عام الرمادة وهي تعصد عصيدة فقال لها ليس هكذا تُعصد ثم أخذ المسوط فقال: هكذا، فأراها " (ابن سعد، 1990: 236).

إحصاء النازحين وجمع البيانات:

اهتم عمر بن الخطاب بمعرفة عدد الأعراب النازحين إلى المدينة فالإحصاء السكاني لم يكن معروفاً في زمانه، لكن بفطرته السليمة وقدراته الإدارية العالية، كان يريد أن يتعرف على حجم القضية ومن ثم يضع الحلول المناسبة لها. وبالطبع معرفة عدد النازحين وتصنيفهم ومعرفة عدد الذين يتم تقديم الخدمات لهم يساهم في حل القضية ومواجهة الصعوبات التي تواجهها " قال عمر: أحصوا من تعشى عندنا الليلة فأحصوهم فوجدوهم سبعة ألف رجل، قال: أحصوا العيالات الذين لا يأتون والمرضى والصبيان فوجدوهم أربعين ألفا ثم مكثنا ليال فزاد الناس فأمر بهم فأحصوا فوجدوا من تعشى عنده عشرة ألف والآخرين خمسين ألفا " (ابن سعد ، 1990:241) فعمر كان يحرص على وصول الطعام إلى ذوي الحاجات والضعفاء في أماكنهم " لما كان عام الرمادة كان عمر يطعم الناس من جاءه ومن لم يأت أرسل إليه الدقيق والتمر والأدم في منزله "(محمد السيد الوكيل، 1990: 271) ولم يكن ما يقوم به عمر بمعزل عن ولاته في الأقاليم خاصة بادية الحجاز فقد كتب إليهم يأمرهم بالوصول إلى الجهات النائية " يتعرفون على الناس ويتفقدونهم ويقفوا على حوائجهم ويخففوا عنهم مصائبهم " (محمد السيد الوكيل، 1990: 273).

وفاة عدد من الأعراب :

رغم ما بذل من جهد للإحاطة بأحوال النازحين بالمدينة فإن هذه المحنة القاسية أدت إلى وفاة البعض " وقد كان وقع فيهم الموت فأراهم مات ثلثاهم وبقى ثلث "(ابن سعد، 1990: 241) وكان عمر قريباً منهم يسأل عن مرضاهم ويخصهم بالطعام الجيد علهم يتجاوزون هذه المحنة " وكان عمال عمر يطعمون المرضى ويعملون لهم العصائد " (محمد السيد الوكيل، 1995 : 273) أما من مات منهم فقد شهد عمر جنازته وصلى عليه بعد أن جهزه وكفنه من بيت مال المسلمين " كان يتعاهد مرضاهم وأكفان من مات منهم ويصلي عليهم" (ابن سعد، 1990: 241) .

عودة سكان البادية إلى باديتهم:

حرص عمر بن الخطاب أن يعود سكان البادية إلى باديتهم فور هطول المطر، كان يرمي من ذلك إلى أمرين أحدهما أن سكان البادية لا يستطيعون العيش في المدينة التي نزحوا إليها قسراً فهم ألفوا نوعاً من الحياة لن يجدوها في المدينة فليرجعوا إلى باديتهم مكان سكنهم ويعيشوا داخل مراتع صباهم وفوق ذلك يفلحوا أرضهم وينتجوا قوتهم فقد نزل المطر فأحيا الأرض، ثانيهما أن وجودهم بالمدينة يصير مهدداً اجتماعياً واقتصادياً لأهل المدينة وربما ترتب على ذلك مخاطر جمة انتبه لها عمر فأراد أن يتداركها " فلما أحيوا قال عمر: أخرجوا إلى أماكنكم حيث اعتدتم من البرية ، فانشمر الناس من المدينة إلى أماكنهم "(ابن كثير، 2005: 1826) ولم يأمرهم عمر بالرجوع إلى بلادهم دون أن يجهز الضعيف وصاحب الحاجة فهو حريص على تحمل مسؤوليته حتى النهاية " فجعل عمر يحمل الضعيف منهم حتى لحقوا ببلادهم "(ابن سعد ، 1990: 241).

موقف عمر من الزكاة في عام الرمادة:

إن أروع ما فعله عمر في عام الرمادة وأعماله وأفعاله في تلك المحنة كلها روائع انه لم يجب الزكاة في ذلك العام "بل اجل ذلك حتى يرتفع الجدب ويكثر الخصب" (محمد السيد الوكيل، 1995: 273) لم يفعل عمر ذلك مكابرة ولا عن جهل فهو العالم بالقرآن وتأويله مجتهداً في دين الله ذو رأي وفتيا "سئل ابن عمر من كان يفتي الناس في زمن رسول الله (ص) قال: أبوبكر وعمر ما أعلم غيرهما "(حسن إبراهيم حسن، 1964: 249) فعمر أخر الزكاة عام الرمادة فلم يبعث عماله لجبايتها فلما كان العام القادم أمرهم أن يخرجوا " فيأخذوا عقالين يقسموا عقالاً ويقدموا عليه بعقال" (ابن سعد، 1990، 246).

الخليفة الإنسان:

يجد المرء نفسه مبهوراً بمواقف عمر بن الخطاب الإنسانية التي تنبئ عن شخصية غير عادية. لقد كان في كل مراحل هذه المحنة رجلاً قوياً وإدارياً فذاً وإنساناً بكل ما تحمل الكلمة من معنى، شارك الرعية في كل ما ألم بها، جاع مثلهم، زاد ألماً عندما تألموا، لم يصرفه كل ذلك عن أداء واجبه ومهامه الملقى على عاتقه، كان أعظم ما يلاحظه المرء فيه إصراره أن يكون أول الجوعى في زمن المحنة وآخر من يشبع عندما يرفع الله الجدب " نزل غلام عمر السوق بعد أن صرف الله السوء عن المسلمين، فوجد عكة سمن ولبن اشتراهما بأربعين درهماً وأحضرهما لعمر،

قال عمر: بكم اشتريتهما فأخبره، قال عمر: أغليت بهما تصدق بهما، فإني أكره أن آكل إسرافاً، ثم قال: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسهم " (الطبري، د:ت : 702) .

الخاتمة:

من خلال العرض السابق نخلص إلى نتائج إدارية واقتصادية ودينية وإنسانية وثقافية نجملها في الآتي:

1. **لم تؤثر أحداث مجاعة الحجاز على سير العمليات العسكرية في جبهتي القتال في فارس والروم لوجود قادة أكفاء يتولون مهام القيادة والإدارة.**
2. **تحمل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مسؤوليته تجاه هذه الأزمة بشجاعة واقتدار وقدرات إدارية عالية تعكس قدرته على مواجهة الأزمات.**
3. **كان عمر بن الخطاب في كل أطوار هذه المجاعة إنساناً يشارك الناس مصابهم فمواساة الرعية أكبر معين لتحمل البلاء والصبر عليه.**
4. **اهتم عمر بن الخطاب بالجانب الروحي بإقامته لصلاة الاستسقاء في المدينة والولايات فالاعتماد والتوكل والتضرع سبيل المستضعفين وسبب تفريج الكروب.**
5. **استفاد الخليفة عمر بن الخطاب من موارد الولايات الغنية مثل الشام والعراق معتمداً على موارد الدولة الذاتية.**
6. **حرص الخليفة على عودة النازحين إلى مواقعهم كي لا تمثل تهديداً اجتماعياً واقتصادياً على المدينة وكلف من يشرف على رجوعهم وقام بما يحتاجه الرجوع فعمر يعرف خطورة الهجرة العشوائية لذلك حرص على عودة النازحين إلى باديتهم.**
7. **أشرك الخليفة ولاته داخل وخارج الحجاز في معالجة هذه الأزمة.**
8. **شكل الخليفة غرفة عمليات وغرفة طوارئ لإدارة الأزمة ليتمكن من الإشراف التام والمحاسبة عند القصور.**
9. **لم يجب عمر الزكاة في عام الرمادة وإنما أخر ذلك للعام الذي يليه.**
10. **ما فعله عمر في عام الرمادة من مواقف إدارية وإنسانية وأخلاقية حري بقادة المسلمين في أي زمان ومكان أن يحاولوا تتبع آثارها والاقتداء بها فهم في أمسّ الحاجة للتشبه والاقتداء بعمر وأخلاقه وإنسانيته.**
11. **إن البلاء ليس قاصراً على الأشرار بل الأخيار قد يكونوا أشد بلاءً من الأشرار.**

12. لا يجوز اللجوء إلى الجمعيات والمنظمات الكنسية إذا وجد المسلمون ما يغنيهم عن ذلك.
13. ينبغي على المنظمات الغوثية الإسلامية أن تُعنى بهذه التدابير التي سلكها عمر وأن تتوسع فيها وتدرسها وتلقنها للعاملين فيها والمنتسبين إليها فهو أول من أصَّل في هذا المجال.

أهم المصادر والمراجع:

المصادر:

1. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، مناقب عمر بن الخطاب، مكتبة الصفا، القاهرة، 2005م .
2. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، الجزء الثالث، تحقيق محمد عبد القادر، دار الكتب العالمية: بيروت، 1990م .
3. ابن كثير، أبو إسماعيل، البداية والنهاية، الجزء السابع، دار التمدن: بيروت، 2005م.
4. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، إدارة المطابع الأميرية، القاهرة، 1351هـ.
5. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، المجلد الثالث، مكتبة الهلال: بيروت: د:ت.
6. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، الجزء الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1964م.
7. محمد السيد الوكيل، جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، 1995م.
8. محمود المصري، أصحاب الرسول (ص)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2008م.
9. محمد رضا، الفاروق عمر بن الخطاب، دار الكتب العالمية، بيروت، 1993م.

واقع أعداد ونسبة هيئة التدريس لطلاب البكالوريوس بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم في إطار ضبط جودة ونوعية التعليم العالي

د. بشير محمد آدم عبد الله
الأستاذ المشارك كلية التربية – جامعة الخرطوم

د. عصام إدريس كمتور الحسن
الأستاذ المشارك كلية التربية – جامعة الخرطوم

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على واقع أعداد ونسبة أعضاء هيئة التدريس لطلاب البكالوريوس المسجلين بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم خلال السنوات: 2010، 2011، 2012 في ضوء النسبة المتعارف عليها عالمياً في الكليات النظرية" الإنسانية والتربوية" وهي (1 : 22) في المتوسط باعتبارها إحدى مؤشرات ضبط الجودة في الجامعة. وقد تضمنت الكليات المشمولة بالدراسة: كلية الآداب، التربية، الدراسات الاقتصادية الاجتماعية، مدرسة العلوم الإدارية وكلية القانون.

خلُصت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها: أن نسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب في كليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم تتسم بالارتفاع، إذ بلغت في المتوسط (1: 33) في العام 2011 بما لا يتماشى مع المعيار العالمي. يشكل عدد طلاب كليات الدراسات الإنسانية

والتربوية بجامعة الخرطوم والبالغ عددهم (12419) بما يعادل (45%) من المجموع الكلي لطلاب الجامعة والذي يقدر خلال العام 2011 بـ (27886)، بينما يشكل أعضاء هيئة التدريس والبالغ عددهم (372) بما يعادل (30%) من مجموع أعضاء هيئة التدريس بالجامعة البالغ عددهم (1251). حازت كلية التربية من بين كليات الدراسات الإنسانية والتربوية الأخرى على أعلى نسبة لأعضاء هيئة التدريس إلى الطلاب (1:48). تشكل نسبة أعضاء هيئة التدريس الذكور بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية مجتمعة (62%)، بينما تشكل نسبة الإناث (38%) من أساتذة الجامعة. بلغت نسبة الطلاب الذكور بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية (66%) في جميع الكليات خلال العام 2011 وهي بذلك أقل من نسبة الإناث (34%) باستثناء كلية القانون والتي تفوقت فيها نسبة الذكور على الإناث بفارق ضئيل.

على ضوء هذه النتائج خرجت الدراسة بعدة توصيات من شأنها أن تسهم في ضبط جودة ونوعية الأداء بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم.

الكلمات المفتاحية: نسبة أعضاء هيئة التدريس، ضبط الجودة، طلاب البكالوريوس، كليات الدراسات الإنسانية والتربوية، جامعة الخرطوم.

Abstract

This study aimed to identifying the reality of the number and percentage of teaching staff to undergraduate students in humanities and educational faculties at the University of Khartoum, during the years: 2010, 2011, 2012. This was carried in the light of the internationally recognized ratio of teacher to students, namely, (1:22) as an average in the theoretical "humanitarian and educational" faculties as one of the indicators quality control at the University. The faculties covered by the study included: Faculty of Arts, Education, Social Economic Studies, School of Management Studies and Faculty of Law.

The study reached a number of findings. The most important are: that the percentage of teaching staff to students in the humanities and educational faculties at the University of Khartoum are characterized by a rising ratio, reaching an average (1:33) in the year 2011, which is not in line with global standards. The number of students in faculties of humanities and educational studies at the University of Khartoum is 12,419, which is equivalent to (45%)of the total number of the university students, which was estimated in the year 2011 as 27, 886. The total number of teaching staff was 372, equivalent to (30%) of the total teaching staff at the University of Khartoum

which is 1,251.Among the faculties of humanities and educational studies, the Faculty of Education had the highest ratio of teaching staff to students (1:48).

The percentage of male teaching staff in faculties of humanities and educational studies at the University of Khartoum was (62%), while the percentage of females constituted (38%).The percentage of male students in the faculties of humanities and educational studies at the University of Khartoum represented (66%) in the year 2011and is thus less than the percentage of females (34%) with the exception of the Faculty of Law, in which the percentage of males to females outperformed narrowly.

Based on the findings, the study came up with several recommendations that will contribute to the performance quality control in the faculties of humanities and educational studies at the University of Khartoum.

Keywords: Percentage of teaching staff; quality control; undergraduate students; Faculties of humanities and educational studies; University of Khartoum.

مقدمة

إن الأدوار المميزة التي يمكن لعضو هيئة التدريس القيام بها؛ فيما يتعلق بالتدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع، تجعل منه العنصر الأساسي في عمل المؤسسة التعليمية وركناً مهماً لبلوغ رسالتها، من هنا تعتبر عملية توفير أعضاء هيئة التدريس من حيث العدد والكفاءة في مؤسسات التعليم العالي أمراً مهماً بغية قيامها واستمراريتها بأداء وظائفها الرئيسة؛ فلبلوغ رسالة ورؤية أي مؤسسة تعليمية من مؤسسات التعليم العالي لعله يتوقف على العدد الكافي والمؤهل من أعضاء هيئة التدريس فيها. من هنا ينبغي على هذه المؤسسات أن تحدد حاجاتها من هيئة التدريس وفق خطة مدروسة ومنظمة قائمة على التوقعات المستقبلية للتوسع في القبول فيها، والنمو الطبيعي لطلابها، وما يتوقع أن يستجد فيها من برامج أكاديمية وما تنوي القيام به في إطار الخدمات الموجهة لطلابها والمجتمع المحلي الذي تقع فيه، وأن تعمل بشكل مستمر على النمو الأكاديمي والمهني لهيئة التدريس فيها حتى يتسنى لها الوصول إلى درجة عالية من الجودة والنوعية في عملياتها ومخرجاتها.

تأسيساً لما سبق فقد ارتبط تميز التعليم الجامعي بعدد من المؤشرات بضمنها حداثة الخطط والبرامج الدراسية لمستويات الخريجين وما يرتبط بها من تكلفة الطالب والارتباط بين المخرجات

وحاجة سوق العمل ورضاؤه عن المخرج التعليمي فضلاً عن نسبة أعضاء هيئة التدريس إلى الطلاب والتي باتت من أهم المؤشرات التي تميز التعليم الجامعي (فروهوالد،2003).

وهكذا ومن منطلق ما تمثله جامعة الخرطوم كجامعة عريقة ورائدة وبيت الخبرة الأول في السودان، وما يرتبط بذلك من منسوبي الجامعة من أعضاء هيئة التدريس، وما يمثلونه من ثقل نوعي في تحقيق الجامعة لأهدافها وقيامها بوظائفها في إطار ضبط نوعية وجودة التعليم العالي في السودان تجئ هذه الدراسة وذلك للوقوف على حجم النمو الذي تحقق في أعداد ونسبة أعضاء هيئة التدريس بجامعة الخرطوم لطلاب البكالوريوس بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تبرز مشكلة الدراسة من خلال القصور الواضح في تطبيق معايير الجودة والنوعية فيما يلي أعداد ونسبة عضو هيئة التدريس للطلاب بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم. وعليه يمكن أن تتمحور مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما واقع أعداد ونسبة هيئة التدريس لطلاب البكالوريوس بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم في إطار ضمان جودة ونوعية التعليم العالي؟

وتتفرع من هذا السؤال الأسئلة التالية؟

1. ما أعداد أعضاء هيئة التدريس والطلاب بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم خلال السنوات الدراسية المشمولة بالدراسة؟
2. ما نسبة أعضاء هيئة التدريس للطلاب بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم في ضوء النسبة المتعارف عليها عالمياً (1: 22) خلال السنوات الدراسية المشمولة بالدراسة؟
3. ما نسبة أعضاء هيئة التدريس الذكور إلى الإناث بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم؟
4. ما نسبة أعداد الطلاب الذكور إلى الإناث بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم؟

هدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة بصفة أساسية إلى الكشف عن واقع أعداد ونسبة أعضاء هيئة التدريس لطلاب البكالوريوس المسجلين بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم خلال السنوات: 2010 ،2011، 2012 في ضوء النسبة المتعارف عليها عالمياً في الكليات النظرية "الإنسانية والتربوية" وهي (1 : 22) في المتوسط باعتبارها إحدى مؤشرات ضبط الجودة والنوعية في الجامعة.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة من خلال:

- إعطاء مؤشر لمعيار الجودة المراد تحقيقها بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم في ضوء التزايد في أعداد الطلاب الراغبين في مواصلة تعليمهم الجامعي.
- تحديد الحاجات المستقبلية من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الخرطوم في إطار التوسع في برامجها وتخصصاتها.
- قد تفيد هذه الدراسة إدارة جامعة الخرطوم وغيرها من الجهات المهتمة بجودة التعليم العالي باعتبارها الأولى من نوعها في الجامعة؛ بما تقدمه من أرقام ودلالات إحصائية تبين نسبة أعضاء هيئة التدريس للطلاب في كليات الدراسات الإنسانية والتربوية باعتبارها إحدى عوامل ضمان جودة ونوعية التعليم العالي.

منهجية الدراسة:

إن هذه الدراسة تقويمية، اعتمدت المنهج الوصفي وخصائصه الميدانية التحليلية التي تقوم على جمع المعلومات اللازمة للتعرف على أعداد ونسبة أعضاء هيئة التدريس بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم للطلاب على ضوء النسب المتعارف عليها عالمياً وهي (1 :22) للتخصصات النظرية "الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية والتربوية والإدارية والاقتصادية" ونسبة (1 :17) للتخصصات العلمية وإن كانت الثانية خارج نطاق الدراسة، ليتم بعد ذلك تصنيف تلك المعلومات وتحليلها والخروج منها بإجابات عن أسئلة الدراسة ومن ثمّ الوصول إلى نتائج واستنتاجات تعكس وجهة نظر الباحثين.

وعليه فقد تم تصميم استمارة وُزعت على جميع الكليات المشمولة بالدراسة بالتعاون مع أمانة الشؤون العلمية بجامعة الخرطوم والعمداء بهذه الكليات ورؤساء الأقسام، حيث طُلب منهم كتابة الأعداد الفعلية لأعضاء هيئة التدريس بهذه الكليات، كذلك تم الحصول من خلال مسجلي هذه الكليات على المجموع الكلي لأعداد الطلاب المسجلين بالأقسام المختلفة بهذه الكليات خلال الأعوام الجامعية المشمولة بالدراسة؛ إذ تم بناءً عليها حساب نسبة أعضاء هيئة التدريس إلى الطلاب عن طريق قسمة أعداد الطلاب على أعداد أعضاء هيئة التدريس ككل لاستخراج نسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب في كل كلية.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على كليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم بحسب التصنيفات المتفق عليها في الجامعة، وعليه فقد تحددت بأعضاء هيئة التدريس وطلاب البكالوريوس المسجلين خلال الأعوام: 2010، 2011، 2012 في كليات: كلية الآداب، التربية، الدراسات الاقتصادية الاجتماعية، مدرسة العلوم الإدارية وكلية القانون.

الإطار النظري للدراسة:

إن جودة ونوعية هيئة التدريس كما أشار إلى ذلك كل من(زيدان، 1998& الأغا،2010& David & Harold,2000) في عماد يعتبر من العوامل المهمة لجودة التعليم العالي، ويرتبط ذلك بعدة مؤشرات لعل من بينها عددية وكفاية أعضاء هيئة التدريس، ونسبة الطلاب إلى أعضاء هيئة التدريس، وما صاحب ذلك من مستجدات فيم يتعلق بالإقبال المتزايد من على التعليم العالي وزيادة نسبة الطلاب لعضو هيئة التدريس في كثير من مؤسسات التعليم العالي العربية والإقليمية فيما أشارت إليه في كثير من المؤتمرات (المؤتمر العالمي للتربية UNESCO Global Education,2004 المؤتمر العالمي للتعليم العالي (UNESCO ,1998).

مفهوم الجودة والنوعية

أشار إدوارد (Edward,1993) إلى أن الجودة بمعناها المطلق تعني الامتياز لنوعية معينة من المنتج، أما رينهرت (Rinehert,1993) فيري أن الجودة في التعليم العالي ينبغي أن تركز على انطباعات الشهرة والسمعة للمؤسسة؛ فالجامعات التي لديها إمكانات كبيرة، وتسهيلات أحسن غالباً ما تكون الأفضل، وهي تشتق من حجم الميزانيات، ومعدلات أعضاء هيئة التدريس ونسبتهم إلى الطلاب، وعدد المجلدات في المكتبات والمرافق في الجامعات وغيرها. وعليه يرى الباحثان أن من أهم مظاهر الجودة في التعليم العالي الإشارة إلى الجيد والممتاز بالقياس إلى غير ذلك من السيئ، الأمر الذي يتطلب توافر مؤشرات ومعايير للحكم على أساسها على الجودة وبضمنها معيار نسبة أعضاء هيئة التدريس إلى الطلاب، من هنا تبلور مصطلح ضبط الجودة (Quality Control) والذي يقصد به مجموعة من الإجراءات تلك التي تقيس مدى مطابقة منتج لمجموعة من المعايير المحددة مسبقاً، وقد تؤدي عند الضرورة إلى تعديل عمليات الإنتاج ليُصبح المنتج أكثر اتفاقاً مع المعايير المحددة، وأضحى بذلك ضبط الجودة جزء لا يتجزأ من إدارة الجودة يركز على تلبية معايير الجودة ومدى التحقق من استيفاء المتطلبات(العبيدي،2009).

وهكذا بات يُنظر لعملية ضبط الجودة بأنها عملية بعدية بالنسبة للمنتج أو الخدمة، أي أنها تأتي بعدها، وهدفها اتخاذ إجراء معين بالنسبة للمنتجات أو الخدمات التي تبين بعد الفحص والتدقيق

أنها ليست بالمستوى المطلوب؛ ويكون الإجراء برفضها أو التخلص منها، أو دراسة أسباب الفشل وبالتالي فإن ضبط الجودة لا تمنع الفشل بيدَ أنها تشير إليه.

أما النوعية في التعليم العالي فتعني مدى ملاءمة التعليم العالي للأهداف المرجوة، ولهذه النظرة دلالات عديدة يمكن إيجازها فيما يلي: (عليوة؛1997)، (David&Harold,2000):

- إن النوعية في التعليم العالي متعددة الجوانب.
- ترتبط النوعية بالأهداف عامة كانت أو خاصة، وقد ترتبط الأهداف بجانب أو أكثر في العملية الأكاديمية.
- لا توجد مؤشرات نوعية واحدة لكل مؤسسات التعليم العالي في العالم، بل لكل بيئة ثقافية واجتماعية مؤشرات نوعية خاصة.
- إن النوعية في التعليم العالي ترتبط بسياق اجتماعي معين، فرغم وجود معايير عامة في كل المجتمعات؛ إلا أننا لا نستطيع أن نطبق هذه المعايير على جميع المجتمعات بنفس الطريقة وبنفس المنهجية.

فعلى سبيل المثال: في المملكة العربية السعودية فقد حددت خطة التنمية نسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب بنسبة (1 : 17) في التخصصات العلمية و (1 : 22) في التخصصات النظرية، أي ما يعادل (1:21) على مستوى الجامعة. وفي جامعة Alberta الكندية كان هدفهم عام 2011/2010 الوصول لنسبة (1 : 22) في حين كانت النسبة (1 : 22.4) عام 2002/2003. وعليه وفي ضوء ما أطلع عليه الباحثان من أدبيات ذات صلة عالمياً وإقليمياً؛ فقد تم اعتماد نسبة (1 : 22) وهي النسبة المتعارف عليها عالمياً (حسان،1421) كمعيار استندت إليه الدراسة الحالية لضبط الجودة فيما يتعلق بنسبة أعضاء هيئة التدريس للطلاب بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية المشمولة بالدراسة بجامعة الخرطوم.

عرض النتائج ومناقشتها:

للإجابة عن السؤالين الأول والثاني للدراسة تم استخراج التوزيع التكراري لأعداد أعضاء هيئة التدريس من منسوبي كليات الآداب، الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، التربية، العلوم الإدارية وكلية القانون وأعداد الطلاب المسجلين في هذه الكليات خلال الأعوام 2010 ، 2011 ، 2012م والجداول رقم: (1 –1)، (1 –2)، (1 –3)، (1 –4)، (2) توضح نتيجة ذلك:

جدول رقم (1-1) يوضح أعداد أعضاء هيئة التدريس والطلاب ونسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب بكلية الآداب خلال الأعوام 2010 ، 2011 ، 2012م

العام	أعداد أعضاء هيئة التدريس	أعداد الطلاب	نسبة عضو هيئة التدريس للطلاب
2010	158	3006	19: 1
2011	151	4551	30: 1
2012	157	3093	20: 1
المعدل	466	10650	23: 1

المصدر : الدراسة الميدانية، 2014م

جدول رقم (1-2) يوضح أعداد أعضاء هيئة التدريس والطلاب ونسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب بكلية الاقتصاد خلال الأعوام 2010 ، 2011 ، 2012م

العام	أعداد أعضاء هيئة التدريس	أعداد الطلاب	نسبة عضو هيئة التدريس للطلاب
2010	65	1736	27: 1
2011	49	1767	36: 1
2012	60	1921	32: 1
المعدل	174	5424	31: 1

المصدر : الدراسة الميدانية، 2014م

جدول رقم (1-3) يوضح أعداد أعضاء هيئة التدريس والطلاب ونسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب بكلية التربية خلال الأعوام 2010 ، 2011 ، 2012م

العام	أعداد أعضاء هيئة التدريس	أعداد الطلاب	نسبة عضو هيئة التدريس للطلاب

2010	105	5034	48: 1
2011	115	4668	41: 1
2012	177	5565	31: 1
المعدل	397	15267	38: 1

المصدر : الدراسة الميدانية، 2014م

جدول رقم (4-1) يوضح أعداد أعضاء هيئة التدريس والطلاب ونسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب بكلية العلوم الإدارية خلال الأعوام 2010 ، 2011 ، 2012م

العام	أعداد أعضاء هيئة التدريس	أعداد الطلاب	نسبة عضو هيئة التدريس للطلاب
2010	31	700	23: 1
2011	31	793	26: 1
2012	45	742	16: 1
المعدل	107	2235	21: 1

المصدر : الدراسة الميدانية، 2014م

جدول رقم (1-5) يوضح أعداد أعضاء هيئة التدريس والطلاب ونسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب بكلية القانون خلال الأعوام 2010 ، 2011 ، 2012م

العام	أعداد أعضاء هيئة التدريس	أعداد الطلاب	نسبة عضو هيئة التدريس للطلاب
2010	23	665	29: 1

2011	26	640	25: 1
2012	25	621	25: 1
المعدل	74	1926	26: 1

المصدر : الدراسة الميدانية، 2014م

جدول رقم (2) يوضح مقارنة أعداد أعضاء هيئة التدريس والطلاب ونسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية للأعوام 2010 ، 2011 ، 2012م

الكلية	أعداد أعضاء هيئة التدريس 2010	أعداد الطلاب 2010	نسبة عضو هيئة التدريس للطلاب 2010	أعداد أعضاء هيئة التدريس 2011	أعداد الطلاب 2011	نسبة عضو هيئة التدريس للطلاب 2011	أعداد أعضاء هيئة التدريس 2012	أعداد الطلاب 2012	نسبة عضو هيئة التدريس للطلاب 2012
الآداب	158	3006	19 : 1	151	4551	30 : 1	157	3093	20 : 1
الدراسات الاقتصادية والاجتماعية	65	1736	27 : 1	49	1767	36 : 1	60	1921	32 : 1
التربية	105	5034	48 : 1	115	4668	41 : 1	177	5565	31 : 1
العلوم الإدارية	31	700	23 : 1	31	793	26 : 1	45	742	16 : 1
القانون	23	665	29 : 1	26	640	25 : 1	25	621	25 : 1
المجموع	382	11141	29 : 1	372	12419	33 : 1	464	11942	26 : 1

بالنظر إلى الجداول أعلاه نلاحظ في الجدول رقم (1-1) والجدول (2) أن عدد أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب اتسم بالثبات خلال الأعوام الدراسية المشمولة بالدراسة، كما نلاحظ من الجدول مدى التذبذب في نسب أعضاء هيئة التدريس إلى الطلاب خلال الأعوام المشمولة بالدراسة وهي في مجملها تعد من النسب المنخفضة تبعاً للمعيار العالمي لضبط الجودة وبما ينسجم لحد كبير مع أعداد الطلاب باستثناء العام 2011م والذي بلغت فيه النسبة (1 : 30) وهي نسبة مرتفعة مقارنة بالنسب العالمية، في الوقت الذي بلغ فيه المعدل العام (1 : 23)، الأمر الذي ربما يتطلب وجود آليات لضبط الجودة بالكلية؛ باعتبار أن نسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب إحدى مؤشراتها.

بالنسبة لكلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية نلاحظ من الجدول رقم (1 -2) والجدول (2) التزايد المستمر في أعداد الطلاب من عام لآخر خلال السنوات الدراسية المشمولة بالدراسة في الوقت الذي انخفضت فيه أعداد هيئة التدريس بالكلية؛ حيث أن هذه الزيادة في أعداد الطلاب لم تواكبها زيادة مناسبة في أعداد أعضاء هيئة التدريس مما انعكس على نسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب لتصل في العام 2011 إلى (1 :36) وفي العام 2012 إلى (1 : 32) بمعدل عام (1 : 31) وهي تعد من النسب المرتفعة ، الأمر الذي ربما يتطلب من الكلية العمل على خفض هذه النسبة إلى أقل من (1 :25) على اعتبار أنها أحد المؤشرات الدالة على الجودة فيها.

بالنظر إلى الجدول رقم (1 -3) والجدول (2) نجد أن هناك تزايد واضح في أعداد أعضاء هيئة التدريس خلال الأعوام الدراسية المشمولة بالدراسة لتصل إلى (177) عضو هيئة تدريس في العام 2012م، وبالمقابل نلاحظ النمو المتزايد لأعداد الطلاب المقبولين بكلية التربية خلال العقد الأخير وتحديداً في السنوات المشمولة بالدراسة ليصل العدد خلال العام 2011 إلى (4668) طالباً بما يمثل (17%) من طلاب جامعة الخرطوم في هذا العام و (38%) من طلاب كليات الدراسات الإنسانية والتربوية. ليقفز العدد إلى (5565) طالباً في العام 2012م.

هذا وعلى الرغم من الزيادة الملحوظة في أعداد أعضاء هيئة التدريس والطلاب بكلية التربية ؛ بيد أن نسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب تظل مرتفعة إذ بلغت: (1 :48)، (1 :41)، (1 :31) على الترتيب خلال السنوات المشمولة بالدراسة، ومع ذلك يُلاحظ أن هذه النسب في تناقص مستمر، الأمر الذي ربما يُعطي مؤشراً على مراعاة إدارة الجامعة بالتنسيق مع إدارة الكلية لزيادة

أعضاء هيئة التدريس كهدف تسعى لتحقيقه بما يواكب التزايد المستمر في أعداد الطلاب بالقدر الذي يضمن ضبط نسبة الطلاب إلى عضو هيئة التدريس كأحد مؤشرات ضمان الجودة بجامعة الخرطوم؛ وإن لم تصل النسبة بعد لما هو متعارف عليه عالمياً، حيث أن نسبة عضو هيئة التدريس للطلاب في الكلية بلغت في المتوسط (1 : 38) وهي نسبة مرتفعة الأمر الذي يدعو إلى ضرورة أن تسرع الكلية الخطى في سبيل خفضها باعتبارها مؤشر على الجودة فيها.

بالرجوع إلى الجدول رقم (1 –4) والجدول (2) يتضح أن هناك ثمة عدم استقرار في أعداد أعضاء هيئة التدريس والطلاب في كلية العلوم الإدارية، حيث بلغ عدد أعضاء هيئة التدريس (31) في كل من العامين 2010 ، 2011 ليقفز إلى (45) في العام 2012، وفيما يتعلق بعدد الطلاب فُيلاحظ أن هناك زيادة إجمالية في أعداد طلاب الكلية خلال السنوات المشمولة بالدراسة؛ إذ كان عدد الطلاب المقبولين (700) في العام 2010 ليرتفع إلى (793) في العام 2011 ومن ثمّ يتناقص إلى (742) في العام 2012. ومع هذا التذبذب في أعداد الطلاب وأعضاء هيئة التدريس نلاحظ من الجدول أن متوسط نسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب في الكلية خلال السنوات المشمولة بالدراسة(1 :21) ولعلها من النسب النموذجية وفق المعيار العالمي، الأمر الذي ربما يشير إلى وجود آليات لضبط الجودة في الكلية؛ باعتبار أن نسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب إحدى مؤشراتها، وقد أتاح هذا الوضع وبحكم متابعة الباحثين إقامة علاقة مباشرة ووطيدة بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس وقد انعكس ذلك على ما يقوم به من دور مهم في ترجمة رسالة الكلية إلى ممارسات فعلية على أرض الواقع. فمجهوداتهم مكنت الكلية من استمرار للكلية في تقديم تعليم عال الجودة للطلاب.

يتضح من الجدول رقم (1 –5) والجدول (2) مدى التراجع المستمر في أعداد الطلاب المسجلين في كلية القانون خلال الأعوام الثلاث المشمولة بالدراسة، إذ بلغ (662) في العام 2010 ليتناقص غلى (640) ، (621) في العامين 2011، 2012 على الترتيب، وبالمقابل نلاحظ عم الاستقرار في أعداد أعضاء هيئة التدريس بالكلية ففي الوقت الذي بلغ فيه (23) عضو هيئة تدريس في العام 2010؛ ارتفع إلى (26) في العام 2011 لينخفض إلى (25) في العام 2012. عموماً بلغ متوسط نسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب خلال السنوات الدراسية المشمولة بالدراسة (1 :26) وهي قريبة من المعيار العالمي، وهي بحاجة إلى مزيد من الانخفاض.

من واقع ما تم استعراضه من إحصائيات يتضح أن متوسط نسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب في كليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم تتسم بالارتفاع، إذ بلغت (1: 33)

في العام 2011 مما يتطلب من إدارة هذه الكليات العمل على وضع خطة منظمة وفق آلية محددة لخفضها.

للإجابة عن السؤال الثالث "ما نسبة أعضاء هيئة التدريس الذكور إلى الإناث بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم "؟ تم استخراج التوزيع التكراري لأعداد أعضاء هيئة التدريس من منسوبي كليات الآداب، الدراسات الاقتصادية والاجتماعية التربية، العلوم الإدارية وكلية القانون خلال العام 2011 والجداول رقم: (3) يوضح نتيجة ذلك:

جدول رقم (1-3) يوضح مقارنة نسبة أعداد أعضاء هيئة التدريس الذكور والإناث من حملة الماجستير والدكتوراه بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية للعام 2011م

الكلية	عدد أعضاء هيئة التدريس	عدد الذكور	النسبة	عدد الإناث	النسبة
الآداب	151	96	%64	55	%36
الدراسات الاقتصادية والاجتماعية	49	36	%74	13	%26
التربية	115	57	%50	58	%50
العلوم الإدارية	31	20	%65	11	%35
القانون	26	22	%85	4	%15
المجموع	372	231	%62	141	%38

المصدر : الدراسة الميدانية، 2014م

يتبين من الجدول رقم (3 -1) التذبذب في نسبة أعضاء هيئة التدريس الذكور إلى الإناث بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية المشمولة بالدراسة صعوداً ونزولاً مع ملاحظة ارتفاعها لدى

الذكور في جميع الكليات عدا كلية التربية حيث جاءت النسبة مناصفة بين الجنسين. في الوقت الذي شكلت فيه كلية القانون أكبر نسبة للذكور (85%) تليها كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية فالآداب.

نلاحظ كذلك من الجدول أن إجمالي عدد أعضاء هيئة التدريس الذكور بهذه الكليات مجتمعة بلغ (231) بنسبة (62%) بينما تشكل نسبة الإناث (38%) بعدد بلغ (141). وبمزيد من القراءة لنسبة الذكور والإناث من أعضاء هيئة التدريس في الكليات المشمولة بالدراسة جدول رقم (3–2) تبين للباحثين أن (252) من أعضاء هيئة التدريس من حملة الدكتوراه يشكل الذكور (67%) منهم بعدد (170) بينما يبلغ عدد الإناث من حملة الدكتوراه (82) بنسبة (33%). أما حملة الماجستير فقد بلغ (120) يشكل الذكور منهم (61) وعدد الإناث (59) وعليه يستنتج الباحثان أن نسبة الذكور من حملة الدكتوراه في جميع كليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم بات واضحاً تفوق نسبة الإناث بينما هناك ثمة توازن في نسبة كل من الذكور والإناث من حملة الماجستير بهذه الكليات.

جدول رقم (2–3) يوضح مقارنة نسبة أعداد أعضاء هيئة التدريس الذكور والإناث من حملة الدكتوراه بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية للعام 2011م

الكلية	عدد أعضاء هيئة التدريس	عدد الذكور	النسبة	عدد الإناث	النسبة
الآداب	110	72	%65	38	%35
الدراسات الاقتصادية والاجتماعية	30	26	%87	4	%13
التربية	79	43	%56	36	%44
العلوم الإدارية	17	14	%82	3	%18
القانون	16	15	%94	1	%6
المجموع	252	170	%67	82	%33

المصدر: الدراسة الميدانية، 2014م

للإجابة عن السؤال الرابع" ما نسبة أعداد الطلاب الذكور إلى الإناث بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم؟ تم استخراج التوزيع التكراري لأعداد الطلاب المسجلين بكليات الآداب، الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، التربية، العلوم الإدارية وكلية القانون خلال العام 2011 والجداول رقم: (4) يوضح نتيجة ذلك:

جدول رقم (4) يوضح مقارنة نسبة الطلاب الذكور والإناث بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية للعام 2011م

الكلية	عدد الطلاب	عدد الذكور	النسبة	عدد الإناث	النسبة
الآداب	4551	1811	%40	2740	%60
الدراسات الاقتصادية والاجتماعية	1767	738	%42	1029	%58
التربية	4668	1113	%24	3555	%76
العلوم الإدارية	793	247	%31	546	%69
القانون	640	324	%51	316	%49
المجموع	12419	4233	%34	8186	%66

بالرجوع إلى الجدول رقم (4) يتبين أن نسبة الطلاب الذكور بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية تبدو في جميع الكليات أقل من الإناث باستثناء كلية القانون والتي تفوقت فيها نسبة الذكور على الإناث بفارق ضئيل. عموماً يظهر الجدول أن عددية الطالبات تشكل (66%) من المجموع الكلي، بينما تشكل عددية الطلاب نسبة (34%). فالتزايد الكبير لأعداد الطالبات قد ألقى بظلاله على الجهات المسؤولة بالجامعة بما يطلبه من توفير خدمات نوعية فيما يتعلق بأماكن السكن والمرافق الأخرى التي تخص الطالبات.

وعلى صعيد تكافؤ الجنس وبمقارنة هذه النسبة بالمعدل العالمي والبالغ(1.083) لصالح الطلاب، نجد أن هذه النسبة والتي بلغت (1.94) لصالح الطالبات قد تجاوزت هذا المعدل بكثير.

وبمقارنة أعداد طلاب هذه الكليات خلال العام 2011م بالعدد الكلي لطلاب الجامعة جدول رقم (5) نلاحظ أن أعداد نسبة طلاب الدراسات الإنسانية والتربوية: (الآداب، الدراسات الاقتصادية

والاجتماعية، التربية، العلوم الإدارية وكلية القانون) تمثل (44%) من العدد الكلي لطلاب الجامعة؛ تشكل كليتي الآداب والتربية (33%) من هذه النسبة.

جدول رقم (5) يوضح مقارنة للطلاب بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية مع طلاب الجامعة للعام 2011م

الكلية	عدد طلاب الكلية	عدد طلاب الجامعة	النسبة المئوية
الآداب	4551	27886	%17
التربية	4668	27886	%16
الدراسات الاقتصادية والاجتماعية	1767	27886	%6
العلوم الإدارية	793	27886	%3
القانون	640	27886	%2
المجموع	12419	27886	%44

خلاصة النتائج

بناءً على ما تم استعراضه؛ فيما يلي أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج:

- اعتمدت الدراسة لحد كبير لغة الأرقام والإحصائيات؛ وعليه فإن الأمر ربما لا يحتاج في كثير من الأحيان إلى شرح وتعليق.
- تتسم نسبة عضو هيئة التدريس إلى الطلاب في كليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم بالارتفاع، إذ بلغت في المتوسط (1: 33) في العام 2011 بما لا يتماشى مع المعيار العالمي.
- حازت كلية التربية من بين كليات الدراسات الإنسانية والتربوية الأخرى على أعلى نسبة لأعضاء هيئة التدريس إلى الطلاب (1 :48).
- يشكل عدد طلاب كليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم والبالغ عددهم (12419) بما يعادل (45%) من المجموع الكلي لطلاب الجامعة والذي يقدر خلال العام

2011 بـ (27886)، بينما يشكل أعضاء هيئة التدريس والبالغ عددهم (372) بما يعادل (30%) من مجموع أعضاء هيئة التدريس بالجامعة البالغ عددهم (1251).

- شكلت كلية التربية في العام 2011 أكبر كليات الجامعة من حيث عدد الطلاب؛ حيث بلغ (4668) بما يمثل (17%) من طلاب الجامعة، (38%) من طلاب كليات الدراسات الإنسانية والتربوية، أعقبتها كلية الآداب بـ (4551) طالباً بنسبة (16%) من طلاب الجامعة ونسبة (37%) من طلاب كليات الدراسات الإنسانية والتربوية الأخرى.
- يبلغ إجمالي عدد أعضاء هيئة التدريس الذكور بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية مجتمعة (231) بنسبة (62%)، بينما تشكل نسبة الإناث (38%) بعددية بلغت (141).
- بلغت نسبة الطلاب الذكور بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية (66%) في جميع الكليات خلال العام 2011 وهي بذلك أقل من نسبة الإناث (34%) باستثناء كلية القانون والتي تفوقت فيها نسبة الذكور على الإناث بفارق ضئيل.
- يمثل أعداد طلاب الدراسات الإنسانية والتربوية بجميع كلياتها (44%) من العدد الكلي لطلاب الجامعة خلال العام 2011؛ تشكل كليتي الآداب والتربية (33%) من هذه النسبة.

وبعد فإنه وبعد إحدى عشر سنة على انعقاد مؤتمر بيروت العالمي للتعليم العالي 1998م، انعقد مؤتمر عالمي في القاهرة حول التعليم العالي في العام 2009 حيث أشار في تقريره الختامي إلى التطورات التي حصلت في التعليم العالي خلال فترة ما بين المؤتمرين، والتي تضمنت إنجازات من حيث إتاحة الفرص؛ فارتفع عدد الطلاب لكل مأئة ألف نسمة من (1294) إلى (2379) (منظمة الأمم المتحدة،2010 :64)، وتطوير نظام القبول مما أسهم في ارتفاع نسبة الإناث إلى حوالى (50%) وقد تزيد، كما بين التقرير تنوع مؤسسات التعليم العالي وارتفاع عددها، وانتشارها جغرافياً وإنشاء هيئات لضمان وضبط الجودة(منظمة الأمم المتحدة،2010 :60)، فكل هذه التطورات لعلها مؤشرات على التحسن الذي طرأ مقارنة بما كان في العام 1998م، ولكن تبقى مسألة نوعية التعليم العالي وما يرتبط بها من نسبة الطلاب إلى أعضاء هيئة التدريس كما يشير(فريحة،2012) هي التي تقلق المختصين والمهتمين بأمر التعليم العالي.

التوصيات

في ضوء ما خلُصت إليه الدراسة يتقدم الباحثان بالتوصيات التالية:

- العمل على وضع خطة شاملة يتم بموجبها زيادة أعداد أعضاء هيئة التدريس بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم ومراعاة نسبة الطلاب إلى أعضاء هيئة التدريس بما يتطابق مع المعايير الدولية ويحقق القدر المناسب من ضبط الجودة.
- تطوير وزيادة الخدمات النوعية التي تقدمها جامعة الخرطوم للطالبات.
- تأهيل المعامل وتجهيزها بجميع كليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم وتوفير العدد المناسب من القاعات المهيئة والتي تسع لمجموعات صغيرة ومتوسطة العدد (50 – 100 طالب) وإحلالها محل القاعات الكبيرة، حيث لم يعد مجدياً التعامل مع المجموعات الكبيرة من الطلاب في سبيل تحقيق التفاعل المطلوب معهم ومراعاة حاجاتهم وقدراتهم
- يقترح الباحثان إجراء دراسة مماثلة عن أعداد أعضاء هيئة التدريس ونسبتهم إلى الطلاب في الأقسام والتخصصات المتعلقة بكليات الدراسات الإنسانية والتربوية بجامعة الخرطوم.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

1. الأغا، وفيق، إيهاب (2010). استراتيجيات مقترحة لمعايير ضمان جودة الأداء الجامعي. غزة: جامعة الأزهر.
2. زيدان، مراد صالح(1998مؤشرات الجودة في التعليم الجامعي المصري. ورقة مقدمة إلى مؤتمر التعليم العالي وتحديات القرن الحادي والعشرين: جامعة الفيوم.
3. حسان، خديجة عبد الماجد(1421). مؤشرات مقترحة لأداء مؤسسات التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية. ورقة عمل مقدمة لندوة التعليم العالي الأهلي، الرياض: كلية التربية، جامعة الملك سعود.
4. العبيدي، سيلان جبران(2009). ضمان جودة مخرجات التعليم العالي في إطار حاجات المجتمع. ورقة علمية مقدمة للمؤتمر الثاني عشر للوزراء المسئولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي "الموائمة بين مخرجات التعليم العالي وحاجات المجتمع في الوطن العربي"
   بيروت: 6 – 10 ديسمبر.
5. عليوة، السيد(1997). تأثير العولمة على تحسين جودة التعليم العالي. ورقة مقدمة إلى مؤتمر اتحاد الجامعات العربية، صنعاء.

6. فريحة، نمر منصور(2012). واقع التعليم العالي في الوطن العربي: العوائق والحلول المستقبلية. بيروت: مكتب اليونسكو الإقليمي.
7. فروهوالد وولفجانج (2003)، "ثقافة المعرفة أم سوق المعرفة؟ حول الايدلوجية الجديدة للجامعة" مجلة فصلية للتربية المقارنة. تصدر عن مكتب التربية الدولي، اليونسكو، جنيف: العدد 125، المجلد 23، العدد (1).
8. منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (2010). " التقرير الإقليمي: عقد من التعليم العالي في البلدان العربية (1998 – 2009) الإنجازات والتحديات، بيروت: مكتب اليونسكو الإقليمي.

ثانياً: السجلات والملفات

1. سجلات أمانة الشؤون العلمية (2011)، جامعة الخرطوم.
2. سجلات المكاتب الأكاديمية (2011). كليات الدراسات الإنسانية والتربوية، جامعة الخرطوم.
3. سجلات مكاتب المسجلين (2011). كليات الدراسات الإنسانية والتربوية، جامعة الخرطوم.
4. ملفات الأساتذة (2011)، فروع إدارة الموارد البشرية، كليات الدراسات الإنسانية والتربوية، جامعة الخرطوم.
5. ملفات أعضاء هيئة التدريس (2011)، إدارة الموارد البشرية، جامعة الخرطوم.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

1. David,B. & Harold,T. (2000). Quality in higher education. Vol (6), Routledge, part of the Taylor and Francis Group.
2. Edward, S(1993). Total quality Management in Education. Kogan page limited, London.
3. Rinehart, G.(1993). Quality education- ASQC. Quality press, United States of America.
4. UNESCO (1998). World Conference on Higher Education: Higher in the Twenty- first Century. Vision & Action. Paris,5 -9 October, volume (1),Final report.
5. UNESCO Global Education (2004). Comparing Education Statistics Across the world. Unesco Institute for Statistics. Montreal

الإعجاز القرآني بين الرماني والباقلاني عرض وموازنة

د. صالح بن أحمد بن سليمان العليوي

الأستاذ المساعد بكلية التربية – جامعة شقراء– المملكة العربية السعودية

المستخلص

يهدف البحث إلى تعريف معنى الإعجاز في اللغة والاصطلاح، والدوافع التي أدت لظهور مؤلفات حول الإعجاز القرآني مع استعراض تاريخ التأليف في الإعجاز من القرن الثالث الهجري وحتى العصر الحديث.

تناول البحث آراء كل من الرماني حول الإعجاز القرآني في كتابه: (النكت في إعجاز القرآن) لتعريف أوجه الإعجاز القرآني مع تبيين رأي العلماء حول موضوع الصَّرفة، وآراء الباقلاني حول الإعجاز القرآني في كتابه: (إعجاز القرآن)، وذكر أوجه الإعجاز القرآني، والفوائد البلاغية في كتابه، وخاصة فيما يتعلق عن البديع بمفهومه الواسع والذي يشمل أبوب البلاغة كلها وما طرح من أمثله وشواهد في ذلك. ثم تم طرح الموازنة بين الكتابين، من حيث طريقة العرض، والاستشهاد والنقل من الآخرين، وذكر أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، مع ذكر آراء بعض العلماء فيهما. وتوصل البحث إلى عدد من النتائج أهما:

1. أن أول من سمى إيجاز القصر هو الرماني.
2. أن القارئ في كتاب الباقلاني لا يمل؛ لأن الباقلاني اتبع طريقة المتكلمين الذين يكثرون من إيراد التساؤلات ويجيبون عليها.
3. أن الرماني لم يستشهد في كتابه إلا بالآيات، بخلاف الباقلاني الذي استشهد بالآيات والأحاديث وأقوال الشعراء والمأثور عن العرب، وهذا يدل على سعة اطلاعه، ومكانته في زمانه.
4. أن هناك فرقا بين من يقول بالصَّرفة أصلاً، وبين من يعدها وجهاً من وجوه الإعجاز فقط.
5. أن كلاً من الرماني والباقلاني ادعى أن السبب في تأليف كتابه سؤال سائل.
6. أن كلاً منهما يرى أن القرآن خارج عن ضروب الكلام المعروفة عند العرب.

Abstract

The research aims to define the meaning of miracles in the language and terminology, and the motives that led to the emergence of issues on Quranic miracle with a review of the history of copyright in the miracle of the third Hijri century to the modern era.

The research views the opnions of each of Rummani about the miracle of the Qur'an in his book, (Jokes in the miracles of the Qur'an) to identify aspects of the Qur'anic miracles indicate with the opinion of the scientists on the topic of Morphologia, and Albaqlani opinions about the miracle of the Qur'an in his book: (Qur'an miracle) his says and aspects of the Qur'anic miracles, and the rhetorical benefits in his book, especially with regard to the broadest magnificent concept, which includes all of the types of Morphologia and all examples and evidence exhabit in that. In addition to the Comparison betweem the books, in terms of the view, and quotation and transfering from others, The points of agreement and disagreement between them, with the views of some scientists about them. The research found a number of findings, including:

1. The first named abbreviated limitation is the Rummani.
2. the reader of the Albaqlani book does not exhausted, because Albaqlani follow the way speakers who have increased their revenue questions and answer them

3. The Rummani not cited in the book, but the verses, unlike Albaqlani which cited verses and hadiths and sayings of poets and the adage about the Arabs, and this shows briefed capacity, and its place in his time.
4. There is a difference between those who say Morphologia is original, and those counted as asort miracle only.
5. Both Rummani and Albaqlani claimed that the reason for his written book, a question means.
6. Both believe that the Koran is beyond the speech known to the Arabs.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا بحث بعنوان: [الإعجاز القرآني بين الرماني والباقلاني عرض وموازنة] وقع الاختيار عليه دون غيره لأسباب منها:

ارتباط مسألة الإعجاز بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً يتيح لي من خلال ذلك معايشة القرآن الكريم في ثنايا فصول البحث، والرغبة في الاطلاع والقراءة حول الإعجاز القرآني ومؤلفاته، ومعرفة أسرار إعجاز القرآن الكريم، وقد سرت في البحث وفق خطة شملت : مقدمة، وتمهيداً ، وثلاثة فصول، وخاتمة، وثبتاً بالمصادر والمراجع.

اشتمل التمهيد على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في معنى الإعجاز لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: في الدوافع التي أدت لظهور مؤلفات حول الإعجاز القرآني .

المبحث الثالث: في تاريخ التأليف في الإعجاز من القرن الثالث وحتى العصر الحديث.

الفصل الأول، وعنوانه: الرماني وآراؤه حول الإعجاز القرآني، وقد اشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: حياة الرماني.

المبحث الثاني: آراؤه حول الإعجاز القرآني في كتابه" النكت في إعجاز القرآن ".

الفصل الثاني، وعنوانه : الباقلاني وآراؤه حول الإعجاز القرآني وقد اشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: حياة الباقلاني .

المبحث الثاني: آراؤه حول الإعجاز القرآني في كتابه" إعجاز القرآن ".

الفصل الثالث، وعنوانه: الموازنة بين الكتابين، وقد اشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: طريقتهما في العرض، والاستشهاد، والنقل من الآخرين.

المبحث الثاني: الأشياء التي اتفقا فيها.

المبحث الثالث: آراء بعض الكتاب في الحكم على الكتابين.

المبحث الرابع: رأي الباحث في الكتابين.

خاتمة البحث: ذكرت فيها ملخصه، وما تحقق من نتائج، ثم ثبتاً بالمصادر والمراجع.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب التوفيق والسداد للجميع، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

المبحث الأول: في معنى الإعجاز لغة واصطلاحاً.

كلمة الإعجاز لغة من (أعجز)، وأعجزه الشيء إذا لم يتمكن من مجاراته، ومنه معجزة أي: شيء خارق للعادة يأتي على يد الأنبياء عليهم السلام، والمصطلح معجزة، يستخدم لكل حالة صعبة المنال إذا تم تحقيقها، وكذلك إعجاز.

يقول الإمام الرازي في هذه الكلمة: (أعجزه) الشيء فاته، و(عجّزه تعجيزاً) ثبطه، أو نسبه إلى العجز، و(المعجزة) واحدة و(معجزات) الأنبياء عليهم السلام، وهي غير المعجزة بفتح الجيم

وكسرها وتعني عدم القدرة، و(العجزُ) أي: الضعف باب ضرب، و(عجِزت) من باب طرب (الرازي 1985 : 413).

تأتي مادة (ع ج ز) في لغة العرب لمعنيين: أخذ الإعجاز، والمعجزة من أحدهما، وهو: الضعف والعجز، تقول: عجز عن الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز إذا ضعف، وتقول: أعجزني فلان إذ عجزت عن طلبه وإدراكه، ومنه قوله تعالى عن لسان الجن: {وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً}, (الجن: 12)، وقوله تعالى: { وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ}, (العنكبوت: 22), {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ}, (الشورى:31) يقول ابن منظور: ومعنى الإعجاز الفوت والسبق، والمعجزة: واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام الدالة على صدقهم، وسميت معجزة؛ لأن البشر يعجزون عن الإتيان بها (ابن منظور مادة : عجز).

وفي الاصطلاح: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، فهذا يعني أن الأمر في البداية من الله تعالى إلى رسوله الكريم ، ثم يتم تبليغ هذا الأمر من الرسول الكريم إلى الناس كافة، وكون هذا الأمر خارقاً للعادة لا يعني الاستحالة؛ إنما هو فوق قدرة البشر، وإن كان في ظاهره في مقدورهم وفي مكنتهم؛ لأن أجزاءه ومفرداته مما يعرفون، وهذا التحدي لم يكن لفترة قصيرة، إنما اقترن بزمن طويل، وهو مدة ثلاث وعشرين سنة، ولقد ارتبط هذا الإعجاز بالقرآن الكريم، ويمكن أن نعتبر كل ما دار حول القرآن الكريم، من شروح وتفاسير، وتوضيحات وإرشادات تخدم غرضه، وتبين مقصده، يمكن أن تعتبر من بدايات دراسة " الإعجاز القرآني "

(أبو علي: 21).

المبحث الثاني: الدوافع التي أدت لظهور مؤلفات حول " الإعجاز القرآني".

نقول عندما توسعت الدولة الإسلامية، وازدادت رقعتها وكثر الداخلون فيها، احتاج القوم إلى شيء من التسجيل والتوضيح، وتبيان أسرار القرآن الكريم، زيادة على ذلك أصبحت الحاجة ملحة إلى تسجيل هذه الظاهرة لصدّ هجوم المشككين في الرسالة وقيمتها من الشعوبيين وغيرهم من مثل الذين نالوا من عقائد المسلمين بالتهوين والسخرية والاستهزاء لمثل هذه الدوافع بدأت ظاهرة "الإعجاز القرآني" تأخذ نصيبها من التسجيل في أثناء البحوث والدراسات، ولم تستقل في كتب خاصة، فقد كانت بدايات تلك الظاهرة في كتب النحويين من مثل كتاب "مجاز القرآن " لأبي عبيدة

معمر بن المثنى، وكتب اللغويين من مثل كتاب "غريب القرآن" لابن قتيبة، وعند البلاغيين: من مثل كتابي " دلائل الإعجاز " و "أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني، وعند المفسرين: من مثل " تفسير ابن جرير الطبري " والكشاف " للزمخشري.

المبحث الثالث: تاريخ التأليف في الإعجاز من القرن الثالث حتى العصر الحديث.

كانت بداية ظهور كتب الإعجاز القرآني في القرن الثالث الهجري، فمن أوائل تلك الكتب كتاب" نظم القرآن" للجاحظ ت (255هـ) والذي لا نعرف عنه شيئاً سوى حديث الجاحظ عنه، وإشاراته في بعض كتبه.

وفي القرن الرابع نجد كتباً كثيرة درست الإعجاز من جميع نواحيه من ذلك " البيان في إعجاز القرآن " للخطابي ت(386هـ) والنكت في إعجاز القرآن للرماني ت(388هـ) وإعجاز القرآن للباقلاني ت(403هـ) والجزء السادس عشر من كتاب المغنى في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ت(315هـ) باسم " إعجاز القرآن "، وفي القرن الخامس، جاءت دراسات عبد القاهر الجرجاني ت(471هـ) باسم " دلائل الإعجاز " ودراسة ابن حزم الظاهري ت(456هـ) في رده على كتاب الباقلاني، وفي القرن السادس، دراسة محمد بن عمر الرازي ت(606هـ) في كتابه" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " وهو تلخيص لما كتبه عبد القاهر الجرجاني في كتابيه" الدلائل والأسرار "، وفي القرن السابع ظهر ابن أبي الأصبع المصري ت(654هـ) في كتابه" بديع القرآن"، وفي القرن الثامن، برز العلوي، يحي بن حمزة ت(754هـ) في كتابه " الطراز".

وفي القرون اللاحقة توالت الدراسات من مثل دراسة السيوطي ت(911هـ) في كتابه" معترك الأقران في إعجاز القرآن"، وفي العصر الحديث، كثرت دراسة الإعجاز القرآني من ذلك تفسير الشيخ محمد عبده "للذكر الحكيم" والرافعي في كتابه" إعجاز القرآن والبلاغة النبوية " وغيرهم كثير (أبو علي: 31).

الفصل الأول: حياة الرماني وآراؤه حول الإعجاز القرآني في كتابه: النكت في إعجاز القرآن

المبحث الأول: حياة الرماني وتشمل: ولادته، نشأته، مكانته العلمية، كتبه ومؤلفاته.

هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، الذي ولد سنة ست وتسعين ومائتين من الهجرة بمدينة سامرا، أو ببغداد، ونشأ نشأة فقيرة واشتغل بطلب العلم، واستعان على كسب قوته بالوراقة، وأخذ اللغة والنحو على جماعة من شيوخ العلم مثل: أبي بكر بن دريد، وأبي بكر السراج، والزجاج .

وكان الرماني محباً للعلم، واسع الاطلاع، متقنا للأدب وعلوم اللغة والنحو، لذلك لقب بالنحوي المتكلم شيخ العربية وصاحب التصانيف ، وكان إلى جانب ذلك ميالاً لعلوم المنطق والفلسفة والنجوم، ويبدو أثر هذه العلوم في تصانيفه وأسلوب تأليفه .

ولقد برع الرماني في علوم شتى من هذه العلوم علوم القرآن والتفسير وألف فيها، وكانت له مشاركة في الحياة العامة في بغداد، وفي أحداثها السياسية الهامة، وكان محبوباً مقدراً عند العامة والخاصة ،توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة للهجرة بعد حياة حافلة .

وللرماني مكانة عند معاصريه تتضح لنا فيما كتبه عنه معاصره أبو حيان التوحيدي إذ قرر أنه لم ير مثله قط علماً بالنحو، وغزارة في الكلام، وبصراً بالمقالات، واستخراجاً للعويص، وإيضاحاً للمشكل.

وقال عنه ابن سنان: إنه ذو مكان مشهور في الأدب وممن اعتمد عليه ونقل عنه من العلماء : ابن رشيق، وابن سنان، وابن أبي الإصبع العدواني المصري والسيوطي (الرماني : 8) .

ألف الرماني كتباً كثيرة نذكر منها : التفسير الكبير، والجامع في علوم القرآن، والنكت في إعجاز القرآن، وشرح معاني القرآن للزجاج، وشرح كتابي المدخل والمقتضب للمبرد، وشرح كتاب سيبويه ونكت سيبويه، وشرح الألف واللام للمازني، وكتاب التصريف، وكتاب الهجاء، وكتاب الإيجاز في النحو، وكتاب المبتدأ في النحو، وغيرها من الكتب (الحموي : 280/5 والخطيب: 16/2)

المبحث الثاني : الرماني وآراؤه حول الإعجاز القرآني

صاغ الرماني رسالته " النكت في إعجاز القرآن " في صورة جواب عن سؤال وجه إليه طالباً بيان النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج، وهو يستهل الرسالة برد هذه النكت إلى سبع جهات، هي:

1) ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.
2) التحدي للكافة.
3) الصّرفة.
4) البلاغة.
5) الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة.
6) نقض العادة.
7) قياسه بكل معجزة.

ومع أن الرماني رتب وجوه الإعجاز بالصورة الآنفة الذكر، إلا أنه بدأ حديثه عن البلاغة، متناسياً الوجوه الثلاثة الأولى، ليدلل على أنه مشغول بشأن البلاغة (الرماني: 96).

الوجه الأول من وجوه الإعجاز: البلاغة

يبتدئ حديثه عنها، فيقول إنها على ثلاث طبقات: عليا ووسطى ودنيا، والعليا هي بلاغة القرآن، والوسطى والدنيا بلاغة البلغاء حسب تفاوتهم في البلاغة، ثم يمضي بعد ذلك فيعرِّف البلاغة بأنها:" إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صوره من اللفظ"، ثم يذكر بعد ذلك أقسام البلاغة، وهي عشرة عنده:

يبدأ بالإيجاز، فالتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان.

فيعرف الإيجاز بأنه: " تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى " ويشرح التعريف، ثم يذكر قسميه : إيجاز الحذف، وإيجاز القصر معرفاً لهما، وذاكراً أمثلة من القرآن الكريم ، ويوازن الرماني بين قوله تعالى { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ } (البقرة 179) وقول العرب: " القتل أنفى للقتل " فيذكر أن النص القرآني يمتاز بأربعة أوجه:

أنه أكثر فائدة، وأوجز في العبارة، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة، وأحسن بتأليف الحروف المتلائمة، ثم يختم حديثه بذكر الفرق بين الإيجاز والتقصير، وبين الإطناب والتطويل.

ويتحدث عن التشبيه فيعرفه بقوله: "هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل "، ومن خلال التعريف يرى الرماني أن التشبيه حسي وعقلي، فالحسي كماءين وذهبين يقوم أحدهما مقام الآخر ونحوه، والعقلي نحو تشبيه قوة زيد بقوة عمرو، فالقوة لا تشاهد ولكنها تعلم سادة

مسد أخرى، وترجع بلاغة التشبيه في رأي الرماني إلى ما يؤدي إليه من بيان، ويقع على وجوه أربعه: إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، إخراج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به عادة، إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة، مستشهداً لكل قسم بشواهد قرآنيه مما جعل جهده يمثل خطوة واسعة على طريق البحث البلاغي.

ويتحدث عن الاستعارة فيعرفها بقوله: " هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"، ويفرق بينها وبين التشبيه ذاكراً أركانها : مستعار، ومستعار له، ومستعار منه، ويشير إلى تعريف الاستعارة البليغة بقوله:

" كل استعارة بليغة فهي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه، إلا أنه بنقل الكلمة والتشبيه بأداته الدالة عليه في اللغة "، متبعاً دراسته بالشواهد القرآنية.

ويتحدث عن التلاؤم فيعرفه بقوله " التلاؤم نقيض التنافر" ، ويقسمه إلى ثلاثة أوجه: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا، ويذكر بعد ذلك أمثلة من القرآن الكريم والأبيات الشعرية.

ويتحدث عن الفواصل فيعرفها بقوله: هي" حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني" ثم يعلق قائلاً : الفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، ويورد الخلاف بين العلماء في حكم تسمية ما في القرآن سجعاً ذاكراً حجج الممانعين وإجابة المجيزين في ذلك .

ويتحدث عن التجانس فيعرفه قائلاً هو: "بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة " ثم يقسمه إلى قسمين:

تجانس مزاوجة، وتجانس مناسبة، ويمثل له.

ويتحدث عن التصريف وهو على غير عادته لم يعرفه، ولكنه اكتفى بذكر قسميه: تصريف المعنى في المعاني المختلفة، وتصريف المعنى في الدلالة المختلفة، ويستشهد بما ذكر بأمثلة من القرآن الكريم.

ويتحدث عن التضمين فيعرفه قائلاً هو: " حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أوصفه هي عبارة عنه"، ثم يذكر نوعيه: ما يدل عليه الكلام دلالة الإخبار، وما يدل عليه الكلام دلالة قياس، ويذكر لذلك أمثلة.

ويتحدث عن المبالغة ، فيعرفها قائلاً هي:" الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة"، ثم يذكر وجوهها وهي:" التعبير بصيغة تدل على المبالغة، استخدام الصيغة العامة في موضع الخاصة، إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة، إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة، إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة، حذف الأجوبة للمبالغة، ويستشهد على ما ذكر بأمثلة من القرآن الكريم.

ويختم حديثه عن البلاغة بذكر باب البيان فيعرفه قائلاً هو: " الإحضار لما يظهر به تمييز الشيء من غيره في الإدراك"، ويقسمه إلى أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة، ويدلل على ذلك بأمثلة من القرآن الكريم (الرماني: 77).

الوجه الثاني من وجوه الإعجاز: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.

بدأ الرماني حديثه بقوله:" أما توفر الدواعي ، فيوجب الفعل مع الإمكان لا محالة في واحد كان أو جماعة" ثم يذكر دليلاً على ذلك مفاده؛ لو أن إنساناً توفرت الدواعي فيه إلى شرب ماء بحضرته من جهة عطشه واستحسانه لشربه وكل داعٍ يدعو إلى مثله، وهو مع ذلك ممكن له، فلا يجوز ألا تقع شربة منه حتى يموت عطشاً لتوفر الدواعي، فإن لم يشربه مع توفر الدواعي له دل ذلك على عجزه عنه، فكذلك توفر الدواعي إلى المعارضة بالنسبة للقرآن فلما لم تقع دل على أنه معجز (الرماني: 101).

الوجه الثالث من وجوه الإعجاز: التحدي للكافة

يقول الرماني في هذا الوجه " وأما التحدي للكافة فهو أظهر في أنهم لا يجوز أن يتركوا المعارضة مع توفر الدواعي إلا للعجز عنها "، والصحيح أن هذين الوجهين . أعني الثاني والثالث . لا يعدان من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وإنما هما من الدلائل التي تثبت إعجازه، لأن أي معجزة يشترط لها شرطان، التحدي بالمعجزة للكافة، وتعذر معارضتها بمثلها، فهذان الشرطان لا بد من

توفرهما في سائر المعجزات، وكذا في القرآن الكريم، لكنهما لا يعتبران من أوجه إعجازه الخاصة (عتر: 228).

الوجه الرابع من وجوه الإعجاز: الصَّرفة:

يبدأ الرماني حديثه عن هذا الوجه بتعريفه فيقول " وأما الصَّرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة؛ وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة" وفي هذا دلالة على أنه ناقل عن غيره، وتابع له يدل على ذلك قوله" وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر .

منها للعقول"، ومما يفيد البحث ويثريه أنه أوضح مذاهب العلماء وأقوالهم في عد الصَّرفة وجهاً من وجوه الإعجاز، أو عدم عدِّها مورداً رأي العلماء حول هذه القضية، حيث انقسموا إلى ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: ذهبت إلى القول بأن الله صرف العرب عن معارضة القرآن، وقد كان في قدرتهم أن يعارضوه، ويأتوا بمثله لولا أن الله حال بينهم وبين هذا الغرض، فصرف همهم عن منافسته ومباراته على الرغم من شدة الدوافع الداعية لذلك؛ كالتقريع بالعجز وتسفيه العقول وذم الآلهة والآباء، فصار العائق عن معارضتهم للقرآن أمراً خارجاً عن ذات القرآن، وكان على رأس هذه الفرقة، إبراهيم بن سيار، الشهير بالنظام ت (224هـ) فهو أول من جاهر بهذا القول وأعلنه، ودعاء إليه، ودافع عنه .

الفرقة الثانية: ذهبت إلى القول بالصَّرفة وعدت الصَّرفة وجهاً من وجوه الإعجاز، فهي متابعة للفرقة الأولى؛ لكن مضمون كلامها يختلف عن قولها، فممن نحا هذا المنحى الجاحظ في كتابه المفقود" نظم القرآن" فعنه يقول في أحد كتبه" وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلى في الاحتجاج للقرآن، والرد على كل طعَّان، فلم أدع فيه مسالة لرافضي، ولا لحديثي ولا لحشوي ولا لكافر مياد، ولا لمنافق مقموع، ولا لأصحاب النظام ممن يزعم أن القرآن حق، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة " (بركة: 57)

الفرقة الثالثة: اتجهت اتجاهاً آخر وهو معارضة القول بالصَّرفة بتاتاً، ممن نحا هذا المنحى الخطابي في كتابة" بيان إعجاز القرآن" فهو يقول: إن قوماً ذهبوا إلى أن العلة في إعجازه الصرفة،

أي صرف الهمم عن المعارضة، وإن كانت المعارضة مقدوراً عليها، إلا أن صرف الله لهم عنها لما كان أمراً خارجاً عن مجاري العادات صار كسائر المعجزات، ثم يورد رأيه بقوله:" إلا أن دلالة الآية تشهد بخلافه وهي قوله سبحانه { قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} (الإسراء 88) فأشار في ذلك إلى أمر طريقة التكلف والاجتهاد وسبيله التأهب والاحتشاد، والمعنى في الصَّرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة، فدل على أن المراد غيرها " (الخطابي: 20).

وممن أخذ بهذا القول الباقلاني في كتابه: " إعجاز القرآن " نلحظ ذلك في حديثه عن الصَّرفة حيث يقول: " على أنه لو كانوا صرفوا على ما ادعاه لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة، وحسن النظم وعجيب الرصف، لأنهم لم يتحدوا إليه ولم يلزمهم حجته، فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم أن ما ادعاه القائل بالصِّرفة ظاهر البطلان " (الباقلاني: 45) .

وهكذا تبين لنا بعد استعراض مذاهب العلماء حول القول بالصَّرفة، أن أصح هذه الأقوال هو القول الثالث لمطابقته لظاهر الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة وتابعيهم.

الوجه الخامس من وجوه الإعجاز: الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة .

بدأ هذا الوجه وختمه بذكر الآيات التي ورد بها الخبر الصادق عن الأمور المستقبلة، ومنها قوله تعالى: { وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ } (الأنفال 7) حيث يعلق الرماني بقوله: " فكان الأمر كما وعد من الظفر بإحدى الطائفتين العير التي كان فيها أبو سفيان، أو الجيش الذي خرجوا يحمونها من قريش، فأظفرهم الله عز وجل بقريش يوم بدر على ما تقدم به الوعد " (الرماني: 102).

الوجه السادس من وجوه الإعجاز : نقض العادة.

يقول الرماني في هذا الوجه: إن القرآن الكريم قد جاء بطريقة في التعبير خارجة عما اعتاده العرب، فأنواع الكلام عندهم، منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، وطريقة القرآن تغاير هذه الطرق كلها، ولها منزلة تفوق به كل طريقة.

الوجه السابع من وجوه الإعجاز: قياسه بكل معجزة:

يعني به أن المعجزة في جوهرها إنما تكون في أمر خارج عن العادة، وفي عجز الناس عن معارضته، وبهذا المقياس فإن القرآن الكريم معجزة سبيله في ذلك سبيل فلق البحر، ثم يعرض تساؤلاً مفاده " لعل السور القصار ممكن للناس معارضتها " فيجيب: بأن التحدي قد وقع بها فلم يخص بالطوال دون القصار (الرماني : 103) .

وهنا نصل إلى نهاية المطاف عند الرماني بعد استعراضنا لكتابه، ويحق لنا أن نسجل له هدفه الأصيل، وهو الكشف عن البلاغة القرآنية، وإبراز دلائل إعجازها، والذي بدأ واضحاً في حديثه عن أبوب البلاغة العشرة، وما قدمه من شواهد قرآنيه، ونكت بلاغية، وموازنات بين النصوص رحمه الله رحمة واسعة وجزاه خير الجزاء .

الفصل الثاني: الباقلاني حياته وآراؤه حول الإعجاز القرآني في كتابه: إعجاز القرآن

المبحث الأول: اسمه ولقبه وكنيته ومذهبه، مشائخه وتلاميذه ، تصانيفه، وفاته.

هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني البصري، ولد عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة للهجرة، وهو من أهل البصرة وسكن بغداد، يتبع مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ويؤيد اعتقاده، ويناصر طريقته، كان في علمه أوحد زمانه، موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب، كثير التطويل في المناظرة عند الجماعة.

مشايخه وتلامذته:

سمع الحديث في بغداد من أبي بكر بن مالك القطيعي، وأبي محمد بن ماسي، وأبي أحمد الحسين بن علي النيسابوري، وقد أخذ علم النظر عن أبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد الطائي صاحب الأشعري .

تصانيفه :

صنف الباقلاني في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهمية، فمن كتبه إعجاز القرآن، والانتصار، وكشف الأسرار الباطنية، والملل والنحل، ومناقب الأئمة، ونهاية الإيجاز في رواية الإعجاز، وهداية المسترشدين في الكلام، والإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به .

وفاته :

توفي القاضي أبو بكر الباقلاني آخر يوم السبت ، ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة، سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد رحمه الله تعالى، وصلى عليه ابنه الحسن، ودفنه في داره بدرب المجوس ثم نُقِل بعد ذلك، فدفن في مقبرة باب حرب ، والله أعلم بالصواب (الباقلاني : 12) ، يقول عنه صاحب الوفيات : كان في علمه أوحد زمانه، انتهت إليه الرياسة في مذهبه وكان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب وكان كثير التطويل في المناظرة ، مشهوراً بذلك عند الجماعة (ابن خلكان: 269/4).

المبحث الثاني: الباقلاني وآراؤه حول الإعجاز القرآني .

ذكر في مقدمة كتابه: " إعجاز القرآن " بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله أن القرآن الكريم" كتاب يتضمن صدق متحملة ورسالة تشمل على تصحيح قول مؤديها، بَيَّن فيه سبحانه أن حجته كافية هادية لا يحتاج مع وضوحها إلى بينة تعدوها أو حجة تتلوها"، ثم يقول أيضاً " ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه، وأولى ما يلزم بحثه، ما كان لأصل دينهم قواماً، ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاماً، وعلى صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهاناً، ولمعجزته ثبتاً وحجة لا سيما والجهل ممدود الرواق ..."، ولقد اشتكى الباقلاني من تقصير العلماء في البحث حول إعجاز القرآن، فهو يقول: إن بسط القول في الإبانة عن وجه معجزته أحق بكثير من الذين صنفوا من القول في الخبر ودقيق الكلام في الإعراض وكثير من بديع الإعراب وغامض النحو، فالحاجة إلى هذا أمس والاشتغال به واجب (الباقلاني : 21) .

ثم يلتمس العذر لأولئك العلماء قائلاً " وقد يعذر بعضهم في تفريط يقع منه فيه، وذهاب عنه؛ لأن هذا الباب ما يمكن إحكامه بعد في التقدم في أمور شريفة المحل، عظيمة المقدار، دقيقة المسلك، لطيفة المأخذ" ، ثم ذكر بعد ذلك أن الجاحظ ألف كتاباً وأسماه " نظم القرآن " لكنه لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى، ويظهر لنا أن الباقلاني قد تحامل على الجاحظ، ولعل تفسير ذلك أن الجاحظ من رؤوس المعتزلة، والباقلاني من رؤوس الأشاعرة، ومعلوم مابين المذهبين من خلاف.

ويعتبر كتاب: " إعجاز القرآن " للباقلاني من أهم الكتب وأنضجها التي تتحدث عن قضايا الإعجاز القرآني، وهو في الوقت ذاته من المصادر البلاغية الأساسية، التي أسهمت في تحديد مسار البلاغة.

إن القضايا البلاغية ومباحثها المتعددة ، تختلط في الكتاب بالقضايا الكلامية اختلاطا متوازنا، فتتفرد القضايا البلاغية ببعض الفصول، وكذلك الفصل الطويل الذي خصصه للحديث عن البديع من الكلام، وذلك في الفصل الأخير عن" وصف وجوه البلاغة " الذي يتتبع فيه وجوه البلاغة العشرة، التي سبق أن أوردها الرماني في كتابه: "النكت في إعجاز القرآن" وتتفرد القضايا الكلامية ببعض فصول الكتاب، كذلك الفصل الذي عده في أول الكتاب عن: أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن، والبعض الثالث من فصول الكتاب شركة بين القضايا البلاغية والقضايا الكلامية، كالفصل الذي كتبه عن" جملة وجوه إعجاز القرآن" حيث يحصر الإعجاز القرآني في هذا الفصل في مجموعة وجوه، بعضها كلامي، وبعضها بلاغي.

والذي يهمنا هو التعرف على المباحث البلاغية في كتابه" إعجاز القرآن" ومدى تمثلها لطبيعة عصره، وأن نتعرف على أسهاماتها في تطوير البحث البلاغي من ناحية أخرى ، ونظرة فاحصة في الفصل الذي عقده الباقلاني في" جملة وجوه إعجاز القرآن" نجد أنه حدد وجوه الإعجاز في ثلاثة وجوه أساسية: ينقلها عن أساتذته الأشاعرة:

أولها: إخباره الصادق عن الغيوب، الأمر الذي يخرج عن طوق البشر واستطاعتهم.

وثانيها: إخباره عن قصص الماضيين وسِيَر الأمم الخالية منذ عهد آدم عليه السلام ، وحتى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم على الرغم من أمية الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم معرفته شيئاً من كتب المتقدمين، وقصصهم وأخبارهم.

وثالثها: نظمه البديع، وتأليفه العجيب، وبلاغته المتناهية التي يعجز البشر عن محاكاتها.

بيد أن الباقلاني لا يقف طويلا أمام الوجهين الأولين، بل يوجه جل عنايته إلى الوجه الثالث" البلاغي " حيث يحاول بطريقته الخاصة – طوال الكتاب – أن يثبت تميز الأسلوب القرآني، والبلاغة القرآنية على أسلوب البشر وبلاغتهم، وينهج في ذلك نهجاً جديداً مغايراً للمناهج التي انتهجها السابقون في إثبات الإعجاز البلاغي للقرآن

فهو يرفض فكرة إثبات الإعجاز البلاغي للقرآن عن طريق ما فيه من بديع، وذلك لأنه على حد تعبيره:" لا سبيل إلى معرفة إعجاز القران من البديع الذي ادّعوه في الشعر ووصفوه فيه، وذلك

أن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به، والتصنع له، كقول الشعر ورصف الخطب، وصناعة الرسالة، والحذق في البلاغة، وله طريق يُسلك ووجه يِقصد وسلم يُرتقى فيها إليه" (الباقلاني: 131) أي: أن البديع ببساطة لا يخرج عن طوق البشر ، فلا يعجز أي إنسان أن يأتي في كلامه بتشبيه، أو استعارة ، أو طباق؛ لأن البديع في حد ذاته غير معجز، وإنما المعجز هو الصورة الباهرة التي وجد عليها في القرآن، واتساقه مع سائر النظم القرآني اتساقا عجيباً ورائعاً، بينما نجد أن الشعر والنثر البشري على يحتوي على التشبيه 0البليغ، أو الاستعارة الجيدة ولكن يوجد إلى جوارها التعبير الساقط ، واللفظ المبتذل، وهذا ما أجهد الباقلاني نفسه طوال الكتاب لإثباته.

والباقلاني يستخدم مصطلح البديع بمفهومه العام الشامل الذي كان متعارفاً عليه في عصره، فالبديع عنده يشمل كلا لمباحث والفنون البلاغية، أي: أنه يضم مباحث علوم البلاغة الثلاثة – التي لم تكنفي عصره – قد تحددت وتمايزت واستقلت، وهي: البيان، والمعاني، والبديع، فهو مثلا يرى أن الاستعارة والتشبيه من البديع، وهما كما نعلم أصبحا – فيما بعد – من أهم مباحث علم البيان، وهو يعتبر المساواة وبعض صور الإطناب من البديع، ونحن نعلم أنهما أصبحا من موضوعات علم المعاني.

وهو يعتبر أن مجموعة من الصور البديعية التي استقرت فيما بعد تحت عنوان البديع ، مثل المطابقة والتجنيس، ورد الأعجاز على الصدور وغيرها. وكما يرفض الباقلاني فكرة التوصل إلى إثبات إعجاز القرآن عن طريقما فيه من بديع، فإنه يرفض أيضا فكرة التوصل إلى إثبات إعجاز القرآن عن طريق أقسام البلاغة العشرة التي حددها الرماني، حيث عقد فصلا بعنوان" فصل في وصف وجوه البلاغة " لخَّص فيه أقوال الرماني الذي يشير إليه – وإن كان لا يصرح باسمه – حيث يقول " ذكر بعض أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام " (الباقلاني : 268) وبعد أن ينتهي من تلخيص آراء الرماني حول هذه المباحث، يشير إلى أن البعض يرى أنه من الممكن التوصل إلى إعجاز القرآن من هذه الوجوه، بيد أنه يرفض هذا الرأي، ثم يقرر أن هذه الوجوه العشرة تنقسم إلى قسمين: (الباقلاني : 276) قسم يمكن الوقوع عليه والتعمل له، ويُدرك بالتعلم، فما كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن به. أما القسم الثاني فهو: ما لا سبيل إليه بالتعمل من البلاغات، فذلك هو الذي يدل على إعجازه. ويضرب لذلك مثلا، بأننا لو قلنا: بأن ما في القرآن من

تشبيه معجز في ذاته، فسوف يعترض علينا بما في الأشعار من تشبيهات رائعة ، ويمثل لذلك بما في شعر ابن المعتز من تشبيه بديع يشبه السحر.

وينتهي الباقلاني من ذلك ، إلى أن مثل هذه الوجوه البلاغة ليست معجزة في حد ذاتها ، وإنما المعجز في هذه الوجوه هو أولاً: حسنها البالغ وسموها، وثانيها : ارتباطها واتساقها مع بقية الكلام ، على نحو بالغ الروعة والتكامل ، بحيث لا يحس القارئ بأي قدر من التفاوت البلاغي، في هذا الكلام الرباني، الذي يضارع بعضه بعضاً في البلاغة والفصاحة. والباقلاني يحصر الوجه البلاغي للإعجاز القرآني أي: بديع نظمه في وجوه عشرة، بعضها يرجع إلى القرآن في جملته، وبعضها يرجع إلى بعض أساليبه، وبعضها يرجع إلى مفرداته، وبعضها يرجع إلى حروفه. وإن كان لا يصنف هذه الوجوه العشرة على النحو التالي: فمما يرجع إلى جملته، كونه خارجًا عن المألوف من كلام البشر، والمعروف من تنظيم خطابهم، فليس هو بالشعر، ولا بالنثر، وليس هو بالسجع ما هو معروف للبشر من أجناس الكلام، وهو يبذل جهدا كبيرًا في محاولة إثبات مخالفة القرآن في جملته لجنس الكلام البشري.

ومما يرجع إلى جملته أيضا، أنه لم يعهد للعرب كلام يشتمل على ما في القرآن من فصاحة وبلاغة، ومعان في مثل طول القرآن، وإنما عرفت لهم مقطوعات نثرية قصيرة، وقصائد شعرية معدودة لم تخل من نقص وعيب.

ومما يرجع إلى جملته كذلك: أنه على تعدد أغراضه ومراميه من قصص ومواعظ وأحكام ، وترغيب وترهيب، لا يتفاوت في بلاغته، فهو دائما على درجة واحدة من البلاغة السامية، بينما نجد أن الشعراء والأدباء المجيدين ، إنما يجيدون في بعض الأغراض دون سواها، فالذي يجيد في المدح لا يجيد في الهجاء مثلا، والذي يبرع في الخطب لا يبرع في الحكم والأمثال، ونحو ذلك. وأما ما يرجع إلى أساليبه، فيذكر من ذلك أن القرآن الكريم ، قد اشتمل على كل الأساليب البلاغية ،التي تتبني عليها أجناس الكلام البشري، من إيجاز وإطناب، ومجاز وحقيقة، واستعارة وتصريح، كل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم، في الفصاحة والإبداع والبلاغة. ويذكر من ذلك أيضا أن بلاغته لا تتفاوت في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، ولا من طريقة من طرق القول إلى طريقة أخرى ، ويذكر من ذلك – أخيرًا – أننا إذا أخذنا آية قرآنية ووضعناها في ثنايا أي كلام ، نظمًا كان أو نثرا، فإنها تكون هي واسطة العقد في هذا الكلام" كالدرة التي ترى في عقد من الخرز " على حد تعبيره.

وأما ما يرجع إلى مفرداته، فمن ذلك أنه استعمل بعض المفردات في معان ومدلولات جديدة، لم تكن مألوفة في البيئة العربية قبل الإسلام، ومن ذلك أيضا بُعده عن المفردات المستكرهة الثقيلة على السمع.

وأما ما يرجع إلى حروفه ، فهو أن في القرآن ثمان وعشرين سورة افتتحت بحروف مقطعة من الحروف العربية الثمانية والعشرين، وقد اشتملت هذه السور على أربعة عشر حرفا من حروف الهجاء، أي نصف حروف الهجاء، وهذه الحروف الأربعة عشر اشتملت على نصف كل قسم من الأقسام التي انقسمت إليها حروف العربية، حيث اشتملت على نصف حروف الهمس ونصف حروف الجهر ، كما اشتملت على نصف حروف الحلق، ونصف حروف الإطباق، ونصف الحروف الشديدة الانفجارية، وهذا التنظيم والتقسيم البديع، هو بدون شك وجه من وجوه الإعجاز الناصعة في القرآن الكريم.

وواضح لنا أن القاسم المشترك بين هذه الوجوه هو مخالفة البيان القرآني لكلام البشر، وهذه هي القضية الأساسية التي شغل الباقلاني نفسه على امتداد صفحات كتابه وهو في سبيل إثبات هذه القضية يعمل إلى تحليل بعض النماذج الأدبية الرائعة، التي اتفق الجميع على بلاغتها ، ليبين ما فيها من عيوب تعبيرية ، ويحلل في مقابل ذلك آيات وسورًا من القرآن، يبين ما فيها من بلاغة لا تتفاوت ولا تهبط.

وفي سبيل تفضيل الأسلوب القرآني على الأسلوب البشري ارتكب الباقلاني ألوانا من التعسف والتكلف، وأجهد نفسه في تمحل العيوب في نماذج الشعر التي اختارها ، ولكنه حتى في تعسفه وتحامله كان يصدر عن ذوق نقدي بارع، هو الذي جعله يجرؤ على هذه المهمة الصعبة، فقد كان من بين النماذج التي اختارها وبيان مافيها من عيوب معلقة امرئ القيس ، وقصيدة البحتري المشهورة هذا وقد تناثرت خلال الكتاب مجموعة من الآراء البلاغية والنقدية الدقيقة ، من مثل نظرته إلى ضرورة وحدة العمل الأدبي، وموقفه من قضية المحسنات البديعية، فالباقلاني موقف على قدر من النضج والتبلور، فيما يتصل بموضوع وحدة العمل الأدبي، وقد تجلى هذا الموقف في أكثر من موضع في الكتاب ، وبأكثر من صورة

موقف الباقلاني من المحسنات البديعية: إن موقف الباقلاني من قضية المحسنات البديعية لم يكن أقل نضجا وتفتحا من موقفه منقضية وحدة العمل الفني فهو لا يفتأ يلح على انتقاد هذه

المحسنات إذا لم يقتضها المعنى، ويستلزمها السياق الفني ، أي: أنه يعد هذه المحسنات أدوات فنية تعبيرية، تكتسب قيمتها الفنية من الدور التعبيري الذي تؤديه، فإذا لم تؤد دورا في العمل الأدبي كانت عيباً من العيوب ، وليست مزية من المزايا.

الفصل الثالث: في الموازنة بين الكتابين

المبحث الأول: طريقتهما في العرض، والاستشهاد، والنقل من الآخرين.

يبدأ الرماني حديثه عند كل باب بتعريفه، ثم يحدد مجاله، ويبدأ بسرد تقسيماته، ثم يتبعها بالأمثلة، وهو يركز في الشواهد على الآيات القرآنية، وبعض أقوال العرب، كما أنه في نقله ممن سبقه لا يشير إليه إلا ما ندر.

أما الباقلاني، فهو يبدأ حديثه عند كل باب بتساؤل، ثم يبدأ بالإجابة على ذلك التساؤل، وقد نجد في الباب أكثر من تساؤل، ويتصف كتاب الباقلاني وأسلوبه بالتماسك، حتى إنك لا تحس بطوله، ومما يلحظ عليه كثرة تقسيماته، والتكرار في بعض أبوابه، ولمذهبه أثر كبير في كتابه، وفي عرضه للاستشهاد يتصف كتاب الباقلاني بالتنوع بين الآيات القرآنيه، والأحاديث النبوية، وأقوال العرب وأشعارهم، وفي نقله ممن سبقه نجد أن الباقلاني يكثر من ذكر " ذهب أصحابنا " ويقصد بهم الأشاعرة وهو في نقله يشير إلى من سبقه، ولكنه في باب " أقسام البلاغة العشرة " التي ذكرها لم يشر إلى من نقل عنه أقصد: الرماني، والذي يظهر أن سبب ذلك اختلاف المذهبين بينهما .

المبحث الثاني: الأشياء التي اتفقا فيها.

اتفق كل من الرماني والباقلاني في السبب الذي ألفا كتابيهما من أجله وهو سؤال سائل، كما اتفقا على أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود وجميع كلامهم، فالقرآن جاء بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة، وعقد الرماني والباقلاني فصولاً في نفي الشعر والسجع من القرآن؛ لأنه من كلام العرب ومن أساليبهم، وقد تميز الباقلاني عن الرماني في إطالة الحديث هنا، وإيراده أمثله وشواهد كثيرة، كما اتفق الرماني والباقلاني في أن الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية أحد وجوه الإعجاز عندهما، وكذلك في ذكر أقسام البلاغة العشرة حيث أفاد الباقلاني من الرماني دون الإشارة إليه.

المبحث الثالث: آراء بعض الكتاب في الحكم على الكتابين.

يقول الدكتور/ شوقي ضيف بعدما استعرض كتاب الرماني:" وواضح أنه أضاف في حديثه عن البلاغة إضافات جديدة إلى من سبقوه، فقد حدد بعض فنونها تحديداً نهائياً ورسم لها أقسامها رسماً دقيقاً" (ضيف: 107).

كما تحدث الدكتور/ شوقي ضيف عن رأيه في كتاب الباقلاني بقوله :" وواضح مما سبق أن الباقلاني لم يزد في كتابه عن شرحه أو قل بعبارة أدق عن محاولة شرحه لما قاله الجاحظ من جمال النظم القرآني وما قاله الرماني من أنه يردُّ تفسير هذه المرتبة بوجوه البديع التي عدها ابن المعتز وقدامة وأبو أحمد العسكري وغيرهم، كما ردَّ تفسيرها بوجوه البلاغة التي ذكرها الرماني إلا أن يلاحظ في ذلك كله النظم وروعة التأليف، فالمدار قبل كل شيء على الصياغة والنظم.

ولعلنا لا نبعد إذا قلنا إنه أول من هاجم في قوة نظرية إعجاز القرآن عن طريق تصوير ما فيه من وجوه البديع، وأيضا وجوه البلاغة التي أحصاها الرماني ومن هنا تأتي أهمية إذ أعد للبحث عن أسرار في نظم القرآن من شأنها حين توضح توضيحاً دقيقاً أن تقف الناس على إعجازه، وإن كنا نلاحظ . في الوقت نفسه . أنه لم يستطع أن يصور شيئاً من هذه الأسرار، إذا ظلت الفكرة عنده غامضة، وظلت مستورة في ضباب كثيف " (ضيف: 114) .

كما يبدي الدكتور/ عبدالغني بركه رأيه بكتاب الرماني قائلاً:" وبعد فمن حق الرماني علينا بعد أن استعرضنا رسالته أن نسجل له الجهد الكبير الذي بذله والخطوات الواسعة التي خطاها على طريق تقدم التصنيف البلاغي وتطور بحوثه، وتنسيق أبوابه ومصطلحاته كما رأينا ثم نسجل له أيضا أنه في كل ما كتب لم ينس هدفه الأصيل وهو الكشف عن البلاغة القرآنية، وإبراز دلائل إعجازها، والذي بدأ واضحاً في حرصه الشديد على أن يقدم لكل باب من أبواب البلاعة العشرة، شواهده من القرآن الكريم، وأن يلح ما فيها من أسرار ونكات بلاغية " (بركه : 100) .

وعلق الدكتور عبد الغني بركه على كتاب الباقلاني بقوله: " فقد أبلى الباقلاني رحمه الله بلاءً حسناً، وكان رائداً في جوانب تفرد بها حين رأى أن الإعجاز لا يُستفاد من صور البديع وألوان البلاغة منفردة وإنما يستفاد من النظم ككل متميز بخصائص لا يشاركه فيها غيره، وحين أثبت أن القرآن لا يتفاوت في بلاغته مهما اختلف أسلوب عرضه، وحين ننظر إلى السورة ككل متكامل مترابط يحقق غاية محددة وإذا كنا لم نرتض بعض آرائه، فإن ذلك إنما إلى طبيعة هذه الأمور التي تحتمل وجهات النظر " (بركه : 166).

المبحث الرابع: رأي الباحث في الكتابين.

لا شك أن كتاب الرماني خدم المباحث البلاغية خدمة كبيرة حيث كان من مفاتيح الكتب التي هيأت البلاغة للنضوج بعد ذلك على يدي عبد القاهر الجرجاني، ومن جاء بعده، وكانت جهود الرماني تتمثل في تقسيم البلاغة إلى أقسام عشرة، ووضع

ضوابط لكل قسم مع ذكر أمثلة من القرآن على كل قسم، والوقوف عندها وتحليلها، واستحداث مصطلحات جديدة مثل "إيجاز القصر" حيث أثرت التسمية عنده إضافة إلى ذلك لا ننسى هدف الرماني، وهو الكشف عن البلاغة القرآنية وإبراز دلائل إعجازها، نلحظ ذلك في الموازنات بين النصوص القرآنية، وما قيل في معناها من كلام العرب، أقول بعد ذلك يكفي للرماني أن أقسام البلاغة العشرة التي وضعها هي موجودة حتى الآن مع ضوابطها التي ذكر، مع تغيير يسير في ذلك.

كما أن الباقلاني رحمه الله أبلى بلاءً حسناً وله من الجهد الشيء الكثير، ولقد زاد الباقلاني في كتابه على ما قاله الجاحظ في جمال النظم القرآني، وما قاله الرماني في وجوه البديع، ويكفيه زيادة ما قلت بعد ذلك إلا أنه يلاحظ في ذلك كله النظم وروعة التأليف، فالمدار قبل كل شيء على الصياغة والنظم، ويكفيه أيضا أنه أول من هاجم في قوة نظرية إعجاز القرآن عن طريق تصوير ما فيه من وجوه البديع التي ذكرها الرماني، ولقد أثبت الباقلاني أيضا أن القرآن لا يتفاوت في بلاغته مهما اختلف أسلوب عرضه، وحيث نظر إلى السورة ككل متكامل مترابط يحقق غاية محددة .

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً على ما وفق وسدد والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد اشتمل البحث على مقدمة أوضحت فيها: أسباب اختيار الموضوع، وخطة البحث، وتمهيد اشتمل مبحثه الأول: على معنى الإعجاز في اللغة والاصطلاح، وفي مبحثه الثاني: ذكرت الدوافع التي أدت لظهور مؤلفات حول الإعجاز القرآني، وفي مبحثه الثالث: ذكرت تاريخ التأليف في الإعجاز من القرن الثالث وحتى العصر الحديث .

وفي الفصل الأول والذي حمل عنوان " الرماني وآراؤه حول الإعجاز القرآني في كتابه: النكت في إعجاز القرآن " أوردت في مبحثه الأول: ترجمة عن الرماني اشتملت على: ولادته،

ونشأته، ومكانته العلمية، وكتبه، ومؤلفاته، وفي مبحثه الثاني: آراؤه حول الإعجاز القرآني في كتابه " النكت في إعجاز القرآن " وفيه استعرضت وجوه الإعجاز عنده مبتدئاً بالبلاغة وأقسامها، ووقفت عند الحديث عن الصَّرفة، وذكرت رأي العلماء في ذلك ،وفي الفصل الثاني والذي يحمل عنوان: الباقلاني وآراؤه حول الإعجاز القرآني في كتابه: إعجاز القرآن، ترجمت للباقلاني في المبحث الأول بترجمة اشتملت على: اسمه ولقبه، وكنيته، ومذهبه، ومشايخه، وتلامذته، وتصانيفه، ثم وفاته، وفي المبحث الثاني آراؤه حول الإعجاز القرآني في كتابه " إعجاز القرآن" فذكرت حديثه عن أهمية إعجاز القرآن في مقدمته، وتحدثت عن وجوه الإعجاز عنده، والفوائد التي أفادها البحث البلاغي في كتابه، وخاصة حديثه عن البديع بمفهومه الواسع، والذي يشمل أبواب البلاغة كلها وما طرح من أمثله وشواهد في ذلك ، وفي الفصل الثالث وعنوانه: في الموازنة بين الكتابين، حيث بينت طريقته الكتابين في العرض، والاستشهاد والنقل، من الآخرين، وفي المبحث الثاني أوجزت ما اتفقا عليه، ثم أوردت آراء بعض العلماء في الحكم على الكتابين، وختمت الفصل بذكر رأيي في ذلك .

ثم خاتمة أوضحت فيها ملخص البحث ونتائجه، وأخيراً ثبت بالمصادر والمراجع والنتائج التي خرجت بها في هذا البحث ومنها:

1. أن أول من سمى إيجاز القصر هو الرماني.
2. أن القارئ في كتاب الباقلاني لا يمل؛ لأن الباقلاني اتبع طريقة المتكلمين الذين يكثرون من إيراد التساؤلات ويجيبون عليها.
3. أن الرماني لم يستشهد في كتابه إلا بالآيات، بخلاف الباقلاني الذي استشهد بالآيات والأحاديث وأقوال الشعراء والمأثور عن العرب، وهذا يدل على سعة اطلاعه، ومكانته في زمانه.
4. أن هناك فرقا بين من يقول بالصَّرفة أصلاً، وبين من يعدها وجهاً من وجوه الإعجاز فقط.
5. أن كلاً من الرماني والباقلاني ادعى أن السبب في تأليف كتابه سؤال سائل.
6. أن كلاً منهما يرى أن القرآن خارج عن ضروب الكلام المعروفة عند العرب.
7. أن كلاً منهما يرى أن الإخبار عن الغيوب أحد وجوه الإعجاز عنده.

8. لقد اختلف الرماني والباقلاني في القول بالصَّرفة فالأول عدها من وجوه الإعجاز، والآخر وقف في وجه من يقول بها.

9. نقل الباقلاني فصلاً كاملاً من الرماني، وهو أقسام البلاغة العشرة حيث لم يشر إلى من نقله منه.

10. يظهر في كتاب الباقلاني الغموض، والاستطراد، والتكرار، وعدم الترتيب للسائل، وعدم التناسق والانتظام.

هذا وإني لأرجو أن أكون قد قدمت شيئاً تجاه هذا الموضوع الذي يخدم القرآن، وتجاه هذين العالمين اللذين كانا فاتحة الطريق لي في قراءاتي في كتب الإعجاز، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

المصادر والمراجع

1. ابن خلكان، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
2. ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر وصادر، بيروت.
3. أبو علي، د/ محمد بركات حمدي ، في إعجاز القرآن الكريم، مؤسسة الخافقين، الأولى.
4. الباقلاني، القاضي أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق الشيخ/ عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، الأولى.
5. بركه، د / عبد الغني محمد سعد، الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره، مطابع المختار الإسلامي، الأولى.
6. الحموي، ياقوت ، معجم الأدباء، طباعة مرجليوث، الثانية.
7. الخطابي ، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر.

8. الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتب العربي، بيروت لبنان.

9. الرازي، محمد أبو بكر عبدالقادر، 1985م ، مختار الصحاح، مؤسسة علوم القرآن.

10. الرماني ، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر.

11. ضيف ، د/ شوقي ، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، الخامسة.

12. عتر، حسن ضياء الدين ، بينات المعجزة الخالدة، دار النصر، الأولى.

أثر الخبرة الطبية في إثبات جرائم الحدود في القانون السوداني

د. محمد حسن محمد حسن

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والقانون – جامعة دنقلا

المستخلص:

تعتبر الخبرة هي احد أهم وسائل الإثبات الموجودة في قانون الإثبات ومن أهمها الخبرة الطبية وذلك لارتباطها التقنيات الحديثة التي تساعد في إثبات الجريمة على الأشخاص وبطريق علمي لا شك فيه.

والحدود شأنها شأن بقية الجرائم تتيح إثبات بعض جرائمها عن طريق البينة الطبية مثل جريمة شرب الخمر التي يمكن إثباتها بالرائحة وجريمة الزنا التي يمكن إثباتها بواسطة الحمل لغير المتزوجة. وهاتين الحالتين لا يتم إثباتهما إلا بواسطة البينة الطبية فالطبيب هو الذي يحدد ما إذا كانت الرائحة التي في فم المتهم هي رائحة خمر أم لا، والطبيب نفسه هو الذي يثبت أن المتهمة حامل أم لا ، وهذا هو جوهر استخدام البينة الطبية في إثبات جرائم الحدود .

Abstract

Experience is considered one of the most important means of proof in the law of evidence is the most important medical expertise so as to relate to modern technologies that help to prove the crime against persons and not by way of a scientific doubt.

And like the rest of the border crimes allows prove some crimes by medical evidence, such as drinking alcohol crime that can be recognized by the smell

and the crime of adultery, which can be recognized by the pregnancy is not married to. These cases are not evidenced only by medical evidence doctor is the one who determines whether the odor in the mouth of the accused is the smell of booze or not, and the doctor himself, who proved that the accused pregnant or not is, and this is the essence of the use of medical evidence to prove border crimes.

مقدمـة

تعتبر شهادة الخبرة من إحدى الوسائل الرئيسة لإثبات الجنايات والحقوق، وتعتبر الخبرة الطبية هي إحدى صور بينة الخبرة باعتبار أن المسائل الطبية تعتمد في جوهرها على نتاج ما توصل إليه الطب في مسألة محددة وهو ما ليس متوفرٌ إدراكه لدى القاضي، والحدود باعتبارها من الجنايات تعتمد في بعض الأحيان على البينة الطبية في إثباتها وتكون تلك البينة الطبية قرينة قابلة لإثبات العكس متى توفرت الأدلة المضادة لمدلولها واقتنعت بها عقيدة المحكمة.

ماهية الحدود:

الحدود في اللغة:

الحد في اللغة: الفصل بين الشيئين: لئلا يختلط أحدهما بالآخر أو لئلا يتعدى أحدها على الأخر وجمعه حدود وفصل ما بين كل شيئين حد بينهما ومنتهى كل شيء حده، وفي الحديث في صفة القرآن لكل حرف حد ولكل حد مطلع ،وحد كل شيء منتهاه لأنه يرده ويمنعه عن التمادي، و حد السارق وغيره ما يمنعه من المعاودة ويمنع أيضاً غيره عن إتيان الجنايات وجمعه حدود، وحددت الرجل أقمت عليه الحد، وأصل الحد المنع والفصل بين الشيئين فكأن حدود الشرع فصلت بين الحلال والحرام.[21]

وجاء في المعجم الوسيط[22]: حد: السيف ونحوه حده صار قاطعاً، والأرض وضع فاصلاً بينها وبين ما يجاورها، ويقال حاد فلان فلاناً جاوره .

وجاء في مختار الصحاح، الحد: الحاجز بين الشيئين وحد الشيء منتهاه، والحد المنع ومنه قيل للبواب حدادَ وللسجان أيضاً إما لأنه يمنع عن الخروج أو لأنه يعالج الحديد من القيود والمحدود

(21) – لسان العرب– محمد بن مكرم بن علي – أبو الفضل – جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري– دار صادر– بيروت – الطبعة الثالثة ، 1414هـ – ج3 – ص 140 .

(22)– المعجم الوسيط– إبراهيم مصطفي أحمد الزياد، محمد النجار – دار الشروق – دار الدعوة – بدون تاريخ– ج 1 ص 160 .

الممنوع من البخت وغيره، وحَدهْ أقام عليه الحد، وأحدتِ المرأة امتنعت عن الزينة والخضاب بعد وفاة زوجها فهي محدة والمحادة المخالفة، وحد كل شيء نهايته.[23]

الحدود في الفقه الإسلامي:

لقد عنى الفقه الإسلامي بتعريف الحدود، ويمكن بيان تعريفها في المذاهب الأربعة المشهورة على النحو التالي:

الحنفية : جاء تعريف الحد في حاشية رد المحتار ما يلي: " الحد عقوبة مقدرة حقاً لله تعالى زجراً فلا يجوز الشفاعة فيه". [24] كما تم تعريف الحد بأنه عقوبة مقدرة لله تعالى.[25]

وأيضاً عرف بأنه عقوبة مقدرة واجبة حقاً لله تعالى عز شأنه.[26]

المالكيــة:

جاء في تعريف الحدود في كتاب التلقين في الفقه المالكي بأنها عقوبة معينة شرعاً على ذنب قد وجبت حقاً لله أو للعبد.[27]

الشافعية: عرف الشافعية الحد في الشرع بأنه يمنع المحدود من العود إلى ما كان ارتكبه.[28]

جاء في إعانة الطالبين تعريف الحدود شرعاً بأنها ما ذكر من الجلد أو الرجم ونحو ذلك من كل عقوبة مقدرة.[29]

وجاء في كتاب مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج بأن الحد شرعاً عقوبة مقدرة وجبت حقاً لله تعالى كما في الزنا أو لأدمي كما في القذف.[30]

---

(23) – مختار الصحاح– محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي– تحقيق محمود خاطر– مكتبة لبنان– ناشرون– بيروت– الطبعة طبعة جديدة ، 1415هـ . 1995م ، ج ا ص 167.

(24)– حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، فقه أبو حنيفة– ابن عابدين محمد علاء الدين أفندي– دار الفكر للطبعة و النشر– بيروت– بدون طبعة– 1421هـ، سنة 2000م – ج 4 – ص 300.

(25)– البحر الرائق– شرح كنز الدقائق– زين العابدين أبن نجيم الحنفي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – بدون تاريخ – ج 5 – ص 2 .

(26) – بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع– علاء الدين أبوبكر بن مسعود الكاساني– دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت، لبنان – سنة 1996م – ج 7 ص 33 .

(27)– التلقين في الفقه المالكي– للقاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي– تحقيق ودراسة محمد ثالث سعيد الغاني– رسالة دكتوراه– مكتبة نزار مصطفى الباز– الرياض– مكة المكرمة– بدون طبعة وتاريخ – ج 2 ص 497.

(28)– المجموع، شرح المهذب– أبو زكريا يحي بن شرف النووي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – ج 20– ص 3.

(29)– إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين– أبو بكر المشهور بالبكري– عثمان بن محمد– شاطا الدمياطي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– مصر– الطبعة الأولى، 1418هـ –1997م– ج 4 ص 161.

الحنابلـة: . أما فقهاء المذهب الحنبلي فقد عرفوا الحد بأنه عقوبة تمنع من الوقوع في مثله.[31] كما عرفت الحدود في الفقه الحنبلي بأنها عقوبة مقدرة شرعاً في معصية لتمنع الوقوع في مثلها.[32] كما عُرّف الحد عندهم أيضاً بأنه عقوبة مقدرة لتمنع من الوقوع في مثله.[33]

من تعريف فقهاء المذاهب الأربعة سالفة الذكر نجد أن الحد أو الحدود هي عقوبة مقدرة من المولى عز وجل وبالتالي لا يمكن زيادتها أو نقصانها.

وبما إنها هي عقوبة مقدرة، يعني ذلك أنها محددة معينة وبناء على ذلك يخرج التعزيز لأن التعزير عقوبة غير مقدرة يطرأ عليها الزيادة والنقص حسب حالة الجاني وحسب حدها الأعلى والأدنى كما أن العقوبة المقدرة للحدود تمنع من الوقوع في جريمة حدية والمعاودة لارتكابها مرة أخرى.

الحدود في القانون:

القانون الجنائي السوداني لسنة 1991م النافذ عرف الحدود وفق المادة (3) منه والتي بعنوان تفسير وإيضاحات بقوله: (جرائم الحدود تعني جرائم شرب الخمر والردة والزنا والقذف والحرابة والسرقة الحدية).[34]

والحدود الشرعية هي عقوبات حدها الله سبحانه وتعالى فلا يجوز لأحدٍ أن يتجاوزها بالزيادة عليها أو بالنقص منها، وهي ليست ذات حد أدنى وأعلى يمارس خلالهما القاضي سلطته في تفريد العقوبة، بل هي مقدرة محددة بحيث لا تدخلها سلطة التقدير عند إيجاب العقوبة المقررة بالحكم الشرعي.[35]

---

(30)- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج- أبو زكريا يحي بن شرف النووي – مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده – سنة 1958م . ج 4 – ص 155.

(31)- شرح الزركشي على مختصر الخرقي- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي- تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم- الناشر دار الكتب العلمية- لبنان، بيروت- بدون طبعة- 1423هـ . 2002م ج 3 – ص 99.

(32)- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع- عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي- الحنبلي النجدي- الطبعة الأولى- 1397م هـ . دار الوطن للنشر- الرياض- ج 7 – ص 300.

(33)- كشاف القناع عن متن الإقناع- منصور يونس بن إدريس البهوتي – مكتبة النصر الحديثة – بيروت – لبنان – سنة 1996م – ج 9 – ص 2983 .

(34) – القانون الجنائي السوداني لسنة 1991م المادة (3).

(35) – أحكام الحدود في القانون الجنائي السوداني لسنة 1991م وفلسفتها العقابية – د. عبد الرحمن محمد عبد الرحمن شرفي – الطبعة الأولى – سنة 2013م – صفحة 39 .

وهنا نجد أن القانون الجنائي السوداني النافذ لم ينص صراحةً على تعريفٍ محددٍ لجرائم الحدود بل نص فقط على الجرائم التي تعتبر من جرائم الحدود وحددها تحديداً على سبيل الحصر بست جرائم.

الطبيعة القانونية للخبرة الطبية:

تعتبر الخبرة الطبية إحدى وسائل الخبرة التي نص عليها قانون الإثبات السوداني النافذ بقوله: (إذا اقتضى الفصل في الدعوى استيعاب مسائل فنية كالطب والهندسة والمحاسبة والخطوط والأثر وغيرها من المسائل الفنية، فيجوز للمحكمة الاستعانة برأي الخبراء فيها وتندب لذلك خبيراً أو أكثر مالم يتفق الخصوم على اختيارهم).[36]

أما قانون الإجراءات الجنائية السوداني النافذ فقد تناول الخبرة بالنص (يجوز للمحكمة تكليف أي طبيب أو خبير علمي أو فني بالحضور أمامها شاهداً متى ما رأت ذلك مناسباً).[37]

وتعرف الخبرة بأنها الإجراء الذي يكون الغرض منه الحصول على معلومات ومهارات شخص لتوضيح مسألة يحتاج حلها إلى خبرة فنية لا يملكها القاضي.[38]

يمكن أن نعرف الخبرة الطبية بأنها هي بينة يعتمد فيها شخص مختص على نتاج ما تحصل عليه العلم الطبي في تحليل واقعة معينة مستخدماً في ذلك التقنيات العلمية وخبراته وتجاربه المكتسبة.

وتعد الخبرة بهذا المعنى من الأشياء ذات الأهمية البالغة في إجراءات المحاكمات الجنائية فالخبير وفق المفهوم السابق يعد عوناً للقاضي فهو يضع تحت تصرف كل خبراته ومعارفه وتجاربه التي اكتسبها طوال سنوات عمله في المجال الطبي فيكشف بتجربته ومعارفه ما خفي على القاضي من أمورٍ فينير ويهيئ له الطريق للفصل في النزاع على أساس عادل.

والخبرة في المسائل الجنائية على وجه التحديد ضرورية في كثير من الأحوال وذلك للأسباب الآتية:

1/ بالنظر لتنوع المسائل الفنية وغير المحدودة التي تعرض على القاضي الجنائي.

2/ تعقد مشاكل الحياة المستمرة والتطور الفني الهائل في وسائل ارتكاب الجريمة.

---

(36) – قانون الإثبات السوداني لسنة 1994م المادة (30).

(37) – قانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة 1991م المادة (162).

(38) – المسؤولية الجنائية الطبية في القانون – د. محمد فائق الجوهري – دار جامعة القاهرة والكتاب الجامعي – القاهرة – سنة 1951م .

3/ جسامة المعلومات بسبب التطور العلمي المستمر الذي ظهر في مجال الطب وبصفة خاصة إذا كان هناك ترابط بين الجريمة والحالة الصحية للجاني أو المجني عليه.[39]

ومن الناحية النظرية هنالك العديد من النظريات التي تبحث في الطبيعة القانونية للخبرة ويمكن إرجاع هذه النظريات بصورة عامة إلى أربع نظريات.

النظرية الأولى : الخبرة وسيلة إثبات:

يتجه الرأي الغالب لدى شراح وفقهاء القانون إلى أن الخبرة وسيلة إثبات تهدف إلى التعريف على الوقائع المعلومة . ويستند أنصار هذا الرأي إلى أن الخبرة وسيلة إثبات خاصة تنتقل إلى الدعوى دليلاً يتعلق بإثبات جريمة أو إسنادها المادي أو المعنوي إلى المتهم، حيث يتطلب هذا الإثبات معرفة ودراية لا تتوفر عند عضو السلطة القضائية المختصة، نظراً إلى طبية ثقافته وخبرته العلمية كما قد يتطلب الأمر إجراء أبحاث خاصة أو تجارب علمية لا يتسع له عمل القاضي. كما أن القاضي وقناعته الوجدانية لا يمكن أن تستقر دون بيان ما يقره العلم في شأنها.[40]

النظرية الثانية : الخبرة وسيلة تقدير دليل:

ومضمون هذه النظرية أن الخبرة ليست وسيلة إثبات في حد ذاتها لأنها لا تهدف لإثبات وجود أو نفي واقعة أو حالة ما، ولكنها وسيلة لتقدير عنصر إثبات في الدعوى ومن ثم فهي وسيلة لتقدير الدليل .[41]

النظرية الثالثة : الخبرة شهادة فنية:

وتقوم هذه النظرية على أساس أن الخبرة نوع من الشهادة، أو على وجهٍ أدق شهادة فنية فالخبرة وفقاً لهذا الرأي ما هي إلا نوع من الشهادة، وأن الخبير هو مجرد شاهد فني.[42]

النظرية الرابعة : الخبرة إجراء مساعد للقاضي:

(39) – الخبرة النفسية في مجال المحاكم الجنائية – د. صالح محسوب – مطبعة مصطفي البابي الحلبي – مصر – بدون تاريخ – صفحة 14.

(40) – المسؤولية الجنائية والمدنية عن الأخطاء الطبية – منصور عمر المعايطة – جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية – الرياض – سنة 2004م – صفحة 124 .

(41)– الخبرة النفسية في مجال المحاكم الجنائية – صالح محسوب – صفحة 14.

(42) – المسؤولية الجنائية والمدنية عن الأخطاء الطبية – منصور عمر المعايطة – صفحة 39.

ويقوم أساس هذه النظرية على أن الخبرة ليست وسيلة إثبات مباشرة أو غير مباشرة بل تعد بمثابة إجراء مساعد للقاضي في الوصول إلى تقدير فني سليم للحالة إذا تطلب الأمر معرفة خاصة لا تتوفر لديه. (43)

فالخبرة تساعد القاضي في تكملة معلوماته وتزويده بما يحتاج إليه من وسائل بشأن تكوين رأيه حول النزاع المعروض، إذ لا يستطيع القاضي أن يقف على ماهية إصابة المجنى علية والأداة المستخدمة في أحداثها دون الاستعانة برأي خبير فني مختص في تلك المسألة.(44)

أما الخبرة في القانون السوداني فهي وسيلة للحصول على الأدلة التي تساعد في الإثبات وذلك عن طريق الاستعانة بالقواعد العلمية والممارسات العملية للأشخاص الذين اكتسبوا الخبرة.(45)

والخبرة بهذا المفهوم وفق النظريات السابقة ومقتضى قانون الإثبات السوداني هي واقعة موضحة بوسائل علمية ومقدرات ومهارات فنية مكتسبة فالخبير لا يدرك الواقعة المعنية إدراكا مباشراً بإحدى حواسه بل يقوم بإدراكها بموجب ما توفر لديه من معلومات علمية.

ومعنى ذلك أن الخبير يستخدم ملكاته لا في الإدراك المباشر لأمور حالية فحسب، وإنما في استنتاج أمور ماضية لم يكن قد حصل عليها بإدراكه المباشر، وقد يدرك الخبير أموراً لاحقةً للواقعة الماضية وسابقة على إصدار حكمه ولكنها على كل حال ليست معاصرة لوقت هذه الواقعة بالذات.(46)

والشاهد الخبير يتميز خلافاً عن الشاهد العادي انه يؤدي مضمون شهادته دون تأثير من مفاجئة الواقعة الإجرامية فتكون شهادته بصفاء تام ودونما أي مؤثرات يمكن أن تحدثها لحظة وقوع الجريمة على الشاهد العادي، والخبير هو متخصص دقيق في مجاله فضلاً عن ثقافته العامة التي يكون ملماً بها .

ويجب على الخبير كي يحسن مهمته أن يتجرد من أي رأي سلفاً وألا يأخذ أدنى فكرة عن ملف القضية وعن سير الاتهام فيها وأن يسعى إلى تقرير الحقيقة دون أن يقحم عليها ما ليس فيها من أمور راجعة إلى عقيدة خاطئة تكونت لديه قبل الفحص.(47)

---

(43) – الأحكام العامة للمسؤولية القانونية للأطباء – أ. د . بابكر عبد الله الشيخ – شركة مطابع السودان العملة – السودان – سنة 2011م – ص 710 .

(44) – الخبرة النفسية في مجال المحاكم الجنائية، صالح محسوب – ص14.

(45) – البينة الطبية وحجيتها في الأثبات – عبد المنعم محمد علي الفكي – دار المعرفة للطباعة والنشر – سنة 2003م – ص 7 .

(46) – المسؤولية الطبية المدنية والجنائية – بسام محتسب بالله – المكتبة المصرية الحديثة – القاهرة – بدون تاريخ – ص 72 .

(47) – الأحكام العامة للمسؤولية القانونية للأطباء – أ.د . بابكر عبد الله الشيخ – ص 714.

إثبات الحدود بالخبرة الطبية:

المشرع الوطني السوداني في القانون الجنائي لسنة 1991م وضح ست جرائم على أنها هي جرائم الحدود وهي: جريمة شرب الحمر و جريمة الردة و جريمة الزنا و جريمة القذف و جريمة السرقة و جريمة الحرابة وتكفل قانون الإثبات ببيان طرق إثبات هذه الجرائم الست والتي تتفق في جوهرها على وسيلتين رئيستين هما الإقرار والشهادة إلا أن هنالك جريمتين يمكن أن يتم إثباتهما عن طريق بينة الخبرة الطبية وهما جريمتي شرب الخمر والزنا، وهاتين الجريمتين على النحو التالي:

أولاً : جريمة شرب الخمر:

المادة الثالثة من القانون الجنائي السوداني عرفت الخمر بالنص (خمر تشمل كل مسكر سواء اسكر قليله أم كثيره وسواء كان خالصاً أم مخلوطاً).[48]

كما نص قانون الإثبات السوداني النافذ في المادة 64منه على : (على الرغم من أحكام المادة 63 ، تكفي الرائحة لإثبات شرب الخمر، إذا ثبت للمحكمة بشهادة عدلين أو بتقرير طبيب مختص أنها رائحة خمر).[49]

وعلى الرغم من إن جرائم الحدود من الصعوبة بمكان إثباتها إلا أن المشرع السوداني أتاح فرصة إثبات الجريمة عن طريق البينة الطبية وذلك من خلال شهادة الطبيب المختص أن الرائحة التي في فم المتهم إنما هي رائحة خمر.

وجدير بالذكر أن شهادة الطبيب وفقاً لقانون الإثبات السوداني النافذ يمكن أن تكون عبارة عن تقرير مكتوب يقدمه الطبيب في الأورنيك المرفق (أورنيك 8) ويتم تقديمه لتعتمده المحكمة دون إحضار الطبيب ومناقشته في جوانب التقرير ولكن في هذه الحالة يجب أن يتلو القاضي التقرير أمام الادعاء والدفاع وأن تدون ملاحظاتهم حول التقرير متى ما وجدت .

ولكن يمكن للمحكمة من تلقاء نفسها أو بناءً على طلب الخصوم أن تستدعي الطبيب لمناقشته حول التقرير الفني الذي كتبه وتتم المناقشة من جميع اطراف الدعوى بما فيها المحكمة نفسها.

والقاضي هو الذي يقرر ما إذا كان الشاهد الخبير مؤهلاً بما فيه الكفاية بحيث يشهد كخبير أم لا. ولكن في كل الأحوال يجب أن يكون الشاهد ماهراً في فرع من فروع المعرفة.[50]

(48) – القانون الجنائي السوداني لسنة 1991م المادة (3).

(49) – قانون الإثبات السوداني لسنة 1991م المادة (64).

وللمحكمة مطلق الحرية في اختيار العدد المحدد من الخبراء الذين تستند عليهم في إثبات الدعوى إلا أن المحاكم عادة ما تستند في هذا الشأن إلى شهادة طبيب واحد باعتبار أن إثبات شرب الخمر عن طريق الرائحة ليس بالأمر الصعب تحديده من قبل الأطباء ولم تسجل السوابق القضائية اختلافاً حوله بتقريرين منفصلين ومتعارضين.

وإذا ثبت لدى الطبيب المختص من خلال معاينته وفحصه لحالة المتهم بأن الرائحة التي في فمه هي رائحة خمر فان ذلك يولد لدى المحكمة قرينة بأن المتهم قد شرب خمراً إلا أن هذه القرينة قابلة لإثبات عكسها وذلك لأن القرينة وفقاً لقانون الإثبات السوداني تعرف بأنها (الأمارة الدالة على إثبات أي واقعة أو نفيها بناءً على الغالب من الأحوال).[51] وما سبق يعني أن تقرير الطبيب ينصب على واقعة معينة وهي أن الرائحة هي رائحة خمر دون الولوج فيما إذا كانت قد أسكرته الخمر أم لا إذ أن المتهم يمكن أن يكون قد تناول الخمر وهو تحت تأثير الخطأ في الوقائع أو الضرورة أو الإكراه مما يرفع الصفة التجريمية عن الفعل.

ولا يشترط أن يكون الطبيب متخصصاً في مجال محدد من مجالات الطب بل يشترط أن يكون طبيباً قد أكمل المناهج المرسومة لدراسة الطب وذلك لأن مسألة إثبات رائحة الخمر لا تنتمي إلى تخصص طبي محدد فيمكن تحديده بأي طبيب عمومي.

ثانياً جريمة الزنا:

وهي الجريمة الحدية الثانية التي يمكن أن يتم إثباتها بالبينة الطبية وذلك عن طريق إثبات قرينة الحمل التي نصت عليه وهي الطريق الثالثة الذي نصت عليه الفقرة (ج) من المادة (62) من قانون الإثبات السوداني النافذ بالنص (الحمل لغير المتزوجة إذا خلا من شبهة).[52]

وقد اعتبر المالكية ظهور الحمل من المرأة التي لا زوج لها أو التي لها زوج لا يتصور منه الحمل لصغره، أو المرأة التي تلد قبل ستة أشهر من الدخول بها قرينة دالة على ثبوت الزنا هذا مالم يقم الدليل على أن الحمل كان نتيجة اغتصاب.[53]

---

(50) – قانون الإثبات 1994 تشريعاً وفقهاً وقضاء – بروفيسور البخاري عبد الله ألجعلي – مركز الإمام البخاري للدراسات القانونية والتدريب – الخرطوم –الطبعة السادسة – صفحة 129.

(51)– قانون الإثبات السوداني لسنة 1994م المادة (48).

(52) – قانون الإثبات السوداني لسنة 1994م المادة (62).

(53) – حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير – محمد بن عرفة الدسوقي– دار أحياء الكتب العربية عيسي البابي الحلبي وشركاؤه – بدون تاريخ – ج 4 ص 319 .

وتثبت قرينة الحمل بواسطة الطبيب الذي يحدد واقعة حدوث الحمل من عدمه ، وتعتمد بينة الطبيب في تحديد الواقعة من عدمها على الكشف الذي يجريه الطبيب على المتهمة بالشكل العلمي المعتمد في إجراء مثل هذه الحالات وبالاعتماد على الفحص المختبري وليس على القدرة التمييزية للطبيب ، لأن القدرة التمييزية للطبيب وإن قد تكون في بعض الأحيان مبنية على الخبرة الطويلة إلا أنها ليست كافية لإثبات الحمل بل يجب أن تكون النتيجة مبنية على فحص معملي مختبري حتى تكون النتيجة مؤكدة.

ويستطيع الطبيب العمومي وبكل سهولة بناءً على نتيجة الكشف المعملي تحديد واقعة حدوث الحمل من عدمها ولكن يستحسن في حال وجود طبيب مختص أن يتم تحديد النتيجة منه حتى تكون النتيجة أقوى في الدلالة.

الجدير بالذكر أن الطبيب فقط يقوم بإثبات واقعة الحمل وليست واقعة الزنا نفسها وعلى الرغم من أن حدوث الحمل وفقاً لقانون الإثبات احد وسائل إثبات الزنا إلا أنه لا يعد دليلاً قاطعاً على حدوث جريمة الزنا فيجب أن ينحصر تقرير الطبيب على الأسباب العلمية الموجودة بالنتيجة المختبرية و الدالة على حدوث الحمل دون الولوج في حدوث الزنا من عدمه .

وقد قررت المحكمة العليا في قضية حكومة السودان ضد مريم محمد سليمان إن الحمل ليس قرينةً قاطعةً على الزنا، بل هي قرينة تقبل المناهضة فيجوز إثبات أن الحمل حدث من غير زنا. ويجب درء الحد عن الحامل فإذا طرأ الاحتمال بان الحمل كان نتيجة وطء باكراه أو خطأ أو حدث الحمل دون ايلاج لزم درء الحد.[54]

ويمكن أن نستخلص من حدوث الحمل لغير المتزوجة بأنها ارتكبت فعلاً فاحشاً ولا يمكن بحال القطع بأن تلك القرينة قد أفادت ارتكاب تلك المرأة لجريمة الزنا الموجبة للحد.[55]

وبالرجوع لحكم السابقة القضائية آنفة الذكر فان معرفة حدوث الحمل بايلاج من عدمه هي مسألة فنية بحتة تتم عن طريق الطبيب فهو الذي يحدد ما اذا كان قد حدث الايلاج أم لا .

ويمكننا القول بأن الاعتماد على البينة الطبية في إثبات الحدود جاء في نطاق ضيق في جريمتي شرب الخمر والزنا عن طريق الرائحة والحمل تواليا ولكن القانون اعتبر تلك البينات أو الأدلة _ حتى وبعد تأكيدها من الطبيب المختص – قرينة تقبل المحكمة من الأطراف إثبات ما يخالفها.

(54) – مجلة الأحكام القضائية لسنة 1989م – ص 164.

(55) – أحكام الحدود الشرعية – د. عبد الرحمن محمد عبد الرحمن شرفي – ص 105.

النتائج:

1. الخبرة الطبية هي بينة يعتمد فيها شخص مختص على نتاج ما تحصل عليه العلم الطبي في تحليل واقعة معينة باستخدامه التقنيات العلمية وخبراته وتجاربه المكتسبة.
2. الخبرة الطبية رغم دقتها استنادها إلى الوسائل العلمية الحديثة المتبعة في تحليلها إلا أنها لا تتثبت بصورة مباشرة الجريمة الحدية ولكنها يمكن أن تثبت واقعة يصح من خلالها الدلالة على ارتكاب الجريمة.
3. الفقه الإسلامي عرف القرينة في إثبات الحدود مثل الرائحة على إثبات الخمر والحمل لغير المتزوجة على إثبات الزنا.
4. ا يشترط في إثبات جريمة شرب الخمر بالرائحة أن يكون الطبيب اختصاصياً ، ولكن يفضل في إثبات الزنا بالحمل أن يكون الطبيب اختصاصياً وبالعدم تكون شهادة الطبيب العمومي.

المصادر والمراجع

1. أحكام الحدود في القانون الجنائي السوداني لسنة 1991م وفلسفتها العقابية، صفحة د. عبد الرحمن محمد عبد الرحمن شرفي ، الطبعة الأولى ، سنة 2013م.
2. إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين- أبو بكر المشهور بالبكري- عثمان بن محمد- شاطا الدمياطي - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- مصر- الطبعة الأولى، 1418هـ -1997م.
3. الأحكام العامة للمسؤولية القانونية للأطباء، أ.د . بابكر عبد الله الشيخ ، شركة مطابع السودان العملة ، السودان ، سنة 2011م.
4. البحر الرائق- شرح كنز الدقائق- زين العابدين أبن نجيم الحنفي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.
5. 4/ البينة الطبية وحجيتها في الإثبات – عبد المنعم محمد علي الفكي – دار الطباعة المصرية – الطبعة الثالثة – سنة 2003م
6. التلقين في الفقه المالكي- للقاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي- تحقيق ودراسة محمد ثالث سعيد الغاني- رسالة دكتوراه- مكتبة نزار مصطفى الباز- الرياض – بدون تاريخ .

7. الخبرة النفسية في مجال المحاكم الجنائية ، د. صالح محسوب – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ، مصر – بدون تأريخ .
8. المسؤولية الجنائية الطبية في القانون، د. محمد فائق الجوهري – القاهرة ، سنة 1951م.
المسؤولية الجنائية والمدنية عن الأخطاء الطبية ، منصور عمر المعايطة ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، سنة 2004م.
9. المسؤولية الطبية المدنية والجنائية ، بسام محتسب بالله – المكتبة المصرية الحديثة – القاهرة.
10. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع – علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – سنة 1996م.
11. حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير – محمد بن عرفة الدسوقي– دار أحياء الكتب العربية عيسي البابي الحلبي وشركاؤه – بدون تاريخ
12. حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع– عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي– الحنبلي النجدي– الطبعة الأولى– 1397م هـ . دار الوطن للنشر– الرياض.
13. حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، فقه أبو حنيفة– ابن عابدين محمد علاء الدين أفندي– دار الفكر للطبعة و النشر– بيروت– بدون طبعة– 1421هـ، 2000 م.
14. شرح الزركشي على مختصر الخرقي– شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي– تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم– الناشر دار الكتب العلمية– لبنان، بيروت– بدون طبعة– 1423هـ . 2002م.
15. قانون الإثبات 1994 تشريعاً وفقهاً وقضاء – بروفيسور البخاري عبد الله ألجعلي – مركز الإمام البخاري للدراسات القانونية والتدريب – الخرطوم –الطبعة السادسة.
16. كشاف القناع عن متن الإقناع– منصور يونس بن إدريس البهوتي – مكتبة النصر الحديثة – بيروت ، لبنان – سنة 1996م.
17. لسان العرب– محمد بن مكرم بن علي – أبو الفضل – جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري– دار صادر– بيروت – الطبعة الثالثة ، 1414هـ.
18. مختار الصحاح– محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي– تحقيق محمود خاطر– مكتبة لبنان– ناشرون– بيروت– الطبعة طبعة جديدة ، 1415هـ . 1995م .

19. مغني المحتاج الي معرفة ألفاظ المنهاج – أبو زكريا يحي بن شرف النووي – مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده – سنة 1958م.

القوانين والمجلات

1. مجلة الأحكام القضائية لسنة 1989م.
2. القانون الجنائي السوداني لسنة 1991م.
3. قانون الإثبات السوداني لسنة 1994م.

مصادر الإيرادات الذاتية للولاية الشمالية وأفاق تطورها

د أسامة معاوية بخيت حسين

الأستاذ المشارك بكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية جامعة دنقلا

المستخلص

تسعى هذه الدراسة إلى توضيح مصادر الإيرادات الذاتية للولاية الشمالية والوقوف على حجمها وتحليلها ومحاولة معرفة الآلية التي تستخدمها الولاية في تطوير وزيادة إيراداتها الذاتية. حيث تمحورت مشكلة الدراسة في أن الإيرادات الذاتية ذات أهمية قصوى لتغطية النفقات فبدون هذه الإيرادات لا تستطيع الدولة تحقيق وظائفها لذا جاءت هذه الدراسة لتوضيح الدور الذي تقوم به الولاية في تطوير وزيادة إيراداتها بما يضمن استمرارها وتحسين أدائها.

توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج تمثلت في الاتي:

1| أن الإيرادات الذاتية للولاية الشمالية في حالة تزايد من عام لآخر خلال فترة الدراسة.

2| بالرغم من أن الإيرادات الذاتية للولاية في حالة تزايد إلا أن الولاية تعتمد على الدعم الاتحادي في تمويل برامجها أكثر من الإيرادات الذاتية.

3| إن الإجراءات التي اتخذتها وزارة المالية والاقتصاد بالولاية بشأن تطوير الإيرادات كانت إيجابية حيث انعكست تلك الإجراءات في زيادة حصيلة الإيرادات الذاتية للولاية.

أما أهم التوصيات فتمثلت في ضرورة إدخال القطاع الصناعي إلى جانب القطاع الزراعي والاهتمام بتعدين الذهب الذي أكتشف مؤخراً بالولاية، ورفع كفاءة التحصيل وتوفير معينات العمل (عربات، قوى عاملة، طرق معبدة بين المحليات.....).

Abstract

The aim of this Study is to explain the resources of the north State auto revenues the size of these revenues and its analysis. The attempt to know the mechanism which used by the State to improve and increase its auto revenues. The problem of the self-revenues to meet the expenses. These revenues helps the State to achieve its tasks and duties. The study endeavors to indicate the role of the state to develop and raise its revenues, ensure the continuity and good performers to the revenues.

The findings of the Study:-

1. The North State auto revenues are increasing during the period of the study.
2. Although the auto revenues of the North State are increasing but the state still depends on the federal fiscal support to finance its all programmers.
3. The measures taken by the Ministry of finance and Economy to develop its revenues were effective and reflected in increasing the asset of the State Self revenues.

The most important recommendation represented in involving the in dust vial sector, together with, the agricultural sector to increase the raven was In addition ,to pay more attention to gold mining that discovered recently in the North State and raise the efficiency of collection through work aids such as vehicles – workforce .

تمهيد

تتناول هذه الورقة مصادر الإيرادات الذاتية للولاية الشمالية وتوضح الآلية التي تستخدمها الولاية لتطوير وزيادة إيراداتها حيث تعتبر الإيرادات أداة مهمة لمقابلة النفقات العامة لذلك لابد من الاهتمام بها ومحاولة تطويرها وتحسين أدائها بما يضمن الزيادة في تحصيلها.

تم توزيع هيكل الدراسة كالاتي:

أولاً: الإطار النظري للدراسة ويتناول مفهوم الإيرادات العامة، خصائص الإيرادات العامة، وظائف الإيرادات العامة.

ثانياً: الدراسة الميدانية ويتناول مصادر الإيرادات الذاتية للولاية الشمالية، مساهمة الإيرادات الذاتية في الإيرادات العامة للولاية، الآلية التي تستخدمها الولاية لتطوير مواردها الذاتية.

ثالثاً : النتائج والتوصيات

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في أهمية الإيرادات لتغطية النفقات، فبدون إيرادات لا تستطيع الدولة تحقيق وظائفها لذا جاءت هذه الدراسة لتوضح الدور الذي تقوم به الولاية في تطوير وزيادة إيراداتها بما يضمن استمرارها وتحسين أدائها.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح تجربة الولاية الشمالية في تطوير وزيادة إيراداتها الذاتية

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في أهمية الإيرادات إذ أنها ذات أهمية كبرى لتغطية نفقات الولاية فبدون هذه الإيرادات وتنميتها لا تستطيع الولاية الصرف على مشاريعها. كما تكمن أهمية هذا الموضوع أيضاً إلى عدم تطرق الباحثين إليه في هذه الولاية بالذات مما يعطي البحث قوة وأهمية.

الإطار النظري:

مفهوم الإيرادات العامة:

تتبع فلسفة الإيرادات العامة من حقيقة أن الإنفاق العام الذي تقوم به الدولة لتحقيق منفعة عامة ينبغي أن يقابله إيراد يغذي الخزينة العامة لمقابلة أوجه الصرف العام (عثمان إبراهيم السيد، 2006م)

وتعرف الإيرادات العامة بأنها جميع الموارد المالية التي تدخل الخزينة العامة للدولة وتصبح مصدراً هاما لدخلها ويكون لها صفة الاستمرارية والدوام وتستخدمها الدولة في الإنفاق العام بحكم القانون (محمد زكي المسير، 1986م)

خصائص الإيرادات العامة

من خلال التعريف السابق نستنتج خصائص الإيرادات العامة التالية (محمد زكي المسير، 1986م):

1| موارد مالية

تعتبر الإيرادات العامة مبالغ نقدية يتم جمعها من عدة مصادر مختلفة الأوعية كالضرائب والرسوم والإتاوات والغرامات وغيرها ويمكن أن يكون بعضها عيني حيث نجد أن بعضاً من موارد الزكاة يتم جمعها عينياً كزكاة الزروع وزكاة المواشي وغيرها.

2| أن تكون بحكم القانون

حيث يقوم المجلس التشريعي بالموافقة على قانون الإيرادات وبناءً على ذلك تعتبر جباية هذه الإيرادات ملزمة للشخص في حالة وقوعه في واقعة منشأة لدفع الإيراد فمثلاً جباية الضرائب تكون بقانون كما أن دفع الرسوم أيضاً بقانون لإن القانون هو الملزم للشخص بالدفع.

3| أن يتم توجيهها لإشباع الحاجات العامة

حيث تدخل الإيرادات العامة الخزينة العامة ومنها يتم الصرف مباشرةً على الحاجات العامة لأن فلسفة الإيرادات العامة قائمة على جمع الإيرادات من أفراد الدولة لإشباع حاجاتهم العامة كالدفاع والأمن والعدالة وإقامة المشاريع العامة وغيرها.

4| أن يكون لها صفة الاستمرارية والدوام

أي متى ما وقع الفرد في حالة منشأة للدفع وجب عليه الدفع فهي تتكرر بتكرار الواقعة المنشأة للدفع ويتكرر بعضها سنوياً أو حسب المواسم وأيضاً هذه الإيرادات العامة تتكرر دورياً كل عام خلال الموازنة السنوية.

وظائف الإيرادات العامة

تعمل الإيرادات العامة على تحقيق الاتي:

1| وظائف الدولة: كالأمن والدفاع والعدالة والمرافق العامة وغيرها فإذا لم تجد الحكومة هذه الإيرادات لا تستطيع تحقيق هذه الوظائف ، وكلما توسعت الدولة في وظائفها كلما أدى ذلك إلى ضرورة زيادة هذه الإيرادات

2| تحقيق أهداف المجتمع

تتمثل أهداف المجتمع في محاربة الفقر والبطالة ورفع مستوى المعيشة وتحقيق التنمية وغيرها فإذا لم تجد الحكومة هذه الإيرادات فإن هذه الأهداف لا تتحقق (حسين عمر، 1987م).

3| زيادة مؤشرات التنمية بالبلاد

فعجز الموازنة العامة عن تغطية نفقاتها ينبئ بضعف ترجمة الموازنة العامة على أرض الواقع والحياد عن تحقيق أهدافها (زكريا محمد بيومي، 1978م).

الإطار العملي:

مفهوم الإيرادات الذاتية

تعرف الإيرادات الذاتية بأنها الإيرادات التي تتحصل عليها الحكومة الولائية من الهيئات والمؤسسات التابعة للحكومة الولائية وذلك بموجب قوانين صادرة من المجلس التشريعي للولاية وأوامر محلية صادرة من المجلس التشريعي للمحليات . وتحدد هذه القوانين والأوامر المحلية كافة الضرائب والرسوم وفئاتها هذا بالإضافة إلى لائحة الإجراءات المالية والمحاسبية والتي توضح كيفية التحصيل والتوريد . يتم تحصيل الموارد الذاتية بموجب أرانيك مالية معتمدة (أورنيك مالي 15) ويتم التحصيل

بواسطة المتحصلين وتراجع التوريدات بواسطة المحاسب المسؤول في الوحدة وتورد في حساب الوحدة المعنية من إحدى البنوك أو في الخزينة حسب الحال.

تتكون الإيرادات الذاتية من ستة إيرادات هي:

1| إيرادات رئاسة الولاية

تتكون من الضرائب المباشرة والضرائب غير المباشرة وتفاصيلها كالاتي: (مذكرة تفصيلية لإيرادات رئاسة الولاية، 2007م)

- رسوم مبيعات وفروقات الأسعار: وتشمل عائد رسوم السلع وعائد فروقات ترحيل المواد البترولية
- رسوم تصديق الاستثمار: وهى رسوم تراخيص المشروعات الاستثمارية داخل أراضي الولاية الشمالية
- عائد مبيعات المخازن : وهي عائد مبيعات الأرانيك والدفاتر المالية الصادرة من وزارة المالية بهدف بيع التالف والمتهالك في مزادات .
- عائد رسوم الخدمات: وهي رسوم متنوعة يتم تحصيلها عبر جهات مختلفة وتشمل الرسوم التالية: رسوم إدارة خدمات الثروة الحيوانية، رسوم إدارة الرعاية الاجتماعية، رسوم إدارة الثقافة والإعلام، رسوم خدمات الطرق الداخلية ودعم الكباري، رسوم خدمات السجل التجاري، رسوم ترخيص وتجديد المدارس الخاصة ومراكز الحاسوب، رسوم استخراج شهادة الممتحنين من مرحلة الأساس، رسوم خدمات النقل العام، رسوم المغادرين عبر المركبات خارج الولاية، رسوم المغادرين عبر ميناء حلفا، رسوم خدمات مكتب العمل.
- عائد التخلص من الفائض: وهي حصيلة بيع العربات والأصول الحكومية المتهالكة.
- عائد الدعم على السكر.
- عائد الرسوم الإدارية على المحاصيل.
- عائد رسوم خدمات صادر الإبل والمواشي.
- عائد رسوم المساحة والأراضي: وتشمل عائد رسوم الإشراف على المنشآت العامة وإيجار الآليات.

- عائد معاملات إدارة الطاقة والتعدين: وتشمل رسوم المحاجر والمعاملات الخاصة بالطاقة والتعدين.
- عائد مبيعات الأراضي الاستثمارية الزراعية.
- عائد لجان التصرف في الأراضي الزراعية.
- عائد إدارة الأسماك: وهي رسوم تنظيم عمليات الصيد ببحيرة النوبة.
- عائد المشاتل والبساتين.
- عائد الخدمات الطبية: وتشمل عائد رسوم ترخيص العيادات والمستشفيات والمعامل والصيدليات الخاصة، وعائد رسوم الخدمات المختلفة التي تقدم داخل المستشفيات الحكومية
- الضرائب المحولة: وتشمل الضرائب بأنواعها المختلفة بالإضافة إلي ضريبة الخصم والإضافة التي يتم تحصيلها في النقاط الجمركية.
- عائد رسوم الدمغة الولائية.
- عائد المصانع الولائية (أسماك حلفا وتعليب الخضر والفاكهة بكريمة).
- مساهمة الشركات: وهي مساهمة تقدرها الشركات التي تمتلكها الحكومة الولائية لدعم الموازنة العامة.
- عائد معاملات الشرطة الموحدة : وتشمل عائد رسوم البطاقة الشخصية ، وترخيص السلاح الخصوصي، وعائد معاملات شرطة المرور، وعائد معاملات شرطة الحياة البرية، وعائد معاملات الدفاع المدني، وعائد مشاريع السجون والإصلاح.
- عائد إدارة السياحة: وهي رسوم تنظيم السياحة بالمناطق الأثرية بالولاية.
- أخري: وتشمل عائد ترخيص العربات الحكومية ورسوم العبور وغيرها.

فيما يلي جدول يوضح التحصيل الفعلي من إيرادات رئاسة الولاية لنقف على التطور الذي طرأ عليها ثم تحليل أسباب الزيادة والنقصان في حجم هذه الإيرادات.

جدول رقم (1)

يوضح التحصيل الفعلي لإيرادات رئاسة الولاية للفترة من 2000م – 2007م المبلغ بالمليون جنية

العام المالي	التحصيل الفعلي
2000م	6.3

2001م	5.9
2002م	10.9
2003م	12.5
2004م	15.8
2005م	20.9
2006م	26.4
2007م	28.9

المصدر : إعداد الباحث إستناداً علي تقارير الأداء المالي للولاية الشمالية للأعوام 2000م – 2007م

تحليل الجدول رقم (1)

نلاحظ من الجدول رقم (1) ارتفاع حجم التحصيل من عام لآخر ماعدا العام 2001م، حيث نلاحظ أن حجم التحصيل قد قل من 6.3 مليون جنية للعام 2000م إلى 5.9 مليون جنية للعام 2001م ثم بعد ذلك اتجه حجم التحصيل في الزيادة خلال فترة الدراسة. وقد تمثلت أهم أسباب نقصان حجم التحصيل من إيرادات رئاسة الولاية في الموازنة 2001م للأسباب الآتية:

جاء برنامج الولاية الرئاسية الثانية والذي كان يهدف لخدمة المواطن وتحسين وضعه المعيشي ورفع المعاناة عن كاهل المواطن على الاهتمام بالبنيات الأساسية وقد صدر في الربع الأول من العام 2001م في إطار هذا البرنامج قرارات اقتصادية تم بموجبها إلغاء جميع الرسوم على الزراعة ورسوم أسواق المحاصيل. وبما أن القرارات كانت إيجابية في أهدافها لكنها أفرزت بعض السلبيات على موازنة العام 2001م والتي كانت قد تضمنت إيرادات أسواق المحاصيل وضرائب الزروع الملغية بموجب تلك القرارات، وقد قدر الفاقد في موازنة العام 2001م بما يعادل 9.500.000 جنية بنسبة انحراف سالبة قدرها (7%) من العام 2000م.

ولتعويض الفاقد قامت الولاية بالبحث عن بدائل تم تضمينها في موازنة العام 2002م و2003م

- في موازنة العام 2002م تم تم إضافة أوعية إيرادية جديدة شملت:

-رسوم مكتب العمل.

-عائد مشروع ترقية الصادر.

-عائد رسوم السياحة.

-عائد رسوم على القدوم والمغادرة عبر مطار دنقلا.

-رسوم السجل التجاري.

-تعديل بعض فئات الأوعية الإيرادية المتاحة.

- في موازنة العام 2003م تم إضافة أوعية إيرادية جديدة شملت:

- فرض رسوم خدمات على الباصات والحافلات المغادرة للولاية.

- مساهمة المصانع الولائية (تعليب الحضر والفواكه كريمة أسماك حلفا).

- عائد الإشراف على المباني والمنشآت العامة (إدارة الإسكان والمرافق العامة).

- عائد إيجار آليات الطرق (معاملات إدارة الإسكان والمرافق العامة).

- رسوم خدمات شهادة الصحة البيطرية على الحيوان وبعض رسوم الخدمات الأخرى.

- شهدت الفترة 2004م – 2007م تطور ملحوظ في حجم موارد رئاسة الولاية عن طريق

- إضافة مصادر إيرادية جديدة (عائد المشاتل، رسوم الطرق، البطاقة الحرفية، معاملات الطاقة والتعدين).
- إحداث توسعة في الربط لبعض الأوعية الإيرادية (الضرائب ، رسوم الدمغة، رسوم المبيعات ، تصديقات الاستثمار، رسوم الخدمات، عائد معاملات الشرطة الموحدة، عائد معاملات التجارة الخارجية ورسوم المساحة والأراضي.

2| الإيرادات الذاتية للمحليات

تتكون إيرادات المحليات من إيرادات القطاع الزراعي بشقية النباتي (النخيل، الأطيان، إيجار الأراضي الزراعية، رخص الأراضي الزراعية) والحيواني (رسوم الذبيح، الشهادات الصحية والبيطرية)

ورسوم الخدمات (عوائد المبيعات، إيجار العقارات، الرخص التجارية) وبعض الرخص والرسوم الأخرى (تقرير موارد المحليات للولاية الشمالية، 2007م)

ولنقف على التطور الذي حدث على إيرادات المحليات لنوضح أسباب الزيادة والنقصان فيها نسرد الجدول التالي:

جدول رقم (2)

يوضح التطور الذي طرأ على التحصيل الفعلي لإيرادات المحليات للفترة من 2000م – 2007م المبلغ بالمليون جنية

العام المالي	التحصيل الفعلي
2000م	8.1
2001م	5.1
2002م	3.9
2003م	3.8
2004م	4.6
2005م	6.5
2006م	7.3
2007م	7.5

المصدر : إعداد الباحث إستناداً علي تقارير الأداء المالي للولاية الشمالية للأعوام 2000م – 2007م

تحليل الجدول رقم (2)

نلاحظ من الجدول رقم (2) انخفاض إيرادات المحليات في الأعوام 2001م، 2002م، 2003م وذلك للأسباب التالية

- إلغاء رسوم أسواق المحاصيل خلال الربع الأول من العام 2001م والتي كانت تشكل مورداً هاماً ورئيسياً حيث كانت هناك نسبة تخصص للمحليات من إيرادات أسواق المحاصيل.

- إلغاء ضرائب القطاع الزراعي وهي تمثل المورد الرئيسي للمحليات.
- انخفاض معدل الأداء في المواعين الإيرادية الأخرى بسبب ضعف آلية التحصيل في بعض المحليات.
- نلاحظ من الجدول ارتفاع الأداء في الأعوام 2004م، 2005م، 2006م، 2007م بنسبة نمو بلغت 22%، 43%، 11%، 3% على التوالي كما هو موضح في الجدول.

3| الإيرادات الممركزة بوزارة المالية (ضرائب المحليات)

بعد قيام الحكم الفيدرالي تم تخصيص نسبة من الضرائب لصالح المحليات بموجب المرسوم الدستوري الثاني عشر وكانت المحليات تتحمل الإنفاق على الأجور والمرتبات للعاملين من مواردها الذاتية وإذا كان هناك عجز يتم سداده من وزارة المالية. وفى العام 2001م تم عقد مؤتمر المحليات بالولاية وأهم التوصيات التي خرج بها المؤتمر هو أن تتم مركزة نصيب المحليات من إيرادات الضرائب بوزارة المالية على أن تتحمل الوزارة الإنفاق على الفصل الأول (أجور ومرتبات) للمحليات وتم التطبيق الفعلي لهذا الأمر في موازنة العام 2002م (تقرير موارد المحليات للولاية الشمالية، 2007م)

جدول رقم (3)

يوضح إيرادات المحليات من الضرائب الممركزة للفترة من 2002م – 2007م المبلغ بملايين الجنيهات

العام المالي	التحصيل الفعلي	نسبة الأداء من الربط الكلي
2002م	1.212	%93
2003م	1.247	%94
2004م	1.203	%89
2005م	1.431	%95
2006م	1.507	%97
2007م	2.434	%131

المصدر : إعداد الباحث إستناداً علي تقارير الأداء المالي للولاية الشمالية للأعوام 2002م – 2007م

تحليل الجدول رقم (3)

في الفترة من 2000م – 2001م كانت ضرائب المحليات تظهر ضمن الموارد الذاتية للمحليات في الجدول السابق رقم (2) وذلك لعدم مركزة الضرائب في تلك الفترة.

نلاحظ من الجدول رقم (3) بلغ التحصيل الفعلي للعام 2002م مبلغ 1.212.684.53 جنية بنسبة أداء قدرها 93% من الربط المقدر، وارتفع إلي 2.434.481.38 جنية في العام 2007م بنسبة أداء قدرها 131% عن العام 2002م عام الأساس.

تحققت أعلى معدل للتحصيل الفعلي في الفترة قيد التحليل في العام 2007م بمبلغ 2.434.481.38 جنية وبنسبة نمو قدرها 101%، 95%، 102%، 70%، 61% عن الأعوام 2002م، 2003م، 2004م، 2005م، 2006م على التوالي.

4| الجهد الشعبي

يساهم الجهد الشعبي في المشروعات التنموية الملحة التي تحتاجها الولاية ولا تستطيع الولاية تنفيذها لذا تلجأ الحكومة الولائية إلى أفرادها لتفتح باب التبرع والعمل الخيري. ويساهم الجهد الشعبي في الولاية الشمالية مساهمة فعالة إلا أن المرصود من إجمالي الجهد الشعبي قليل جداً مقارنة بالمنفذ حيث نجد أن هناك أموال كبيرة يساهم بها الجهد الشعبي في الولاية يصعب رصدها وذلك لأسباب منها: (مذكرة عن تطور الموارد بالولاية الشمالية وأثرها في التنمية الاجتماعية، 2007م)

أ| لا توجد وسائل نقل متوفرة يتم من خلالها الوصول إلى المناطق البعيدة خصوصاً أن هناك مناطق يعيش فيها الأفراد متفرقين.

ب| وعورة الطريق حيث أن تضاريس الولاية الشمالية في شمالها يكون الطريق صحراوي يصعب التنقل من منطقة لأخرى.

جدول رقم (4)

يوضح مساهمة الجهد الشعبي في التنمية بالولاية الشمالية المبلغ بالجنيهات

العام المالي	التحصيل الفعلي

2005م	8.892.268.26
2006م	2.503.900
2007م	5.674.565

المصدر : تقرير الأداء المالي للعامين 2006م –2007م ، الولاية الشمالية

تحليل الجدول رقم (4)

نلاحظ من الجدول رقم (4) تذبذب مساهمة الجهد الشعبي في التنمية بالولاية وذلك لأن الجهد الشعبي متروك للعمل الخيري ففي العام 2005م كانت مساهمته كبيرة بينما نجده قد قل في العام 2006م ثم تزايد في العام 2007م. وحتى يتم رصد الجهد الشعبي بدقة فإن الباحث يوصي بضرورة رصده بواسطة اللجان الشعبية بالمنطقة حتى يتم توضيح دوره الحقيقي في التنمية بالولاية.

5| المنح والقروض

تساهم المنح والقروض في عمليات التنمية بالولاية إلا أن هذه المنح والقروض لا تنساب للولاية كل عام وإنما تأتي من فترة لأخرى.

جدول رقم (5)

يوضح إجمالي المنح والقروض التي تم توظيفها في التنمية بالولاية

العام المالي	قيمة القروض بالجنيهات
2005م	لا يوجد
2006م	5.179.651
2007م	55.000

المصدر : تقرير الأداء المالي للعامين 2006م – 2007م للولاية الشمالية

تحليل الجدول رقم (5)

نلاحظ من الجدول رقم (5) أن القروض لا تنساب للولاية كل عام فنجد في العام 2005م لا توجد قروض أما في العامين 2006م –2007م على التوالي كانت هناك قروض تم توظيفها في مشاريع توصيل المياه بالولاية.

6| الهيئات والوحدات المستقلة

تساهم الهيئات والوحدات المستقلة في زيادة إجمالي الإيرادات الذاتية للولاية حيث تقدم هذه الوحدات المستقلة خدمة للمواطن من خلالها يتم استقطاع جزء من دخله كرسوم لتقديم هذه الخدمات. ومن الهيئات والوحدات المستقلة بالولاية الاتي:

أ| هيئة مياه الولاية

تقوم هذه الهيئة بتوصيل المياه الصالحة للشرب لجميع أفراد الولاية نظير دفع رسوم شهرية لا تتعدى الخمسة والعشرون جنيهاً لكل منزل، وقد ساهمة هيئة مياه الولاية مساهمة كبيرة في إجمالي الأيرادات الذاتية للولاية حيث ساهمة في العام 2006م بمبلغ 5.484.568.91 جنية بينما ساهمة في العام 2007م بمبلغ 5.369.270 جنية . ويقترح الباحث الاتي لزيادة إيرادات هذه الهيئة:

1| يجب استغلال مياه النيل بدلاً من الطلمبات الجوفية لمد المواطنين بالمياه الصالحة للشرب.

2| تسهيل إجراءات المياه توصيل المياه لكل منزل.

3| توفير قطع الغيار للوحدات العاملة بالهيئة لمواجهة الإعطاب ولمنع هدر المياه.

ب| الإدارة العامة لأسواق المحاصيل.

تقوم بتحصيل الرسوم الإدارية لأسواق المحاصيل وهي رسوم تفرض كنسبة مئوية علي إجمالي الإنتاج الكلي من المحاصيل الزراعية وكانت تفرض كمبلغ مقداره واحد جنية على الجوال إلا أنه تم إلغاؤها عام 2001م وأصبحت تجبى كنسبة مئوية (تقرير الأداء المالي للولاية الشمالية، 2001م)

تقوم الولاية الشمالية بتخصيص الرسوم الإدارية لأسواق المحاصيل للصرف على التنمية وهي تساهم مساهمة فعالة في التنمية.

جدول رقم (6)

يوضح المبالغ الواردة من أسواق المحاصيل لحساب التنمية بالولاية المبلغ بالجنيهات

العام المالي	التحصيل الفعلي
2003م	1.92
2004م	2.78
2005م	3.59
2006م	3.64
2007م	3.40

المصدر: إعداد الباحث إستناداً على تقارير الأداء المالي للولاية الشمالية للفترة من 2003م –2007م

تحليل الجدول رقم (6)

واضح من خلال الجدول رقم (6) زيادة التحصيل الفعلي من عام لآخر، وهذه الزيادة ناتجة من اهتمام الولاية بالعوامل التي تساعد على عملية التحصيل كتوفير العربات التي تساعد الأفراد إلى الوصول لحقول الإنتاج للتعرف على كمية الإنتاج الحقيقية وفتح نقاط التحصيل بالقرب من مناطق الإنتاج وزيادة تدريب العاملين بأسواق المحاصيل.

إن تحصيل الرسوم الإدارية لأسواق المحاصيل مرتبط بكمية الإنتاج فكلما زادت كمية الإنتاج زادت معه إيرادات أسواق المحاصيل وكلما قلت كمية الإنتاج قلت معه إيرادات أسواق المحاصيل. وتواجه الإدارة العامة لأسواق المحاصيل مشكلة التهريب حيث يلجأ الأفراد إلى تهريب منتجاتهم وإخفاء الكمية الحقيقية منها بغية التقليل من نسبة التحصيل.

مساهمة الإيرادات الذاتية في الإيرادات العامة للولاية الشمالية:

جدول رقم (7)

يوضح نسبة مساهمة الإيرادات الذاتية في إجمالي الإيرادات العامة للولاية الشمالية المبلغ بالمليون جنية

العام المالي	الإيرادات العامة	الإيرادات الذاتية	نسبة مساهمتها في الإيرادات العامة

2000م	24.249.515.99	15.986.298.09	%65.9
2001م	29.162.153.93	11.043.036.92	%37.8
2002م	46.913.861.76	16.258.364.79	%34.6
2003م	60.100.123.58	22.261.120.15	%37
2004م	92.748.791.94	36.629.391.94	%39.5
2005م	136.068.424.28	60.866.664.28	%44.7
2006م	159.450.472.65	63.304.884.50	%39.7
2007م	204.210.045.00	84.071.490.00	%41

المصدر : إعداد الباحث استناداً على تقارير الأداء المالي للولاية الشمالية للفترة من 2000م – 2007م

تحليل الجدول رقم (7)

واضح من خلال الجدول رقم (7) انخفاض مساهمة الإيرادات الذاتية في إجمالي الإيرادات العامة للولاية الشمالية حيث أنها ساهمة بنسبة أقل من النصف عدا العام المالي 2000م حيث لم تكن ضرائب الزروع قد ألغيت في تلك الفترة وإنما تم إلغاؤها عام 2001م.

بالنظر إلي الإيرادات الذاتية في الجدول رقم (7) نلاحظ أن حجم الإيرادات الذاتية من العام 2001م إلى العام 2007م في حالة تزايد مستمر مما يؤكد لنا اهتمام الولاية بمواردها الذاتية والسعي نحو تطويرها لزيادتها.

السياسات والإجراءات التي اتبعتها وزارة المالية في تطوير الإيرادات الذاتية بالولاية الشمالية:

خلال المراحل المختلفة انتهجت الوزارة مجموعة من السياسات والإجراءات التي ساعدت في إنفاذ برامجها مما ساهم في تطوير الموارد منها (مذكرة عن تجربة وزارة المالية والاقتصاد في تنمية وتطوير الموارد الذاتية، 2007م):

1| بما أن تنظيم النواحي الإدارية يعتبر من العوامل المهمة لنجاح أي عمل قامت الوزارة بإعادة هيكلة للإدارات والأقسام وقد تم في إطار ذلك ترفيع قسم الإيرادات إلى إدارة تعنى بتطوير وتنمية

الموارد ومتابعة أداء الوحدات الإيرادية إلى جانب ذلك أنشأت الوزارة إدارة خاصة بشئون المحليات تشرف على تقييم الأداء من واقع التقارير الدورية وتعكس المشاكل والمعوقات تمهيداً لمعالجتها وتقوم بدور المنسق بين الوزارة والمحليات .

2| تقوم الوزارة بصورة دورية بمراجعة القوانين الإيرادية وتعمل على تطويرها ومعالجة الثغرات بالتنسيق مع الوحدات الإيرادية والإدارة القانونية ، وتولت الوزارة توحيد بعض مصادر التشريعات الإيرادية (النخيل، الأطيان، رسوم الخدمات) بالتنسيق مع المحليات والوحدات الإيرادية برئاسة الولاية.

3| مراعات الدقة عند وضع تقديرات الموازنة السنوية بالاعتماد على الإحصائيات والأداء الفعلي.

4| إصدار لائحة موحدة للحوافز والمكافآت على مستوى وحدات رئاسة الولاية والمحليات شملت مكافآت التحصيل وحوافز قفل الحساب.

5| الطواف الميداني على الوحدات الإيرادية للوقوف على المشاكل والعمل على تزليلها وتوفير وسائل الحركة.

6| الإهتمام بالتدريب ودعم البرامج التدريبية للعاملين في الحقل المالي والمحاسبي.

7| توحيد قنوات تحصيل بعض الرسوم لتسهيل عملية التحصيل وتقليل التكلفة (رسوم المغادرة عبر الضرائب ، رسوم الخدمات على السلع عبر أسواق المحاصيل).

النتائج والتوصيات

أولاً النتائج

1| باستقراء البيانات في الجدول رقم (7) يتضح لنا ضعف مساهمة الإيرادات الذاتية في إجمالي الإيرادات العامة للولاية الشمالية وهذا الضعف ناتج من الاتي:

أ| اعتماد الولاية على موارد تتحصل عليها من القطاع الزراعي مما يجعلها عرضة للتقلب والتذبذب فإذا نقص حجم الإنتاج لأي سبب من الأسباب فإن الإيردات تقل تبعاً لذلك.

ب| إلغاء بعضاً من موارد الولاية حيث تم إلغاء الضرائب على الزروع عام 2001م مما أدى إلى تقليل حجم الإيردات الذاتية.

ج| ضعف العوامل المساعدة في عملية التحصيل (عربات، كوادر بشرية مؤهلة، صعوبة الوصول لبعض المناطق لوعورة الطريق.....).

2| باستقراء البيانات في الجدول رقم (7) يتضح لنا أن الإيرادات الذاتية في حالة تزايد من عام لآخر عدا العام 2001م الذي تم فيه إلغاء الضرائب على الزروع مما يبرهن لنا اهتمام الولاية بمواردها الذاتية.

3| أوضحت الدراسة أن القرارات الصادرة من الحكومة الاتحادية بشأن الإيرادات أدت إلى تقليل حجم الإيرادات الذاتية فقد تم في العام 2001م إلغاء الضرائب على الزروع وبعضاً من الرسوم الإدارية لأسواق المحاصيل مما أدى إلى تقليل حجم الإيرادات الذاتية.

4| أوضحت الدراسة أن الإجراءات التي اتخذتها وزارة المالية والاقتصاد بالولاية بشأن تطوير الإيرادات ومحاولة زيادتها كانت إيجابية حيث انعكست تلك الإجراءات في زيادة حصيلة الإيرادات الذاتية للولاية.

5| بالرغم من الزيادة في حجم الإيرادات الذاتية للولاية إلا أن هناك بعض الأوعية الإيرادية في بعض المحليات ضعيفة وهذا ناتج من الاتي:

أ| ضعف آلية التحصيل (عربات، كوادر بشرية مؤهلة....).

ب| يعيش الناس متفرقين في بعض المحليات مما يصعب معه الوصول إليهم.

ج| وعورة الطريق في بعض المحليات.

6| بالرغم من زيادة الإيرادات الذاتية للولاية الشمالية إلا أنه ما زالت الولاية وإلى الأن تعتمد على الدعم الاتحادي الذي يأتيها من الحكومة الاتحادية لدعم برامجها التنموية بالولاية.

ثانياً : التوصيات

1| على الولاية أن تعمل على تطوير مواردها وذلك من خلال إدخال القطاع الصناعي إلى جانب القطاع الزراعي الذي تعتمد عليه الولاية في مواردها الذاتية حتى يجنبها التذبذب في حجم الإيرادات الذاتية.

2| على الولاية أن تعمل على رفع ألية التحصيل وذلك من خلال الاتي:

أ| توفير العربات التي تساعد على توصيل الأفراد إلى مناطق التحصيل.

ب| تدريب العاملين لرفع كفاءة التحصيل.

ج| ربط المحليات بطرق داخلية يسهل معه الوصول إلى مناطق التحصيل.

3| على الولاية أن تعمل على الصرف على المشاريع التي تخلق العائد كمشاريع الخدمات الاجتماعية (المياه ، الصحة ، التعليم ، الكهرباء ، الصرف الصحي ....) والمشاريع الاقتصادية التنموية كالتوسع في المشاريع الزراعية والتنوع المحصولي، إدخال الصناعة إلى جانب القطاع الزراعي، الاهتمام بالتعدين حيث تم في الآونة الأخيرة اكتشاف الذهب والبترول في الولاية مما يعمل على زيادة إيرادات الولاية.

4| على الولاية أن تعمل على الترويج للاستثمار وإقامة مشاريع مشتركة بين الحكومة الولائية والحكومة الاتحادية والقطاع الخاص حتى يؤدي ذلك إلى زيادة الإيرادات الذاتية في المستقبل.

5| زيادة مخصصات الإنفاق على القطاع السياحي وذلك لأن الولاية تمتلك سياحة في الصحراء وسياحة على النيل وسياحة في الأثار وتبسيط إجراءات دخول السياح للولاية حتى يؤدي ذلك إلى تنمية موارد الولاية في المستقبل.

6| ضرورة رصد الجهد الشعبي بواسطة اللجان الشعبية حتي يتم توضيح دوره الحقيقي في التنمية بالولاية.

قائمة المراجع والمصادر

أولاً : المراجع

1| عثمان إبراهيم السيد، الاقتصاد السوداني ، مطبعة جامعة أمدرمان الإسلامية للنشر، أمدرمان، 2007م

2| محمد زكى المسير، اقتصاديات المالية العامة في النظام المالي الإسلامي، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، 1986م.

3| زكريا محمد بيومي، مبادئ الإدارة والمالية العامة، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، 1978م.

4| حسين عمر، التنمية والتخطيط الاقتصادي، دار الشروق للنشر، الرياض، الطبعة الثانية، 1987م.

ثانياً : التقارير

4| تقارير الأداء المالي للولاية الشمالية من العام 2000م وحتى العام 2007م.

6| تقارير موارد المحليات للولاية الشمالية من العام 2000م وحتى العام 2007م.

ثالثاً : المذكرات

7| مذكرة تفسيرية لإيرادات رئاسة الولاية، الولاية الشمالية، 2007م.

8| مذكرة بعنوان تطور الموارد بالولاية الشمالية وأثرها في التنمية الاجتماعية، الولاية الشمالية، 2007م

9| مذكرة عن تجربة وزارة المالية والاقتصاد والقوى العاملة في تطوير وتنمية الموارد الذاتية، الولاية الشمالية، 2007م.

الحاكم والمحكوم في السنة النبوية

د. عبد الله عوض الطيب عبد الهادي

الأستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة النيلين

المستخلص :

الإمارة والحكم والقضاء مترادفات تعني القيادة ، ومن أصعب القيادة قيادة البشر ، لذلك جاء الإسلام عبر منهجه . الكتاب والسنة . لوضع الأسس والضوابط التي تحكم هذه الوظيفة الإنسانية الخطيرة ، حتى تكون على البشرية نعمة ولا تكون عليهم نقمة، فهي تكليف وليست تشريف، وهي أمانة بكل ما تعنيه هذه الكلمة، وهي خزي وندامة على من لم يؤديها على الوجه الأكمل.

وفي هذه الورقة نقف مع الأحاديث النبوية التي توضح لنا معالم الطريق الذي يقودنا إلى بر الأمان إذا طبقنا ما ورد فيها من توجيهات علينا أن نتبعها، وما ورد فيها من تحذيرات علينا أن نحذرها ونبتعد عنها.

Emirate and governance and the elimination synonyms means leadership, and the most difficult driving leadership humans, so Islam came via his method book and the year to lay the foundations and regulations governing this function the serious humanitarian, so be on the human grace are not they curse, they are assigned and not honor, a secretariat in every sense this word, which is a shame and regret of not performed perfectly.

In this paper, we stand with the hadith which shows us the contours of the road that leads us to safety if we apply what directives Word Press there in we have to follow, and warnings contained therein we must Nhdhirha and get away it, God has said: {And whatsoever Messenger Fajdhuh and what he forbids you, abstain}.

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– صَلاَةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا قَالَ : [أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَة][56]

الإمارة والحكم من أهم الوظائف في المجتمع ، بهما تستقيم حياة الناس، ويسود الأمن والاستقرار ، لذلك جاءت الشريعة الإسلامية بمصدريها الكتاب والسنة موضحةً ومبينةً كيفية التعامل بهما وفق ضوابط وشروط معينة يجب توفرها في الشخص الذي يتولى الإمار ة أو الحكم .

وكتاب صحيح البخاري يعتبر من أهم مصادر الحديث والسنة النبوية ، وقد وردت فيه أحاديث صحيحة تناولت هذا الجانب المهم، وهذه دراسة تحليلية نقدية لما ورد في تلك الأحاديث.

مَا يُكْرَهُ مِنْ الْحِرْصِ عَلَى الْإِمَارَةِ:

56 صحيح البخاري (ج 18 / ص 57).

عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :[يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك][57]

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: [إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة][58]

قال المهلب: حرص الناس على الإمارة ظاهر العيان، وهو الذي جعل الناس يسفكون عليها دماءهم ، يستبيحون حريمهم، ويفسدون في الأرض حين يصلون بالإمارة إلى لذاتهم ، ثم لابد أن يكون فطامهم إلى السوء وبئس الحال؛ لأنه لا يخلو أن يقتل عليها أو يعزل عنها وتلحقه الذلة أو يموت عليها فيطالب في الآخرة فيندم. والحرص الذي اتهم النبي (صلى الله عليه وسلم) صاحبه ولم يوله هو أن يطلب من الإمارة ما هو قائم لغيره متواطئًا عليه ، فهذا لا يجب أن يعان عليه ويتهم طالبه ، وأما إن حرص على القيام بأمر ضائع من أمور المسلمين أو حرص على سد خلة فيهم ، وإن كان له أمثال في الوقت والعصر لم يتحركوا لهذا ، فلا بأس أن يحرص على القيام بالأمر الضائع ولا يتهم هذا إن شاء الله. وبين هذا المعنى حديث خالد بن الوليد حين أخذ الراية من غير إمرة ففتح له[59]

ونحن نرى أن الناس يتكالبون عليها وبدون مؤهلات ويدفعون في سبيل ذلك كل ما يملكون بدءاً ببيع الذمم واليمين الفاجرة والرشاوى والتزوير في صناديق الاقتراع وغيرها، وأحياناً يذهبون إلى أبعد من ذلك بالاغتيالات وسفك الدماء التي حرمها الله.

لذلك كان الفشل حليفهم والتخبط فيما أسند إليهم من مسئولية، فعاثوا في الأرض الفساد، وبسبب ذلك تدهور الحال وضاعت المجتمعات ورجع الناس إلى الفوضى والجهل والدمار في شتى مناحي الحياة.

---

57 صحيح البخاري(ج 6 / ص 2613).

58 نفس المصدر السابق.

59 شرح صحيح البخاري . لابن بطال (ج 8 / ص 218).

وهذا تصديق لقول الصادق الأمين . صلى الله عليه وسلم . الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ترشيح الأمير وتزكيته:

اختيار الأمير ليس بالأمر السهل ولا يتم ذلك الاختيار عشوائياً، أو اتباعاً للهوى أو المجاملة ، بل وفق علم ودراية بشخصية الذي يراد ترشيحه واختياره لهذه المهمة، ومن كان كذلك وقد تمت تزكيته من أهل الحل والعقد فلا يجوز الطعن فيه أو التنقيص من مكانته، لأن ذلك فيه ما فيه من الزعزعة وعدم الثقة في الحاكم أو الوالي الذي تم اختياره، كما أن ذلك من باب القذف الذي حرمه الله، ولنا الأسوة والقدوة الحسنة عنه صلى الله عليه وسلم.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمْرَتِهِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : [إِنْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمْرَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ][60]

أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما معلوم لكل المسلمين فهو وأبوه صحابيان، بل من كبار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ويكفي بهما شرفاً حب رسول اللهـ صلى الله عليه وسلم لهما. كما ورد في هذا الحديث.

شاهدنا في هذا هو الإمارة واختيار أسامة رضي الله عنه دون غيره ومن الرسول شخصياً:

1/ ترجمة أسامة رضي الله عنه:

هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي حب رسول الله صلى الله عليه و سلم ومولاه وابن حبه وأمه أم أيمن مولاته روى عن النبي صلى الله عليه و سلم وعن أبيه وبلال وأم سلمة وعنه عروة وأبو عثمان النهدي وأبو وائل وغيرهم أمره النبي صلى الله عليه و سلم على جيش فيهم أبو بكر وعمر وقال فيه وايم الله إن كان لخليقاً بالإمارة وفي صحيح البخاري أنه قال له وللحسن: [اللهم إني أحبهما فأحبهما] وزوجه فاطمة بنت قيس وكان يومئذ بن خمس عشرة سنة وولد له في عهد

60 صحيح البخاري . باب مناقب زيد بن حارثة (ج 16 / ص 491).

النبي صلى الله عليه و سلم كذا جزم به الحافظ أبو الفضل العراقي في شرح الأحكام وذكره أيضا بن حجر وقال إن جده حارثة أسلم فهؤلاء أربعة متوالدون صحابة ، وتوفي النبي صلى الله عليه و سلم وهو بن تسع عشرة سنة وفضله عمر على ابنه عبد الله في الفرض وقال هو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم منك ، سكن المزة . من قرى دمشق . مدة ثم تحول إلى المدينة ومات بها وقيل بوادي القرى سنة أربع وخمسين[61]

2/ قصة اختياره أميراً للجيش دون غيره :

أبو بكر الصديق (ج 1 / ص 29).

يوم الأربعاء 14 ربيع الأول سنة 11هـ كان رسول الله قد استعمل أسامة بن زيد وأمره بالتوجه إلى حدود الشام للأخذ بثأر من قتل في غزوة مؤتة وقد كان رسول الله قد ضرب البعث على أهل المدينة ومن حولها وفيهم عمر بن الخطاب وعسكر جيش أسامة بالجرف [62] فاشتكى رسول الله ثم وجد من نفسه راحة فخرج رسول الله عاصباً رأسه فقال : [أيها الناس أنفذوا جيش أسامة] ثلاث مرات . وقال : (إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبله وايم الله إنه كان خليقاً للإمارة وايم الله إنه لمن أحب الناس إلي من بعده]

وذلك لأن الناس طعنوا في إمارة أسامة لأنه كان شاباً لم يتم العشرين من عمره.

توفي رسول الله ولم يسر الجيش وارتد كثير من العرب ونجم النفاق واشرأبت أعناق اليهود والنصارى وبقي المسلمون لا يدرون ماذا يصنعون لوفاة نبيهم وقلة عددهم وكثرة عدوهم . فقال الناس لأبي بكر : إن جيش أسامة جند المسلمين والعرب قد انتقضت بك فلا ينبغي أن تفرق عنك جماعة المسلمين.

فماذا يصنع أبو بكر؟ إنهم يعترضون على إمارة أسامة لصغر سنه ويعترضون على إرسال جيش المسلمين لارتداد العرب وقلة عدد المسلمين وخزفهم على مركزهم بالمدينة . غير أن رسول الله كان يشدد في إرسال جيش أسامة وقد أخذ أبو بكر عهدا على نفسه بأن لا يعصي الله ورسوله . فهل يخالف أمر رسول الله ؟ كلا فإن ذلك ليس من طبيعته ولا من خلقه وإنما خلقه الثبات إلى آخر

61 إسعاف المبطأ / ط المكتبة التجارية (ج 1 / ص 5).

62 الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.

لحظة وتنفيذ أوامر رسول الله بكل دقة في كل كبيرة وصغيرة مهما كلفه ذلك لقوة إيمانه وثبات يقينه وعملا بواجب الصداقة. لهذا كانت إجابته للمعترضين في غاية القوة حيث قال : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه و سلم ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته.

وقال لعمر لما أرسله أسامة يستأذنه في الرجوع وطلب إليه الأنصار إن أبى أن يولي عليه من هو أقدم سناً من أسامة:

لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه و سلم.

فقال عمر: إن الأنصار أمروني أن أبلغك وأنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلا أقدم سنا من أسامة. فوثب أبو بكر وكان جالسا يأخذ بلحية عمر فقال له:

ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه و سلم وتأمرني أن أنزعه.

فخرج عمر إلى الناس بعد أم سمع ورأى من أبي بكر ما رأى. فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله.

وإجابة أبي بكر بهذه القوة تذكرنا بما قاله رسول الله لعمه أبي طالب حين ظن أنه قد خذله وضعف عن نصرته : يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه فيه ما تركته.

خرج أبو بكر حتى أتى الجيش وأشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن . فقال : و الله لا تنزل ووالله لا أركب وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة. فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وترفع عنه سبعمائة خطيئة . حتى إذا انتهى قال إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل ومعنى ذلك أنه يستأذن أسامة – قائد الجيش – أن يترك له عمر لأنه كان في الجيش فأذن له، فودع أسامة من الجرف ورجع. وكان إرسال الجيش بعد بيعة أبي بكر بيوم أعني يوم الأربعاء 14 من ربيع الأول.

وقد كان أبوه زيد بن حارثة أميراً وقائداً لجيش المسلمين في غزوة مؤتة المشهورة فلما استشهد تولى بعده القيادة جعفر بن أبي طالب فلما استشهد قاد الجيش عبد الله بن رواحة وذلك بحسب تعليمات القائد الأعلى صلى الله عليه وسلم، فلما استشهد ثلاثتهم تولى القيادة خالد بن الوليد وأنقذ جيش المسلمين رضي الله عنهم أجمعين. وفي ذلك الاختيار نقول الآتي:

مما يتجلى في هذه القصة كذلك منزلة الشباب العظيمة في خدمة الإسلام، فقد عين رسول الله (الشاب أسامة بن زيد رضي الله عنهما أميراً على الجيش المعدّ لقتال الروم – القوة العظمى في زعم الناس في ذلك الوقت– وكان عمره آنذاك عشرين سنة، أو ثماني عشرة سنة، وأقره أبو بكر الصديق على منصبه رغم انتقاد الناس، وعاد الأمير الشاب بفضل الله تعالى من مهمته التي أسندت إليه غانماً ظافراً وفي هذا توجيه للشباب في معرفة مكانتهم في خدمة الإسلام، ولو أعدنا النظر في تاريخ الدعوة الإسلامية في المرحلتين المكية والمدنية لوجدنا شواهد كثيرة تدل على ما قام به شباب الإسلام في خدمة القرآن والسنّة، وإدارة أمور الدولة، والمشاركة في الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله تعالى .

عدم جواز الهدية للأمير أو الحاكم:

الهدية مطلقاً مرغوبة ومحبوبة لأنها تغرس المحبة بين الناس، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويحث عليها:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول :[تهادوا تحابوا][63]

أما حينما تكون تلك الهدية حيلة أو تحايل على أكل أموال الناس بالباطل ، أو مقرونةً بجر منفعة شخصية فهي عين الرشوة المحرمة وبالذات إن كانت للحاكم أو الأمير أو الموظف المسئول، وما أكثر مثل هذه الهدايا في زمننا هذا، وقد جوزها بعضهم وأدخلوها في طائلة الضرورة تبيح المحظورة أولئك هم علماء السوء:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : [إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا][64]

63 الأدب المفرد للبخاري (ج 1 / ص 208).

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي فَقَالَ لَهُ :[أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لَا] ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلَاةِ فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ : [أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ فَقَدْ بَلَّغْتُ] فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ حَتَّى إِنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى عُفْرَةِ إِبْطَيْهِ . قَالَ أَبُو حُمَيْدٍ وَقَدْ سَمِعَ ذَلِكَ مَعِي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلُوهُ .[65]

هذا الحديث يدلّ دلالة صحيحة واضحة على أن هدايا الأمراء والقضاة وكل من ولي أمرًا من أمور المسلمين العامَّة لا تجوز ، وأن حكمها حكم الغلول في التغليظ والتحريم ؛ لأنها أكل المال بالباطل ، وَرُشًا . وهو قول مالك وغيره بتفصيل يعرف في الفقه .

وقوله: [أفلا قعد في بيت أبيه وأمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟]؛ يعني: أن الذي يستخرج الهدايا من الناس للأمير، إنما هو رهبة منه فيداريه، أو رغبة فيما في يديه، أو في يدي غيره، ويستعين به عليه، فهي رشوة.

ويفهم من تكرار: [اللهم ! هل بلغت] ومن هذه الحالة: تعظيم ذلك، وتغليظه. وليس لأحدٍ أن يتمسك في استباحة هدايا الأمراء ؛ بأن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . كان يقبل الهدية ، ولا بما يروى : أن النبي . صلى الله عليه وسلم . أباح لمعاذٍ الهدية حين وجَّههُ إلى اليمن.

وأما الجواب عن النبي . صلى الله عليه وسلم . فبوجهين:

أحدهما : أنه كان لا يقبل الهدية إلا ممن يعلم أنه طيب النفس بها ، ومع ذلك فكان يكافئ عليها بأصنافها غالبًا.

64 صحيح البخاري (ج 1 / ص 50).

65 صحيح البخاري . باب هدايا العمال (ج 16 / ص 500). أورده مسلم في باب تحريم هدايا العمال (ج6/ص11).

والثاني: أنه . صلى الله عليه وسلم . معصوم عن الجور والميل الذي يُخاف منه على غيره بسبب الهدية.

وأما عن حديث معاذ : فلأنه لم يجئ في الصحيح ، ولو صحَّ لكان ذلك مخصوصًا بمعاذ ؛ لما عَلِمَ رسولُ الله . صلى الله عليه وسلم . من حاله ، وتحقُّقه من فضله ونزاهته ، ما لا يشاركه فيه غيره ، ولم يُبح ذلك لغيره ؛ بدليل هذه الأحاديث الصّحاح ، والله أعلم

وقوله : [من استعملناه على عمل فليجيء بقليله وكثيره] ؛ يدلّ على أنه لا يجوز له أن يقتطع منه شيئًا لنفسه ، لا أجرة ولا غيرها ، ولا لغيره إلا أن يأذن له الإمام الذي تلزمه طاعته. (66)

كما أن في هذا الحديث دليل على متابعة الحاكم لمن يوكل إليهم الأمور ومحاسبتهم إذا قصروا أو أخلوا.

عدم إعطاء الحكم أو الإمارة لمن طلبها أو حرص عليها:

الله بيده الملك يؤتيه من يشاء وينزعه عمن يشاء ، وحب السلطة أو حب الحكم غريزة موجودة في نفس الإنسان ، وهو أمانة وخزي وندامة يوم القيامة إلا من رحم الله وأداها بواجبها والحق الذي عليها ، لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يخشى على أصحابه من هذه الفتنة وهو الطبيب الذي يدرس النفوس ويعالجها من هذه الأمراض:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ قَوْمِي فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ أَمِّرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَالَ الْآخَرُ مِثْلَهُ فَقَالَ: [إِنَّا لَا نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ](67)

معاني الكلمات :

لا تسأل: لا تطلب

الإمارة: الولاية

66 المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (ج 12 / ص 84 . 85).

67 صحيح البخاري (ج 18 / ص 62.

عن مسألة : عن سؤال

وُكلتَ إليها: بضم الواو: أي صرف إليها، ومن وكل إلى نفسه هلك.

هنالك فوائد في هذا الحديث:

1/ النهي عن سؤال الولاية والإمارة (سواء الولاية الكبرى أو الصغرى)فطلبها مذموم لأمور:

أولاً: لنهي النبي عن ذلك كما في الحديث.

ثانياً : ليست من صفات أهل الآخرة لقوله تعالى { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [68]

وطالب الإمارة يريد أن يكون أرفع الناس.

ثالثاً : كثرة تبعاتها ومشقتها

ولذلك قال ((إنكم ستحرصون على الإمارة ، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة) رواه البخاري.

نعم المرضعة: لما يكون فيها في الدنيا من الجاه والمال ونفاذ الكلمة.

وبئست الفاطمة : أي بعد الموت.

وقال (لأبي ذر (إنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة) رواه البخاري.

2/ أن من طلب الإمارة فأعطيها تركت إعانته عليها من أجل حرصه عليها، لقوله (وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها) ومن وكل إلى نفسه هلك.

3/ أن من طلب الإمارة فإنه لا ينبغي أن يُجاب سؤاله.

لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إنا لا نُولي من حرص عليها) رواه البخاري.

68 القصص(83).

ولأن من سألها لم يكن له عوْن من الله، ومن لم يكن له عون من الله على عمله لا يكون فيه كفاية لذلك العمل ، فلا ينبغي أن يجاب سؤاله، ومن المعلوم أن كل ولاية لا تخلو من المشقة، فمن لم يكن له من الله إعانة تورط فيما دخل فيه وخسر دنياه وعقباه، فمن كان ذا عقل لم يتعرض للطلب أصلاً.

4/ خطورة الولاية، ولذلك امتنع الأكابر من الدخول فيها.

قال عمر : (ما أحببت الإمارة إلا يومئذ) قال ذلك يوم سمع النبي يقول يوم خيبر: [لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله]

5/ أن من دخل فيها وعدل واجتهد ولم يطلبها وقام بحقها فله أجر عظيم ولذلك قال: [وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها].[69]

عاقبة من استرعي رعيةً ولم ينصح:

الله سبحانه وتعالى لا يعجزه تدبير أمور العباد ، كما لا يشغله شيء عن شيء ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، لكنه وبحكمته ترك ذلك للعباد وفيما بينهم ، فجعل منهم الوالد والولد ، والحاكم والمحكوم ، والأمير والمأمور ، ليبلونا أينا أحسن عملاً في اتباع المنهج القويم بين الراعي والرعية .

وجاء النبي صلى الله عليه وسلم مبيناً ذلك بأفضل بيان وأفصح لسان:[كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ]

عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :[مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ][70].

قال ابن بطال: هذا وعيد شديد على أئمة الجور ، فمن ضيع من استرعاه الله أو خانهم أو ظلمهم فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة ، فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة [71].

69 إيقاظ الأفهام شرح عمدة الأحكام (ج 7 / ص 79 . 80).

70 صحيح البخاري (ج 18 / ص 64)

71 بستان الأحبار شرح منتقى الأخبار (من دروس قناة المجد) (ج 2 / ص 215).

عن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى قال كتب عمر إلى أبي موسى أما بعد فإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته وإن أشقى الرعاة عند الله من شقيت به رعيته فإياك أن تزيغ فتزيغ عمالك ويكون مثلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرعت فيها تبتغي بذلك السمن وإنما حتفها في سمنها والسلام.[72] وقال عمر لو ماتت شاة ضائعة بالفرات لقلت إن الله – عز و جل – سائلي عنها.

وعن مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب كان يذهب إلى العوالي كل يوم سبت فإذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه.

قال أبو عمر هذا هو الواجب على كل من استرعاه الله رعية أن يأمر فيها بالمعروف وينهى عن المنكر ومن المنكر الذي يلزم السلطان تغييره أن يكلف العبد من العمل ما لا يطيق.

روي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال من استرعاه الله رعية فلم يحطها بالنصيحة لم يرح رائحة الجنة ولم يفعل عمر من ذلك إلا ما امتثل فيه بسنة النبي صلى الله عليه و سلم بقوله ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق

وكذلك عمر كان يفعل بالدواب إذا رأى عليها ما يشق بها من الحمولة أمر بالتخفيف عنها

ومن هذا الباب أيضا السفن الجارية في البحر واجب على السلطان أن يتفقد أمرها فإن حملت ما لا يطيق معه القيام بحمله عند الهول ويضعف عنه أمر ربها في التخفيف من شحنتها حتى تستقبل ويطيب جريها ويكون مع ذلك السلامة في الأغلب من حالها [73]

وهنالك أمور تتعلق بالنصح للرعية ومن أهمها:

1/ تحكيم شرع الله بينهم.

2/ توفير الأمن والاستقرار المعنوي (حرية الرأي والفكر) والمادي (العيش الكريم) .

3/ متابعة شئونهم وتفقد أحوالهم والترفق بهم.

72 الاستذكار (ج 8 / ص 381).

73 المصدر السابق (ج 8 / ص 540)

4/ عدم الاحتجاب عنهم والاستماع إلى آرائهم ونصائحهم.

5/ اختيار القوي الأمين لإمرتهم وقيادتهم.

6/ الوضوح وعدم الغش.

عَنْ الْحَسَنِ قَالَ أَتَيْنَا مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ نَعُودُهُ فَدَخَلَ عَلَيْنَا عُبَيْدُ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :[مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ][74].

الغش رديف الكذب لذلك تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم من صاحبه بقوله : [ليس منا من غشنا] أي ليس على طريقتنا ومنهجنا ولا يفهم من ذلك الكفر والخروج عن الملة وأنَّ مذهبَ أهلِ الحقِّ : أنَّه لا يكفُرُ أحدٌ من المسلمين بارتكابِ كبيرةٍ ما عدا الشِّرْك.

ولكن غش الحاكم والوالي والأمير والقائد أشد خطورةً وأعظم جرماً لأنه يترتب على ذلك ضياع الناس وأموالهم وأعراضهم وأعظم من ذلك كله ضياع الدين الذي هو قوام الدنيا والآخرة، لذلك كان الجزاء من نفس العمل بحرمانه من دخول الجنة.

اتخاذ الحاكم حاجباً أو بواباً أو حرساً أو حشماً وخدماً:

لقد كان صلى الله عليه وسلم قائداً وحاكماً لكنه لم يتخذ مما ذكرنا شيئاً إلا في بداية عهده :

قوله صلى الله عليه وآله وسلم " ليت رجلاً صالحاً يحرسني الليلة " فوفق الله تعالى سعداً لذلك، فجاء وبات يحرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك قبل نزول قوله تعالى: { والله يعصمك من الناس } [75]

عن ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ لِامْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ تَعْرِفِينَ فُلَانَةَ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهَا وَهِيَ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي فَقَالَتْ إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ خِلْوٌ مِنْ مُصِيبَتِي قَالَ فَجَاوَزَهَا وَمَضَى فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ فَقَالَ مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

74 صحيح البخاري (ج 18 / ص 65).

75 مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان (ج 1 / ص 59).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ مَا عَرَفْتُهُ قَالَ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَجَاءَتْ إِلَى بَابِهِ فَلَمْ تَجِدْ عَلَيْهِ بَوَّابًا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ .(76)

شاهدنا في هذا الحديث عبارة(فجاءت إلى بابه فلم تجد بواباً) وهذا على عكس حال الحكام والرؤساء والأمراء منذ القدم وإلى يومنا هذا وفي ذلك ورد :

عن عمرو بن مرة قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : [ما من إمامٍ أو والٍ يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته]. رواه أحمد والترمذي

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ إِنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ كَانَ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشُّرَطِ مِنْ الْأَمِيرِ. (77)

عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ وَأَتْبَعَهُ بِمُعَاذٍ .(78)

متى يستوجب الرجل القضاء ؟ :

وقال الحسن أخذ الله على الحكام أن لا يتبعوا الهوى ولا يخشوا الناس ولا يشتروا بآياتي ثمنا قليلا ثم قرأ { يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب} وقرأ {إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} {بما استحفظوا} استودعوا {من كتاب الله} وقرأ {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما} فحمد سليمان ولم يلم داود ولولا ما ذكر الله من أمر هذين لرأيت أن

76 صحيح البخاري (ج 18 / ص 71).

77 المصدر السابق (ج 18 / ص 73).

78 المصدر السابق (ج 18 / ص 74).

القضاة هلكوا فإنه أثنى على هذا بعلمه وعذر هذا باجتهاده وقال مزاحم بن زفر قال لنا عمر بن عبد العزيز خمس إذا أخطأ القاضي منهن خصلة كانت فيه وصمة أن يكون فهماً حليماً عفيفاً صليباً عالماً سئولاً عن العلم [79].

نقول إن الفهم معلوم وكذا الحلم والعفة ومعنى صليباً أي قوياً في شخصيته وفي رأيه الصائب ، ونحن نقول : (حديد صلب) أي قوي ، ومع العلم الذي هو أساس الدنيا والدين أن يكون الحاكم أو القاضي سئولاً عن العلم بمعنى أن يسأل عن كل مسألةٍ أشكلت عليه ، والله أمرنا بذلك والحكمة ضالة المؤمن وفوق كل ذي علمٍ عليم ولا يغتر بما لديه من العلوم والمعارف ، وزلة الحاكم أو القاضي عظيمة وذلك لما يترتب من أضرار مادية ومعنوية حيث لا تنفع معالجة الخطأ أحياناً ولا ينفع الندم.

بعض آداب القاضي :

أولاً : ينبغي أن يكون قوياً من غير عنف ، ليناً من غير ضعف ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، ويكون حليماً متأنياً ذا فطنة وتيقظ ، لا يؤتى من غفلة ولا يخدع من غرة

قال علي رضي الله عنه: (لا ينبغي أن يكون القاضي قاضياً حتى يكون فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، مستشير ذوي الألباب، لا يخاف في الله لومة لائم).

وقال عمر بن عبد العزيز: (ينبغي للقاضي أن تجتمع فيه سبع خلال: العقل، والعفة، والورع، والنزاهة، والصرامة، والعلم بالسنن، والحلم).

ثانياً: ينبغي للقاضي أن يشاور فيما يشكل عليه، قوله تعالى: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} وقوله تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } وكان كثير المشاورة لأصحابه.

ثالثاً: ويجب عليه أن يعدل بين الخصمين في لحظه ولفظه. (لحظه): نظره . (لفظه): كلامه

لقوله تعالى: { وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ}.

وقد ذكر الله تعالى العدل في القرآن وحث عليه ورغب فيه وأمر به في إحدى وعشرين آية.

79 شرح صحيح البخاري لابن بطال (ج 8 / ص 235).

وقوله تعالى : { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} .

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال : (المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وفي أهلهم). رواه مسلم

رابعاً : ويحرم على القاضي أن يأخذ رشوة وذلك للآتي:

1/ لحديث عبد الله بن عمرو قال : لعن رسول الله (الراشي والمرتشي). رواه الترمذي

ورواه أبو هريرة وزاد: (في الحكم)

2/ أن فيها فساد الخلق.

3/ أنها سبب لتغيير حكم الله

4/ أن فيها ظلماً وجوراً

5/ أن فيها أكلاً للمال الباطل

6/ أن في الرشوة ضياع الأمانات

خامساً: يحرم على القاضي أخذ الهدية

وقد رتب بعض العلماء قبول الهدية مراتب:

أولاً: هدية من شخص يهاديه قبل ولايته وليس له حكومة ، فحكمها جائز لبعدها تماماً عن الرشوة .

ثانياً: رجل أهدى إليه هدية وليس من عادته أن يهاديه وليس له حكومة، فالمذهب لا يجوز. وقيل: يجوز، وهو الصحيح.

ثالثاً: أن يكون له حكومة ويهاديه ، وهو ممن جرت عادته بمهاداته من قبل، هذا لا يجوز [80]

الأجرة والارتزاق على الحكم والقضاء:

80 إيقاظ الأفهام شرح عمدة الأحكام (ج 8 / ص 8 .

وَكَانَ شُرَيْحٌ الْقَاضِي يَأْخُذُ عَلَى الْقَضَاءِ أَجْرًا وَقَالَتْ عَائِشَةُ : يَأْكُلُ الْوَصِيُّ بِقَدْرِ عُمَالَتِهِ وَأَكَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ ابْنُ أُخْتِ نَمِرٍ أَنَّ حُوَيْطِبَ بْنَ عَبْدِ الْعُزَّى أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ السَّعْدِيِّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ أَلَمْ أُحَدَّثْ أَنَّكَ تَلِيَ مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعُمَالَةَ كَرِهْتَهَا فَقُلْتُ بَلَى فَقَالَ عُمَرُ فَمَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ قُلْتُ إِنَّ لِي أَفْرَاسًا وَأَعْبُدًا وَأَنَا بِخَيْرٍ وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عُمَالَتِي صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَالَ عُمَرُ لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالًا فَقُلْتُ أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ وَتَصَدَّقْ بِهِ فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ وَإِلَّا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ .[81]

في هذا الحديث إشارات ودلالات :

1/ شهادة عائشة رضي الله عنها بأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أخذا الأجرة على الحكم ، هذا دليل على جواز ذلك ، لكن ليس كما يفعل حكامنا اليوم وقد أثروا في ذلك ثراءً لا طائل له ، وقد قال تعالى :{ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ }[82]

2/ شريح القاضي (78 هـ . 697 م) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية: من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام وأصله من اليمن، ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية، واستعفى في أيام الحجاج ، فأعفاه سنة 77 هـ، وكان ثقة في الحديث، مأموناً في القضاء، له باع في الأدب والشعر.

وعمر طويلاً ، ومات بالكوفة.[83]

هؤلاء هم سلفنا من القضاة وبفعلهم وحسن سيرتهم يجب أن يقتدي قضاتنا اليوم.

3/ متابعة ومحاسبة الحاكم لمن يوكل إليهم العمل وبالذات في المسائل المالية.

81 الأعلام للزركلي (ج 3 / ص 161).
82 صحيح البخاري (ج 18 / ص 87).
83 النساء(6).

4/ إذا لم نوفر المناخ الصالح (مادياً ومعنوياً) للحكام والقضاة كان ذلك ذريعة للفساد والمفسدة إلا من رحم الله.

مَوْعِظَةِ الْإِمَامِ أو القاضي لِلْخُصُومِ:

من باب توقي الخصومات ودرء الحدود وتجنب العقوبات ، أن يتصالح الناس ويعفوا عن بعضهم البعض قبل اللجوء إلى القضاء ، ولو حصرنا كم مرة أقام الرسول صلى الله عليه وسلم من الحدود والعقوبات في حياته لوجدناه نذراً قليلاً جداً ، وما ذلك إلا لأنه كان يعلم الناس ويعظهم في هذا الأمر كثيراً:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :[إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ].[84]

في هذا الحديث يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم بشريته وهو الذي ما مثله بشر ، ولا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى، لكنه يريد بذلك أن يعلم حكامنا وقضاتنا كيف يحكمون بين الخصوم، وكيف يقللون من القضايا والمحاكم التي تكتظ بالمتخاصمين في هذه الأيام .

واللحن المقصود هنا هو مدى قوة الخصم عن خصمه في الحجة والدليل سواءً كان محقاً أو مبطلاً ، فالقاضي يحكم باليمين وأداء القسم ، ثم بما يرد من أقوال المتخاصمين والشهود ، ومن أعظم الذنوب شهادة الزور كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم، واليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار ، لذلك كان التحذير والتنذير بما يترتب من ذلك، وصدق الله تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ }[85]

إِجَابَةِ الْحَاكِمِ الدَّعْوَةَ:

إجابة الدعوة حق المسلم على المسلم كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم، وتختلف الدعوة في نوعها ومن شخص إلى آخر فما حكم الشرع في إجابة الحاكم أو القاضي للدعوة ؟

84 صحيح البخاري (ج 18 / ص 95).

85 صحيح البخاري (ج 18 / ص 103).

عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [فُكُّوا الْعَانِيَ وَأَجِيبُوا الدَّاعِيَ][86]

قد تقدم في كتاب النكاح الاتفاق على وجوب إجابة دعوة الوليمة واختلافهم في غيرها من الدعوات . وذكر ابن حبيب ، عن مطرف وابن الماجشون قال: لا ينبغي للقاضي أن يجيب الدعوة إلا في الوليمة وحدها لما في ذلك من الحديث ، ثم إن شاء أكل وإن شاء ترك ، والترك أحب إلينا من غير تحريم، ولا عيب إن أكل إلا أن ذلك أنزه، وإنا نحب لذي المروءة والهدى أن لا يأتي الوليمة إلا أن يكون لأخ في الله ، أو الخالص من ذوى قرابته فلا بأس بذلك. قال أشهب: وكره مالك لأهل الفضل أن يجيبوا كل من دعاهم.[87]

الدعوة والوليمة في الغالب تكون فيها بعض المخالفات الشرعية مثل الاختلاط بين الرجال والنساء، والغناء والموسيقى ونحو ذلك، وهذا مما لا يليق بالحكام والقضاة والعلماء وأهل الفضل.

أما إذا انتفت هذه المظاهر الغير شرعية فلا بأس من إجابة الدعوة لمثل هؤلاء الأفاضل وإلا كره ذلك كما قال مالك رحمه الله حتى لا يقع الحرج لهم ويكون ذلك سبباً في التمادي في المعاصي لبعض الجهال الذين يعتبرون حضور هؤلاء الأفاضل يبيح ويجوز هذه المظاهر السالبة.

مَا يُكْرَهُ مِنْ الثَّنَاءِ على السُّلْطَانِ وَإِذَا خَرَجَ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ:

الثناء والشكر والمدح شيء جميل ومما يريح القلوب ويؤلف بينها، ومن باب إثبات الفضل لأهله ولكن له مساوئه إذا وقع ذلك أمام صاحب الشأن وقد عده عبد الله بن عمر رضي الله عنه نفاقاً:

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أُنَاسٌ لِابْنِ عُمَرَ إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ قَالَ كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا [88]

86 شرح صحيح البخاري . لابن بطال – (ج 8 / ص 247).

87 التوبة(128).

88 صحيح البخاري (ج 18 / ص 111).

ونحن نرى هذه الصورة قد انتشرت هذه الأيام مثل المداح والشعراء والخطباء الذين يترددون على قصور الحكام وبيوتهم ومنتدياتهم واجتماعاتهم، وغالباً ما يكون ذلك لمصلحةٍ ماديةٍ أو معنويةٍ.

كما أن ذلك يدخل في حديث ذي الوجهين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: [من شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه] [89]

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول : [من كان ذا وجهين في الدنيا كان له لسانان يوم القيامة من نار فمر رجل كان ضخما قال هذا منهم][90]

لا ينبغي لمؤمن أن يثني على سلطان أو غيره في وجهه وهو عنده مستحق للذم ، ولا يقول بحضرته بخلاف ما يقوله إذا خرج من عنده ؛ لأن ذلك نفاق كما قال ابن عمر ، وقال فيه صلى الله عليه وسلم : [شر الناس ذو الوجهين] وقال : إنه لا يكون عند الله وجيهًا ؛ لأنه يظهر لأهل الباطل الرضا عنهم ، ويظهر لأهل الحق مثل ذلك ليرضي كل فريق منهم ويريه أنه منهم وهذه المداهنة المحرمة على المؤمنين . قال المهلب : فإن قال قائل : إن حديث ابن عمر وحديث أبى هريرة يعارضان قوله . صلى الله عليه وسلم . للذي استأذن عليه : [بئس ابن العشيرة] ثم تلقاه بوجه طلق وترحيب . قيل : ليس بينهما تعارض بحمد الله ؛ لأنه لم يقل . صلى الله عليه وسلم خلاف ما قاله عنه ؛ بل أبقاه على التجريح عند السامع ، ثم تفضل عليه بحسن اللقاء والترحيب لما كان يلزمه صلى الله عليه وسلم . من الاستئلاف، وكان يلزمه التعريف لخاصته بأهل التخليط والتهمة بالنفاق ، وقد قيل : إن تلقيه له بالبشر إنما كان لاتقاء شره ، وليكف بذلك أذاه عن المسلمين ، فإنما قصد بالوجهين جميعًا إلى نفع المسلمين بأن عرفهم سوء حاله وبأن كفاهم ببشره له أذاه وشره . وذو الوجهين بخلاف هذا ؛ لأنه يقول الشيء بالحضرة ، ويقول ضده في غير الحضرة ، وهذا تناقض ، والذي فعله (صلى الله عليه وسلم) محكم مبين لا تناقض فيه ؛ لأنه لم يقل لابن العشيرة عند لقائه إنه فاضل ولا صالح بخلاف ما قال فيه فى غير وجهه . ومن هذا الحديث استجاز الفقهاء التجريح والإعلام بما يظن من سوء حال الرجل إذا خشي منه على المسلمين [91]

89 الأدب المفرد للبخاري (ج 1 / ص 444 / ح1309).

90 المصدر السابق . باب إثم ذي الوجهين (ج1/ ص444/ ح1310).

91 شرح صحيح البخاري لابن بطال . باب كتاب الأحكام (ج8/ص250).

إِذَا قَضَى الْحَاكِمُ بِجَوْرٍ أَوْ خِلَافِ أَهْلِ الْعِلْمِ فَهُوَ رَدٌّ:

عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا فَقَالُوا صَبَأْنَا صَبَأْنَا فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ وَيَأْسِرُ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ فَأَمَرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ أَسِيرَهُ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :[اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ] مَرَّتَيْنِ.[92]

إصدار الحكم ليس بالأمر السهل وذلك لما يترتب على تنفيذه أحياناً من الظلم على المحكوم عليه ، لذلك كان على الحاكم أو القاضي التريث والتدقيق والتثبت فيما يصدره من حكم أو قرار، والاستناد على الأدلة والتشاور مع أهل الرأي والاختصاص ، والأفضل أن يخطئ في العفو من أن يخطئ في العقوبة .

وما ورد في هذا الحديث دليل على ما ذهبنا إليه ، وما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتبرأ مما فعله خالد رضي الله عنه لولا عظم ما ارتكبه من جريمة في حق الأسرى ، كما أن قتل الأسير لا يجوز أصلاً .

أما تبرؤ النبي صلى الله عليه وسلم كان من الفعل وليس من خالد شخصياً، وهو الذي أثنى عليه ووصفه بسيف الله وهذا دليل على عدم التكفير بالكبائر، كما أننا يمكن القول بأن خالد رضي الله عنه اجتهد ولكنه لم يصب.

وحينما نقول أن ذلك رد لا نقصد الردة التي تخرج الحاكم أو القاضي عن ملة الإسلام بل المقصود أن ما قام به مردود عليه ويحاسب على ذلك بإرجاع الحق إلى أهله أو طلب العفو منهم وإلا كان الأمر متروك لقاضي القضاة سبحانه وتعالى وما ربك بظلامٍ للعبيد . والله أعلم

هَلْ يَجُوزُ لِلْحَاكِمِ أَنْ يَبْعَثَ رَجُلًا وَحْدَهُ لِلنَّظَرِ فِي الْأُمُورِ؟:

تقصي الأحداث والحقائق والمعلومات أمر لابد من توفره وبالذات للحكام والقضاة ، لذلك كان التوجيه الإلهي بقوله(فتبينوا) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (بالبينة).

92 صحيح البخاري (ج 18 / ص 129).

وشهادة الفرد الواحد أو تقصيه لإحضار المعلومة لا يكون كافياً أحياناً إلا إذا كان ذلك الشخص عدلاً مأموناً عند الحاكم ، وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ قَالَا جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ فَقَامَ خَصْمُهُ فَقَالَ صَدَقَ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ فَقَالُوا لِي عَلَى ابْنِكَ الرَّجْمُ فَفَدَيْتُ ابْنِي مِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ الْغَنَمِ وَوَلِيدَةٍ ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالُوا إِنَّمَا عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :[لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ أَمَّا الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْكَ وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُنَيْسُ لِرَجُلٍ فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا فَارْجُمْهَا] فَغَدَا عَلَيْهَا أُنَيْسٌ فَرَجَمَهَا[93]

العسيف : الأجير .

وقوله [إلا قضيت بيننا بكتاب الله] تنطلق هذه اللفظة على القرآن خاصة وقد ينطلق كتاب الله على حكم الله مطلقا والأولى : حمل هذه اللفظة على هذا لأنه ذكر فيه التغريب وليس ذلك منصوصا في كتاب الله إلا أن يؤخذ ذلك بواسطة أمر الله تعالى بطاعة الرسول وأتباعه .

وفي قوله [وائذن لي] حسن الأدب في المخاطبة للأكابر.

وقوله [فافتديت منه] أي من الرجم وفيه دليل على شرعية التغريب مع الجلد والحنفية يخالفون فيه بناء على أن التغريب ليس مذكورا في القرآن وأن الزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد غير جائز وغيرهم يخالفهم في تلك المقدمة وهي أن الزيادة على النص نسخ والمسألة مقررة في علم الأصول.

وفي قوله [فسألت أهل العلم] دليل على الرجوع إلى العلماء عند اشتباه الأحكام والشك فيها ودليل على الفتوى في زمن الرسول صلى الله عليه و سلم ودليل على استصحاب الحال والحكم بالأصل في استمرار الأحكام الثابتة وإن كان يمكن زوالها في حياة النبي صلى الله عليه و سلم بالنسخ.

93 المصدر السابق (ج 18 / ص 138).

وقوله [رد عليك] أي مردود أطلق المصدر على اسم المفعول وفيه دليل على أن ما أخذ بالمعارضة الفاسدة يجب رده ولا يملك وبه يتبين ضعف عذر من اعتذر من أصحاب الشافعي عن بعض العقود الفاسدة عنده بأن المتعاوضين أذن كل واحد منهما للآخر في التصرف في ملكه وجعل ذلك سببا لجواز التصرف فإن ذلك الإذن ليس مطلقا وإنما هو مبني على المعارضة الفاسدة .

وفي الحديث دليل على أن ما يستعمل من الألفاظ في محل الاستفتاء يسامح به في إقامة الحد أو التعزير فإن هذا الرجل الذي قذف المرأة بالزنا ولم يتعرض النبي صلى الله عليه و سلم لأمر حده بالقذف وأعرض عن ذلك ابتداءً وفيه تصريح بحكم الرجم وفيه استنابة الإمام في إقامة الحدود ولعله يؤخذ منه : أن الإقرار مرة واحدة يكفي في إقامة الحد فإنه رتب رجمها على مجرد اعترافها ولم يقيده بعدد وقد يستدل به على عدم الجمع بين الجلد والرجم فإنه لم يعرفه أنيساً ولا أمره به.[94]

التَّرْجَمَةُ لِلْحُكَّامِ وَهَلْ يَجُوزُ تَرْجُمَانٌ وَاحِدٌ :

الترجمة : التعبير عن لغة بلغة أخرى .

والترجمان : هو من يعبر عن لغة بلغة أخرى.[95]

اختلف أهل العلم في الترجمة ، فذهب بعضهم إلى أنه لا بد من مترجمين كالشاهد والمزكي ، وهو قول الشافعي ، وذهب قوم إلى انه يكتفي بمترجم واحد ، أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) زيد بن ثابت ليتعلم كتاب اليهود ، فيكتب إليهم ، ويقرأ له كتبهم :

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ الْيَهُودِ حَتَّى كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُتُبَهُ وَأَقْرَأْتُهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ . وَقَالَ عُمَرُ وَعِنْدَهُ عَلِيٌّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعُثْمَانُ مَاذَا تَقُولُ هَذِهِ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَاطِبٍ فَقُلْتُ تُخْبِرُكَ بِصَاحِبِهَا الَّذِي صَنَعَ بِهَا . وَقَالَ أَبُو جَمْرَةَ : كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ . وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ لَا بُدَّ لِلْحَاكِمِ مِنْ مُتَرْجِمَيْنِ .[96]

9494 إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (ج1/ص237 . 238).

95 القاموس الفقهي (ج 1 / ص 49).

96 صحيح البخاري (ج 18 / ص 139).

وفي الحديث جواز ترجمة واحد . قال ابن بطال : أجاز الأكثر ترجمة واحد . وقال الشافعي : هو كالبينة . وقال الكرماني : لا نزاع لأحد أنه يكفي ترجمان واحد عند الإخبار، وأنه لا بد من اثنين عند الشهادة . وقد نقل ابن التين من رواية ابن عبد الحكم: لا يترجم إلا حر عدل. وإذا أقر المترجم بشيء وجب أن يسمع ذلك منه شاهدان ويرفعان ذلك إلى الحاكم. انتهى ملخصا. قال في الاختيارات: ويقبل في الترجمة والجرح والتعديل والتعريف والرسالة قول عدل واحد ، وهو رواية عن أحمد.[97]

بِطَانَةِ الْإِمَامِ وَأَهْلِ مَشُورَتِهِ الْبِطَانَةُ الدُّخَلَاءُ :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى [98]

قال المهلب : عرض البخاري في هذا الباب إثبات الأمور لله ، فهو الذي يعصم من نزعات الشيطان ، ومن شر كل وسواس خناس من الجنة والناس ، وليس من خليفة ولا أمير إلا والناس حوله رجلان : رجل يريد الدنيا والاستكثار منها ، فهو يأمره بالشر ويحضه عليه ليجد به السبيل إلى انطلاق اليد على المحظورات ومخالفة الشرع ، ويوهمه أنه إن لم يقتل ويغضب ويخف الناس لم يتم له شيء ، ولم يرض بسياسة الله لعباده ببسط العدل ويخمد الأيدي ، وأن في ذلك صلاحًا لعباد والبلاد.[99]

وهذا هو حال حكامنا اليوم تجدهم محاطون ببعض الوزراء والمستشارون الذين لا يرغبون في مؤمنٍ إلاً ولا ذمةً كما قال الحق عز وجل ، وينصبون حول الحاكم هالة من السياج المنيع حتى لا

97 بستان الأحبار شرح منتقى الأخبار (من دروس قناة المجد)(ج 3 / ص 20).

98 (3) صحيح البخاري (ج 18 / ص 144).

99 (4) شرح صحيح البخاري . لابن بطال – (ج 10 / ص 310).

يصله الناس ويطلعون على ما يفعله أو يقوله هؤلاء الدخلاء ، مما يزرع البغض والكراهية وعدم الثقة في نفوس الرعايا والمواطنين نحو حكامهم.

كَيْفَ يُبَايِعُ الْإِمَامُ النَّاسَ:

1/ عن عبادة بن الصامت قال : (بايعنا رسول الله صلى الله عليه و سلم على السمع و الطاعة في المنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم). (100)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه و سلم على السمع والطاعة يقول لنا : [فيما استطعتم].(101)

(على السمع والطاعة) أن أسمع وأطيع فيما أومر به من المعروف وفي غير معصية.
(فيما استطعتم) فيما يكون في طاقتكم ووسعكم قاله صلى الله عليه و سلم إشفاقاً عليهم ورحمة بهم.

3/ وعَنْ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ قَالَ شَهِدْتُ ابْنَ عُمَرَ حَيْثُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ كَتَبَ إِنِّي أُقِرُّ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ مَا اسْتَطَعْتُ وَإِنَّ بَنِيَّ قَدْ أَقَرُّوا بِمِثْلِ ذَلِكَ .(102)

4/ وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَلَقَّنَنِي فِيمَا اسْتَطَعْتُ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ.

5/ وعَنْ سُفْيَانَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ قَالَ لَمَّا بَايَعَ النَّاسُ عَبْدَ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أُقِرُّ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ فِيمَا اسْتَطَعْتُ وَإِنَّ بَنِيَّ قَدْ أَقَرُّوا بِذَلِكَ .

6/ وعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ قُلْتُ لِسَلَمَةَ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ قَالَ عَلَى الْمَوْتِ .(103)

---

100 5) صحيح البخاري (ج 6 / ص 2633 /ح6774 .

101 5) (6) المصدر السابق (ج6/ص2633/ح6776) وأخرجه مسلم في الإمارة باب البيعة على السمع والطاعة فيما استطاع..

102 صحيح البخاري(ج18/ص149/ح7203).

المبايعة تعني العهد والميثاق بالموالاة والمؤازرة والنصرة .

والأحاديث التي وردت تتناول هذه المبايعة ولكل منها مدلوله ومفهومه ومقصده:

الحديث الأول:

المبايعة تعني: السمع والطاعة في العسر واليسر، وعدم المنازعة في الحكم، والوقوف مع الحق.

الحديث الثاني:

المبايعة تعني: الطاعة مع الاستطاعة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

الحديث الثالث:

المبايعة تعني: الطاعة في غير معصية ولا طاعة في معصية الخالق ومخالفة الشرع.

الحديث الرابع: النصح لكل مسلمٍ بما في ذلك الحاكم نفسه.

الحديث الخامس:

المبايعة تعني: الإقرار والإعلان عن تلك المبايعة عن نفسه وعمن يعول أو من كان تحت إمرته ورعايته.

الحديث السادس:

المبايعة تعني : الالتزام بتلك المبايعة حتى الموت ، وهذا ما يحدث في أداء القسم في الجندية والعسكرية .

بَاب مَنْ بَايَعَ مَرَّتَيْنِ :

عن سلمة رضي الله عنه قال : بايعنا النبي صلى الله عليه و سلم تحت الشجرة فقال لي : [يا سلمة ألا تبايع ؟] قلت : يا رسول الله قد بايعت في الأول ، قال: [وفي الثاني]

103 المصدر السابق (ج 18/ ص 146 . 152) .

(في الأول) في الزمان الأول. (وفي الثاني) أي وتبايع أيضاً في الوقت الثاني. قال المهلب: أراد أن يؤكد بيعة سلمة لعلمه بشجاعته وغنائه في الإسلام وشهرته بالثبات فلذلك أمره بتكرير المبايعة ليكون في ذلك فضيلة.[104]

لقد وردت أحاديث عدة في مبايعة الصحابة رضي الله عنهم للرسول صلى الله عليه وسلم، وحيث لا تضارب في تلك العبارات التي وردت في القصد من المبايعة نورد الآتي:

قال المهلب: هذه الأحاديث مختلفة الألفاظ، منهم من يقول على الموت ، وعلى ألا يفر، وعلى الصبر ، والصبر يجمع المعاني كلها وهو أولى الألفاظ بالمعنى ؛ لأن بيعة الإسلام هي على الجهاد وقتال المثلين ، فإن كان المشركون أكثر من المثلين كان المسلم في سعة من أن يفر ، وفى سعة أن يأخذ بالشدة ويصبر، وهذا كله بعد أن نسخ قتال العشرة أمثال ، وأما قبل نسخها فكان يلزم قتال العشرة أمثال وألا يفر إلا من أكثر منها. وبيعة الشجرة إنما هي على الأخذ بالشدة وألا يفر أصلا ولا بد من الصبر إما إلى فتح وإما إلى موت ، فمن قال : بايعنا على الموت ، أراد يفتح لنا ، ومن قال: لا نفر. فهو نفس القصة التي وقعت عليها المبايعة ، وهو معنى الصبر؛ وقول نافع: على الصبر؛ كراهية لقول من قال بأحد الطريقين : الموت أو الفتح ، فجمع نافع المعنيين في كلمة الصبر. وقوله لسلمة بن الأكوع : (ألا تبايع) أراد أن يؤكد بيعته؛ لشجاعة سلمة وغنائه في الإسلام وشهرته بالثبات ؛ فلذلك أمره بتكرير المبايعة.

وحديث مجاشع بن مسعود إنما كان بعد الفتح؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لا هجرة بعد الفتح ، إنما هو جهاد ونية) فكل من بايع الرسول قبل الفتح لزمه الجهاد أبدًا ما عاش إلا لعذر يجوز له به التخلف ، وكذلك قالوا بحضرة رسول الله في ارتجازهم يوم الخندق: نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا وكذلك قال الله : { وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة } فأباح لهم أن يتخلف عن الغزو من ينفر إلى التفقه في الدين ولم يبح لغير المتفقهين التخلف عن الغزو . وأما من أسلم بعد الفتح فله أن يجاهد وله أن يتخلف بنية صالحة كما قال : (جهاد ونية) إلا أن ينزل عدو أو ضرورة فيلزم الجهاد كل أحد ، والدليل على أن كل من

104 صحيح البخاري(ج 6 / ص 2635).

بايع النبي صلى الله عليه وسلم قبل الفتح لا يجوز له التخلف عن الجهاد أبدًا قصة كعب بن مالك إذ تخلف عن تبوك مع صاحبيه هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع أنهم لم يغزوا.[105]

بَيْعَةِ الْأَعْرَابِ :

الأعراب هم سكان البادية، يشبهون باديتهم في كثير من الأحيان ويكفي ما قاله الله تعالى فيهم :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَأَصَابَهُ وَعْكٌ فَقَالَ أَقِلْنِي بَيْعَتِي فَأَبَى ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ أَقِلْنِي بَيْعَتِي فَأَبَى فَخَرَجَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طِيبُهَا] [106].

في هذا الحديث تأكيد على ضعف الإيمان وعدم الالتزام بالبيعة والاستخفاف بها عند الأعراب، بالرغم من أن فيهم كثير من الخصال الطيبة والجميلة لكنها مبنية على الجهل والقبلية والتعصب وليس على الإيمان ، كما أن في الحديث ميزة تمتاز بها المدينة المنورة في لفظها للنفاق والمنافقين . اللهم عيشةً وميتةً في بلد رسولك.

بَيْعَةِ الصَّغِيرِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَتْ بِهِ أُمُّهُ زَيْنَبُ بِنْتُ حُمَيْدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايِعْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :[هُوَ صَغِيرٌ] فَمَسَحَ رَأْسَهُ وَدَعَا لَهُ وَكَانَ يُضَحِّي بِالشَّاةِ الْوَاحِدَةِ عَنْ جَمِيعِ أَهْلِهِ.[107]

الصغير الذي لم يبلغ الحلم غير مكلف بالبيعة أو أي تكليف آخر، لكن من الواجب على الوالد أو ولي الأمر أن يربيه على الدين ومكارم الأخلاق حتى ينشأ عليها ، ومن شب على شيءٍ شاب عليه.

105 شرح صحيح البخاري . لابن بطال – (ج 5 / ص 130 . 131).

107 صحيح البخاري (ج 18 / ص 160).

وفي هذا الحديث دليل على حرص والدة عبد الله بن هشام على هذه المسألة ، وقد أكرمها الله وأكرم ابنها عبد الله بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يذكرنا خادم رسول الله الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه حينما أتت به أمه وأهدته للنبي صلى الله عليه وسلم.

مَنْ بَايَعَ رَجُلًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَاهُ إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ فَأَخَذَهَا وَلَمْ يُعْطَ بِهَا] [108]

في هذا الحديث وعيد شديد في الخروج على الأئمة ونكث بيعتهم لأمر الله بالوفاء بالعقود؛ إذ في ترك الخروج عليهم تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء ، وفى القيام عليهم تفرق الكلمة وتشتيت الألفة . وفيه : فساد الأعمال إذا لم يرد بها وجه الله وأريد بها عرض الدنيا ، وهذا في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: [الأعمال بالنيات].[109]

على ماذا بايع الصحابة رضي الله عنهم رسولهم صلى الله عليه وسلم ؟

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَقُولُ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسٍ :[تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ] فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.[110]

هكذا الراعي نحو رعيته أن يبصرهم على ماذا يبايعونه لأن ذلك عهد وميثاق ، والله أمرنا بذلك وهو مطلع وشهيد وكفى به من شهيد، وهو الذي يجازي على تلك البيعة كما ورد في الحديث.

108 المصدر السابق (ج 18 / ص 164).

110 شرح صحيح البخاري . لابن بطال – (ج 8 / ص 279).

وقد ذكر الرسول بنود المبايعة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، وما يترتب على الوفاء أو النقض، ومن أهم هذه البنود عدم الشرك بالله، والشرك ظلم عظيم ليس هنالك أعظم منه كما ورد في القرآن الكريم.

ثم تأتي بقية البنود: عدم السرقة، والزنا، وقتل الأولاد، والبهتان وهو القذف بالباطل والافتراء كذباً، وعدم العصيان في معروف وهو كل ما يحسن في الشرع.

كما أن في الحديث إقامة العقوبة على من ارتكب هذه المخالفات أو واحدةً منها إذا ثبتت وكان هنالك حكماً بالشريعة، وإلا كانت الأخرى لله عز وجل وهو الذي يستر إذا أراد الستر والعفو، وهو الذي يعاقب إذا أراد المعاقبة، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعد ويمني من يوفي البيعة بعرض من الدنيا كما يفعل المنتخبون للمناصب العليا اليوم، حتى إذا ما فازوا بعد الانتخابات لم يفوا بما وعدوا فضعف الطالب والمطلوب.

بَيْعَةِ النِّسَاءِ :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَايِعُ النِّسَاءَ بِالْكَلَامِ بِهَذِهِ الْآيَةِ{ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا } قَالَتْ وَمَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَ امْرَأَةٍ إِلَّا امْرَأَةً يَمْلِكُهَا.[111]

النساء شقائق الرجال، وهن أمهات الرجال، لذلك اهتم الإسلام بهن أيما اهتمام، عكس ما وجده في المجتمع الجاهلي القديم من وأدٍ للبنات، وعكس ما نجده في المجتمع الجاهلي الحديث من احتقار واستغلال للمرأة.

لذلك جاءت مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغة والكيفية : فالصيغة وكما ذكرنا عدم الإشراك بالله وذلك أصل الدين وأصل البيعة والمبايعة ، أما الكيفية عدم المصافحة لأنه لو كان في ذلك خير لصافحهن صلى الله عليه وسلم ، وهذه بيعة وليست بالأمر السهل ، وقد وردت أحاديث عدة تحذر من مصافحة النساء.

111 صحيح البخاري (ج 18 / ص 166).

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها قَالَتْ بَايَعْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْنَا {أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا} وَنَهَانَا عَنْ النِّيَاحَةِ فَقَبَضَتْ امْرَأَةٌ مِنَّا يَدَهَا فَقَالَتْ فُلَانَةُ أَسْعَدَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَجْزِيَهَا فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا فَذَهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ فَمَا وَفَتْ امْرَأَةٌ إِلَّا أُمُّ سُلَيْمٍ وَأُمُّ الْعَلَاءِ وَابْنَةُ أَبِي سَبْرَةَ امْرَأَةُ مُعَاذٍ أَوْ ابْنَةُ أَبِي سَبْرَةَ وَامْرَأَةُ مُعَاذٍ(3).

أم عطية الأنصارية، اسمها: نسيبة بنت الحارث ، وقيل: نسيبة بنت كعب، من فقهاء الصحابة، لها عدة أحاديث ، وهي التي غسلت بنت النبي صلى الله عليه وسلم زينب.

حدث عنها : محمد بن سيرين، وأخته حفصة بنت سيرين، وأم شراحيل ، وعلي بن الأقمر، وعبد الملك بن عمير، وإسماعيل بن عبد الرحمن ; وعدة .

عاشت إلى حدود سنة سبعين، وهي القائلة: نهينا عن اتباع الجنازة، ولم يعزم علينا . حديثها مخرج في الكتب الستة.[112]

وعن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وكنت أخلفهم في الرحال وأصنع لهم الطعام وأقوم على المرضى وأداوي الجرحى.[113]

النوح محرم ، لأنه من دين الجاهلية ، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشترط على النساء في مبايعتهن على الإسلام ألا يَنُحْن، وهذا الباب يدل على أن النهي عن البكاء على الميت إنما هو إذا كان فيه نوح ، ويدل على جواز البكاء بغير نوح قول عمر: دعهن يبكين ما لم يكن نقع أو لقلقة، فأباح لهن البكاء بغير نوح ، وحديث المغيرة حجة لذلك ، لشرطه صلى الله عليه وسلم فيه أنه يعذب بما نيح عليه ، فدليله أن البكاء بغير نوح لا عذاب فيه، وحديث جابر نص في ذلك، لأن زوجة جابر بكت عليه بحضرة الرسول، فلم يزد على أكثر من تسليتها بقوله : [إن الملائكة أظلته بأجنحتها حتى رفع] فسلاها عن حزنها عليه بكرامة الله له ، ولم يقل لها أنه يعذب ببكائك عليه. قال عبد الواحد : إن قيل : كيف أباح عمر لنسوة خالد البكاء عليه ما لم يكن نقع، أو لقلقة، ونهى

112 المصدر السابق(ج6/ ص2637/ح6789).

113 سير أعلام النبلاء (ج 2 / ص 318).

صُهيبًا عن البكاء عليه في الباب الذي قبل هذا ؟ فالجواب: إنما نهى صهيبًا، لرفعه لصوته بقوله: وا أخاه وا صاحباه، وخشي أن يكون رفعه لصوته من باب ما نهى عنه.[114]

توضيح لما ورد في الحديث في رخصة النياحة:

قالت: أسعدتني فلانة: أي قامت معي في نياحة. أجزيها: أنوح معها. فما قال لها النبي صلى الله عليه شيئا: بل سكت، وللنسائي: (اذهبي فأسعديها)، وفي هذا الحديث إشكال واضح، وقد أكثر العلماء من الأجوبة عنه، وذكروا منها أن هذا الحكم خاص بأم عطية، وأن للشارع أن يخص من شاء بما شاء، واعتمد النووي هذا الجواب، ورد القرطبي جميع ذلك حتى ما اعتمده النووي قائلا: (إنه فاسد)اهـ . وجرى على ذلك الحافظ ابن حجر وأبدى ترخيصات أخر وقعت لنسوة أخر مثل ما وقع لأم عطية، فانتفت الخصوصية لها، ثم قال: (وظهر من هذا كله أن أقرب الأجوبة أن النياحة كانت مباحة، ثم كرهت كراهة تنزيه، وفي ذلك الوقت وقع الإذن لمن ذكر فيها لبيان الجواز، ثم لما تمت مبايعة النساء وقع التحريم، وورد الوعيد الشديد . فانطلقت ورجعت...إلخ: أي انطلقت وناحت معها، ولعله كان عندها ما يوجب النياحة إذ ذاك، أو حللتها منها بأن سامحتها فيها.[115] والله أعلم

الإِسْتِخْلَافِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قِيلَ لِعُمَرَ أَلَا تَسْتَخْلِفُ قَالَ إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ وَإِنْ أَتْرُكْ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ فَقَالَ رَاغِبٌ رَاهِبٌ وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ لَا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا.[116]

الاستخلاف هو تعيين الخليفة عند موته خليفة بعده أو يعين جماعة ليتخيروا منهم واحدا.

(قال عمر) أي قيل لعمر رضي الله عنه لما أصيب ألا تستخلف خليفة بعدك على الناس فقال عمر في جوابه : (إن لا أستخلف) أي أن أترك الاستخلاف (فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم

114 صفة الصفوة (ج 2 / ص 71 . 72) .

115 شرح صحيح البخاري . لابن بطال – (ج 3 / ص 276 . 277) .

116 إتحاف القاري بدرر البخاري (ج 7 / ص 118).

لم يستخلف) أي لم يجعل أحداً بعينه خليفةً نصاً (وإن أستخلف) أنا أحداً بالتعيين (فإن أبا بكر قد استخلف) أي جعل عمر خليفة وقت وفاته فأخذ عمر وسطاً من الأمرين فلم يترك التعيين بمرة ولا فعله منصوصا فيه على الشخص المستخلف وجعل الأمر في ذلك شوري بين من قطع لهم بالجنة(المبشرين) وأبقي النظر للمسلمين في تعيين من اتفق عليه رأى الجماعة الذين جعلت الشوري فيهم .

قاله القسطلاني قال النووي حاصله أن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضره مقدمات الموت وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف ويجوز له تركه فإن تركه فقد اقتدى بالنبي صلى الله عليه و سلم في هذا وإلا فقد اقتدى بأبي بكر رضي الله عنه.

وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة وأجمعوا على جواز جعل الخليفة الأمر شوري بين جماعة كما فعل عمر بالستة وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة ووجوبه بالشرع لا بالعقل انتهى (قال) أي بن عمر ما هو أي عمر (إلا أن ذكر) أي عمر (رسول الله صلى الله عليه و سلم وأبا بكر) أي قصة عدم الاستخلاف عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وقصة الاستخلاف عن أبي بكر رضي الله عنه.[117]

عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ وَا رَأْسَاهْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرَ لَكِ وَأَدْعُوَ لَكِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ وَا ثُكْلِيَاهْ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي وَلَوْ كَانَ ذَاكَ لَظَلِلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّسًا بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :[بَلْ أَنَا وَا رَأْسَاهْ لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ وَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ ثُمَّ قُلْتُ يَأْبَى اللَّهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ أَوْ يَدْفَعُ اللَّهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ].[118].

قال الإمام : إذا مات الإمام فاستخلف بعده رجلاً صالحاً للإمامة ، فله الولاية ، ولا تحل منازعته فيها ، كما فعل الصديق رضي الله عنه ، استخلف بعده عمر رضي الله عنه. ولو مات الإمام ولم يستخلف أحداً ، فيجب على أهل الحل والعقد أن يجتمعوا على بيعة رجل يقوم بأمور المسلمين ، كما

117 صحيح البخاري (ج 18 / ص 173).

118 عون المعبود (ج 8 / ص 112).

اجتمعت الصحابة رضي الله عنهم على بيعة أبي بكر رضي الله عنه ، ولم يقضوا شيئاً من أمر تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه حتى أحكموا أمر البيعة.

روي عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [من نزع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية]

ولو أن الإمام جعل الأمر شورى بين جماعة، ثم هم اتفقوا على تعيين واحد منهم ، كان والياً مطاعاً، كما فعل عمر رضي الله عنه.[119]

وعن عمرو بن سفيان قال لما ظهر علي يوم الجمل قال أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئا حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى سبيله ثم إن أبا بكر رأي من الرأي أن يستخلف عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه ثم إن أقواماً طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي الله فيها.

وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في الدلائل عن أبي وائل قال قيل لعلي ألا تستخلف علينا قال ما استخلف رسول الله صلى الله عليه و سلم فأستخلف ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم.[120]

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةٌ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ . قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ ؟ كَأَنَّهَا تُرِيدُ الْمَوْتَ . قَالَ :[إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ].[121]

عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : [يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا] فَقَالَ كَلِمَةً لَمْ أَسْمَعْهَا فَقَالَ أَبِي إِنَّهُ قَالَ كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ.[122]

119(1) صحيح البخاري (ج 14 / ص 277).

120 شرح السنة للإمام البغوي متناً وشرحاً (ج 10 / ص 81 . 82).

121 تحفة الأحوذي (ج 6 / ص 396).

122 صحيح البخاري (ج 18 / ص 175).

مما تقدم نرى أن الاستخلاف أمر لا بد منه والله عز وجل وهو الغني عن الخليفة والمعين قال : { إني جاعل في الأرض خليفة } ويريد بذلك أن يضع لنا منهجاً قويماً وأننا بشر يعترينا الموت وغيره من الأمور التي تقعد الإنسان عن القيام بوظيفته على الوجه الأكمل ، حينئذٍ يجب أن يضع ذلك في اعتباره ويضع التحوطات اللازمة فيمن يخلفه في شغل تلك الوظيفة حتى لا تضطرب الأمور ويتدهور حال الناس.

هَلْ لِلْإِمَامِ أَنْ يَمْنَعَ الْمُجْرِمِينَ وَأَهْلَ الْمَعْصِيَةِ مِنْ الْكَلَامِ مَعَهُ وَالزِّيَارَةِ وَنَحْوِهَا ؟:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ قَالَ سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ لَمَّا تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَذَكَرَ حَدِيثَهُ وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا.[123]

قصة كعب بن مالك وصاحبيه مرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهم ، معلومة وقد قصها علينا القرآن الكريم ، وكانت فيها من العبرة ما يكفي لمن يعتبر في معصية الحاكم وولي الأمر ، حيث يعتبر ذلك جرم عظيم فلم يسامحهم الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نزل فيهم القرآن بعفو عظيم.

لكن شاهدنا من ذلك ما اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم من إجراء وتوجيه نحو هؤلاء الثلاثة من مقاطعة والقصة بتفاصيلها في كتب التفاسير وكتب التاريخ ، وفيها جواز للإمام أو الحاكم أن يتخذ من ذلك ما يناسب حيال المجرمين وأهل المعاصي.

باب مبادرة الإمام عند الفزع:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان بالمدينة فزع فركب رسول الله صلى الله عليه و سلم فرساً لأبي طلحة فقال صلى الله عليه وسلم : (ما رأينا من شيءٍ وإن وجدناه لبحراً).[124]

123 المصدر السابق (ج 18 / ص 177).

124 صحيح البخاري (ج 18 / ص 181).

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال : فزع الناس فركب رسول الله صلى الله عليه و سلم فرساً لأبي طلحة بطيئاً ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون خلفه فقال : [لم تراعوا إنه لبحر]. فما سبق بعد ذلك اليوم.

وعن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: [الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم والإيمان يمان والحكمة يمانية]

قال أبو عبد الله سميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة والشأم لأنها عن يسار الكعبة والمشأمة الميسرة واليد اليسرى الشؤمى والجانب الأيسر الأشأم.[125]

(يمان) نسبة إلى اليمن أي يكون الإيمان في أهله قوياً وقيل المراد الأنصار لأن أصلهم من اليمن. (الحكمة) حسن التصرف بوضع الشيء في محله. (يمانية) أي تكون متأصلة في أهل اليمن.

وأما قوله: الفدادون، فالقول فيه – إن شاء الله تعالى – ما قاله أبو عبيد، لكن لا يختص بل الإكثار الموجب للخيلاء والكبر والاحتقار لمن لا مال له ، ولما كانت الإبل أفضل أموال مكثري العرب وأعزها – ولهذا قال تعالى: { وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَت} وكان أصحابها أهل بداوة وجفاء وجهالة وغِلَظِ قلوب – وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وفى الحديث: تقول الأرض للميت: ربما مشيت علىَّ فداداً.[126]

قيل في تفسيره : أي ذا مال وذا خيلاء ، وقيل: ذا وطء شديد، قال تعالى: { وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا} ، وقد جاء في تفسير هذه اللفظة عن مالك : سألت عنها فقيل لي : هم أهل الجفاء، وقال ابن درَيد: هو الشديد الوطء من نشاط ومرح ، وهذا من الخيلاء ، وذكر عن الأصمعي – أيضاً – يقال للرجل إذا كان جافي الكلام : إنّه لفذَاد، وحكي عن بعضهم أن الفديد من الإبل الكثير، وهذا حجة لقول أبى عبيد في الحديث الآخر: [هلك الفدادون إلا من أعطى] من نجدتها ورسلها " فهم أصحاب الإبل كما قال.

125 المصدر السابق (ج 3 / ص 1084).

126 المصدر السابق (ج 3 / ص 1289).

قال القاضي: رحمه الله : فالفدادون إذاً الذين عنى النبي كله بهذا الحديث وصفهم بهذه الأوصاف من الجفاء والقسوة وغلظ القلوب والفخر والخيلاء هم كما فسرهم في الحديث أهل نجد ، وأهل الخيل، والإبل ، والوبر ومن ربيعة ومضر، وهو نحو ما قال مالك وأبو عبيد ولا يبعد منه قول الأصمعي والقتبي من أن الفدادين أصحاب الأصوات المرتفعة في حروثهم وأموالهم ومواشيهم ؛ لأن فيه الرياء والخيلاء ، ولا يبعد أيضاً قول أبي عَمرو لما ذكره من الجفاء والتبذي، وبالجملة ففي هؤلاء كلهم من الخيلاء والكبر ما قال بسبب كثرة المال، ومن الجفاء والغلظة والقسوة بسبب التبذَي، والاشتغال بأموالهم والإقبال عليها عن التفقه في دين الله تعالى، والاهتبال(الاغْتِنام والاحْتيال) بمصالح دنياهم وأخراهم.

وقد يكون القسوة والجفاء من طبيعة هؤلاء الذين أشار النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ، ويكون وصفهم بكونهم أصحاب إبل للتعريف بهم والتعين لهم.[127]

نقول إن هذه الأحاديث التي سبقت دليل على الآتي:

1/ شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وله مواقف عديدة تدل على هذه الشجاعة، ولكنها ليست شجاعة عصبية أو تهور ولكنها شجاعة المؤمن الواثق من ربه الواثق بنفسه.

2/ جواز استعارة الخيل في الحرب ونحوها.

3/ على القائد أن يبادر بالهجوم على العدو وأن يكون في مقدمة الجيش حتى يكون قدوةً لجنوده في الشجاعة والإقدام.

4/ نشر الأمن والطمأنينة في المجتمع يقوي الثقة في الحاكم أو الوالي.

5/ البداوة لها أثرها في تركيب الشخصية الإنسانية، كما أنه يمكن التأثر بالحضر والتمدن، فالإنسان بطبعه يؤثر ويتأثر والعلم بالتعلم ، وقد جاء صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: [إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق].[128]

127 إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (ج1/ص213).

الخاتمة : تشمل النتائج والتوصيات

أ/ النتائج :

من خلال دراسة الأحاديث التي وردت مع شرحها وتحليلها ونقدها نجد الآتي:

1/ الإمارة أو الحكم أو القضاء أمور حساسة وتتطلب وضع معين وترتيبات معينة، وهذا الوضع وهذه الترتيبات يجب أن تكون مبنية على الكتاب والسنة.

2/ لذلك وضع النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده رضي الله عنهم منهجاً قويماً للإمرة والحكم لا لبس فيه، ولا مجال فيه للاجتهاد إلا من باب الفهم والتوضيح وكيفية التطبيق، وهنا يأتي الإجماع والقياس.

3/ الحاكم ظل الله في الأرض به يستقيم المجتمع وبه يفسد ، ومع ذلك الملك بيد الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وكيف ما تكون الرعية يولي الله عليها من يشاء .

4/ هنالك أمور مهمة تتعلق بالحاكم (المواصفات) وأمور تتعلق بالرعية (السمع والطاعة في غير معصية).

ب/ التوصيات :

1/ يجب على قادتنا وحكامنا تطبيق شرع الله والالتزام به .

2/ يجب علينا جميعاً أن نطلع على ما جاء في التاريخ الإسلامي وسيرة السلف الصالح عن الحكم والقضاء.

3/ إذا أردنا أن نغير حكامنا بأفضل منهم يجب أن نبدأ بأنفسنا فالله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم.

4/ لا ننتخب أو نرشح للقيادة إلا من توفرت فيه مواصفات الحاكم (الرجل المناسب للموقع المناسب).

128 السنن الكبرى للبيهقي . باب مكارم الأخلاق(ج10/ص191/ح20571).

المصادر والمراجع

1/ القرآن الكريم .

2/ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه.

المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر . الناشر : دار طوق النجاة

الطبعة: الأولى 1422هـ . عدد الأجزاء: 9 . مصدر الكتاب: موقع الإسلام.

3/ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي . سنن البيهقي الكبرى.

الناشر: مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، 1414هـ – 1994م

تحقيق: محمد عبد القادر عطا. عدد الأجزاء: 10

4/ أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي . شرح صحيح البخاري.. لابن بطال

دار النشر : مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – 1423هـ – 2003م.

الطبعة: الثانية . تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم عدد الأجزاء / 10

5/ عبد لرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي . إسعاف المبطأ برجال الموطأ.

الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، 1389 – 1969 . عدد الأجزاء: 1

6 /أبو بكر الصديق أفضَلُ الصَّحَابة، وَأحقّهم بالخِلافة.

بَحثُ لخَّصَهُ ورَتَّبَهُ محمد بن عَبد الرحمن بن محمد بن قاسِم رَحِمَه الله تَعَالى من منهاج السُّنّة النبويّة لشيخ الإسلام ابن تيمية.

7/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي . الأدب المفرد.

الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت . الطبعة الثالثة، 1409 هـ1989م.

تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي . عدد الأجزاء: 1

8/ أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ الشيخِ المرحومِ الفقيهِ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ ، رحمه الله وغَفَر له . المفهِمْ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تلخيصِ كتابِ مُسْلِمْ.

9/ سليمان بن محمد اللهيميد . إيقاظ الأفهام شرح عمدة الأحكام.

10/ بستان الأحبار شرح منتقى الأخبار (من دروس قناة المجد).

11/ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري . الاستذكار.

الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة الأولى ، 1421 هـ2000م

تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض . عدد الأجزاء: 8

12/ اليافعي مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان . مصدر الكتاب : موقع الوراق

13/ خير الدين الزركلي. الأعلام. تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين الجزء الأول . دار العلم للملايين.

14/ ابن دقيق العيد . إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام.

15/ سعدي أبو جيب . القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً.

الناشر :دار الفكر. دمشق – سورية. الطبعة: تصوير 1993 م الطبعة الثانية 1408 هـ = 1988م

عدد الأجزاء: 1 . مصدر الكتاب :موقع يعسوب

16/ الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى 748 هـ1374 م سير أعلام النبلاء أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه * حقق هذا الجزء شعيب الارنؤوط * حسين الاسد مؤسسة الرسالة.

17/ عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج . [صفة الصفوة – ابن الجوزي]

الناشر: دار المعرفة – بيروت . الطبعة الثانية ، 1399 هـ1979م.

تحقيق : محمود فاخوري – د. محمد رواس قلعه جي . عدد الأجزاء: 4

18/ إتحاف القاري بدرر البخاري .

19/ محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب . عون المعبود شرح سنن أبي داود.

الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة الثانية 1415هـ . عدد الأجزاء: 14.

20/ الحسين بن مسعود البغوي . شرح السنة . للإمام البغوي.

دار النشر: المكتب الإسلامي – دمشق . بيروت . 1403هـ – 1983م.

عدد الأجزاء 15 . الطبعة : الثانية . تحقيق : شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش.

21/ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا . تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي

الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت . عدد الأجزاء: 10

23/ العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي 544 هـ إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض. عدد الأجزاء 8.

العادات الاجتماعية عند القبائل النيلية في دولة جنوب السودان

د. عبدالعزيز محمد موسي

الأستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة بحري

المستخلص:

يتناول هذا البحث العادات الاجتماعية عند القبائل النيلية في دولة جنوب السودان وهي قبائل النوير والدينكا والشلك والمورلي والأنواك، آخذاً في الاعتبار عادات الوشم التي تمارس علي الجبين وما لها من مدلولات ومعاني وتفسيرات ولكل قبيلة من هذه القبائل شكل معين من الوشم يميزها عن القبيلة الأخرى، أما بالنسبة للعادات الاجتماعية المختلفة المرتبطة بالزواج تعتمد هذه العادات بشكل أساسي علي الأبقار وهي بمثابة المظهر الاجتماعي للعريس ويظهر من خلالها مقدرته المالية من خلال عدد الأبقار التي يدفعها مهر للعروس، وتختلف كمية الأبقار المدفوعة

كمهر من قبيلة لأخرى وفي بعض الأحيان يقبل أهل العروس بالماعز كجزء من المهر كما هو الحال عند الشلك، بالإضافة للعادات مرتبطة بالولادة.

Abstract

The research deals with social customs of the Nile tribes in the state of South Sudan, namely Nuer, Dinka Shilluk, Anuak and Murle, related to the practice of tattoos that appears on forehead, which have many implications, meanings and interpretations, any each tribe of these have particular form of tattoos, which distinguishes it from each other. Social habits have different social habits that concerned marriage depends mainly on the cows as a social appearance of the groom and show financial ability through the number of cows paid as a dowry for the bride. The amount paid of cows as dowry differ from tribe to other, and sometimes the bride's family accept goats as part of the dowry as is the case of Shilluk tribe, in addition to that the research deal with the birth habits.

المقدمة:

تزخر القبائل النيلية القاطنة في جنوب السودان بتنوع ثقافي واجتماعي كان له الأثر الواضح في الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي اذ تشكل القبائل النيلية (الديبنكا، النوير، الشلك، المورلي، الانواك) النسبة الأكبر من حيث العدد من جملة السكان وحظيت هذه المجموعة النيلية بدراسات واهتمام الباحثين الأوربيين خاصة البريطانيين حول حياتهم الاجتماعية والاقتصادية بينما نجد ندرة في هذا الجانب من الدراسات من قبل الباحثين السودانيين ولذلك ومن خلال هذا البحث نحاول أن نضع لبنة حول العادات والتقاليد الاجتماعية عند القبائل النيلية معتمدا علي نتائج البحث الميداني الذي قام به الباحث في هذه المنطقة بالإضافة إلي المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع.

الموقع الجغرافي:

تقع دولة جنوب السودان المنفصلة حديثا عن السودان في عام 2011م جنوب خط عرض 60° وتمتد حتى الجزء الشمالي من بحيرة ألبرت في أوغندا وتبلغ المساحة الكلية لدولة جنوب

السودان حوالي 648.051 كم^2 وبحسب التوزيع التاريخي الجغرافي للمديريات الجنوبية تفاصيلها كما هو في الجدول أدناه:

الرقم	المديرية	المساحة كم^2	العاصمة
1	الاستوائية	19820	جوبا
2	بحر الغزال	21375	واو
3	أعالي النيل	26180	ملكا ل

وتحد دولة جنوب السودان كل من السودان ويوغندا والكنغو وإثيوبيا وكينيا وأفريقيا الوسطي، وأهم ما يميز هذه الحدود عدم وجود فواصل بين السلالات السكانية ولذلك نجد معظم القبائل متداخلة مع تلك الأقطار المجاورة .(1)

السكان العادات الاجتماعية:

قد قسم علماء الأجناس سكان جنوب السودان وفقا للهجاتهم وصفاتهم الجسمانية وعاداتهم وجذورهم التاريخية إلى ثلاثة أقسام رئيسية:(النيليون Nilotics والنيليون الحاميون Nilo-Hamitics والسودانيون Sudanic Tribes.

والنيليون مجموعة من الشعوب الموزعة بين أوطان متباعدة في كينيا وأوغندا وفي السودان واطراف أثيوبيا الغربية والنسبة للنيل من صنع العلماء ولها ما يبررها لان جميع السلالات النيلية ذات أوطان علي مقربة من النيل والنيليون أينما وجدوا متشابهون في عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم وبينهم وبين النيلين الحامين تشابه في أمور كثيرة كتمجيد الماشية وإيثار حرفة الرعي وتنظيم المجتمع وطبقات السن وبعض التشابه في العقائد والطقوس ونحو ذلك.

المجموعة النيلية والتي يتناولها هذا البحث هي المجموعة التي تتمركز حياتها حول النيل وأفرعه (بحر الجبل – بحر الزراف – بحر الغزال – بحيرة نو – والسوباط ، الذي يلتقي بنهر النيل على بعد 15 ميلا جنوب مدينة ملكاك) والقبائل النيلية تتكون من الدينكا – النوير – الشلك – الانواك – المورلي . وتتفرع هذه القبائل إلى بطون(2).

يعتبر النيليون من السلالات الزنجية التي وفدت من غرب أفريقيا في فترة قبل الميلاد واستقرت في منطقة بحر الغزال وتحركت بعض المجموعات شرقا حتي هضبة أثيوبيا وفي وقت لاحق عبرت مجموعات منهم إلي بحر الجبل وجنوبا حول منطقة السدود والمستنقعات وجميعها قبائل رعوية زراعية ثم انه في قرون لاحقة هاجرت مجموعة من جنوب الكنغو وزائير إلي جنوب غرب السودان متجهة شمالا وشرقا وجنوبا وكل المجموعات السابقة كانت حركتها محكومة جغرافيا وديمغرافيا حيث أنها تستقر في المكان الذي يكون مناسبا للرعي والزراعة (3).

الدينكا: وهي أكبر القبائل في السودان من حيث العدد وتقطن في الولايات الآتية: (ولاية أعالي النيل – جو نقلي – وارأب – البحيرات – الوحدة – شمال بحر الغزال – غرب بحر الغزال).(4)

وقد أشارت المصادر إلى الاسم الأصلي لهذه المجموعات هو Djing جينق حرّفه جيرانهم من العرب إلى دنكا مفردها دينكاوي، كما تشير الروايات الشفهية بأن التسمية جاءت نتيجة لجدهم الأول دينقديد.

على العموم هذا الاسم (دنكا) يدل على مجموعة كبيرة من القبائل تعيش في منطقة واحدة متجاورة لكل منها نمط خاص بها ولكنها متفقة في عناصر الثقافة الأساسية : اللغة والدين والعادات والنظم الاجتماعية والسياسية ولكل فرع من هذه القبائل له اسمه الخاص فقبيلة دينكا بور تعيش في بلدة بور على نهر بحر الجبل ويبدوا ان كلمة بور معناها المنطقة المغمورة بالمياه (5).

وقبيلة علياب تقع إلى الشمال من بور ويطلق عليها أحيانا الجعران وهي مشتقة من الجعاريين التي تعيش في الماء ، ثم قبيلة سيك cik وتعني الرمح المقدس وتعيش في منطقة شام بي ، وتليها قبيلة أقار Agar وتعني الثور المنتشر القرنين وهي تعيش إلى الغرب من نهر النعام ومركزها رمبيك ثم قبيلة تويج في منطقة الدوك ومعناها الرعد القاصف وقبيلة ملوا ل في غرب بحر الغزال ويليها شرقا الرنك ثم ابليا نق (إبراهيم) بضواحي الرنك(6).

واهم ما يميز الدينكا الطول الفارع والاعتزاز بالنفس لدرجة الغرور ولهم علامات عبارة عن وشم على الرأس تحديدا في الجبهة وهو نوعين (7):

1. وشم يشتركون فيه مع النوير، خاصة عند دينكا نقوك ، وهو عبارة عن شلوخ في الجبهة يبلغ عددها حوالي الستة.
2. وشم على الجبهة يأخذ الشكل رقم VVV باللغة العربية ولكنه متداخل أي: يأخذ الشكل الآتي:

ونجده أكثر انتشارا في بور. وأيضا من العادات الموجودة عند قبائل الدينكا قلع الأسنان السفلى بهدف الجمال إذ في اعتقادهم بأن وجودها بالفك الأسفل يؤدي إلى بروز الفم إلى الإمام مما يشوه منظر الشاب أو الشابة ومع انتشار التعليم بدأت هذه العادات في الانحسار.

إما المورد الاقتصادي والاجتماعي للدينكا فيتركز على تربية الماشية بشكل أساسي، لأنها تحتل المكانة الاجتماعية والاقتصادية وتدفع بها المهور والديات ولا يعترفون بالزواج مهما أنجب الزوجين من أبناء وأحفاد ما لم يكمل الزوج عدد الأبقار التي اتفق معه لدفعها كمهر وهي تتراوح بين 30 – 100 ويزيد من ذلك في بعض الأحيان ، ومن عاداتهم وراثة أزواج الأب والأخ) .

وتعتبر الماشية ليست مجرد مادة للحياة الاقتصادي قبل هي روحه لأنك لا تري الدينكاوي مغتبطا مسرورا إلا وهو يتحدث عن الماشية أو يرعاها أو يتأملها أو يتغني بسيرتها ومع أن الدينكا بزرعون الذرة الرفيعة ويتخذون منها مادة أساسية لغذائهم كما يزرعون التبغ ولهم ولع بالتدخين غير أن هذا النشاط الاقتصادي يعد شيئا ثانويا إلي جانب الماشية التي هي العماد الأكبر للحياة والركن الأساسي للنظام الاجتماعي كله ويبنوا للماشية اكواخا ضخمة اعظم مما يبنون لأنفسهم ويسمي لوواك وفي هذه الأكواخ تبيت الماشية وسط المزارع والحشائش و يستخدم الدينكا السلاح ذو الرمح الطويل وله أسنان من مختلف الأشكال ولا يختلف كثيرا عما يستخدمه سائر القبائل النيلية وهناك حراب تستخدم في الرماية من بعيد ومخصرة من الخشب المتين المصقول تنتهي ببكرة قطرها نانحو ثمانية أو عشرة سنتيمترات وطولها نحو الستين أو السبعين سنتيمترا ولا يستخدم الدينكا السيف ولا القسي باستثناء جماعة محدودة ومن عادات الدينكا في الزواج لابد ان يبحث الشاب عن فتاة في عشيرة غير عشيرته ومتي تم الاختيار يبدا في الإجراءات اللازمة نحو الخطبة والزواج وهذه

الإجراءات قد تختلف اختلافا يسيرا بين فروع الدينكا ولكن الجوهر واحد ويشتمل علي الخطوات الأتية:

1/ استعانة العريس بلداته في الخطبة.

2/موافقة والد الفتاة شرط أساسي.

3/تقديم الهدايا لاسترضاء أقارب العروس.

4/ دفع المهر لتعويض الأسرة عما فقدته بإعطاء ابنتها لعشيرة اخرج.

5/يتم الزواج في حفلة تشتمل علي كثيرا من الموسيقي والرقص.

6/ تظل الزوجة عادة في منزل والدها حيث تسكن وعريسها كوخا اعد لهما إلي أن تلد طفلا او طفلين تستطيع بعد ذلك أن تنتقل إلي عشيرة الزوج وتتخذ مسكنا لها(8)

وأيضا من عادة الدينكا عند ولادة توأمين يستدعي الوالد جميع أقاربه من الذكور ومعهم احد الكهنة tiex ومن الممكن أن يشهد الاحتفال أقارب الأم أيضا من الذكور ثم تقام الصلوات للإله الأكبر nhiahik ويذبح عجل ويمسح ببوله الأبوان والرضيعان ويتلي الدعاء للإله بالمعني الاتي:

أنت أيها الأكبر بهيالك
أنت الذي خلقتهما وأنت الذي أتيت بهما.
فلا ينبغي لاحد أن يبغيهما او يضمر لهما السوء.
أنت الذي تهب الحياة وتعطف.
أنت وحدك القادر والناس عاجزون.
أنا نقرب لك هذا الذبيح فاقبله منا ثمنا لما وهبت.
وامنحهما الحياة(9).

ويمارس الدينكا الصيد والزراعة خاصة في موسم الخريف ، ويزرعون الذرة والذرة الشامية والفول السوداني ويتم تخزين بعض الذرة (ايرير) (10).

أما قبائل الشلك :في الأصل هي كلمة(شلو) وتعني المأساة أو الثأر وذلك نسبة للخلاف الذي حدث بين الأخوين نيكانق وريمو ، وموطن الشلك الأصلي كان في منطقة البحيرات الكبرى ثم تحركوا متتبعين النيل إلى أن استقروا في موطنهم الحالي خاصة في الشاطئ الغربي للنيل الأبيض من ملكا ل إلى نهر والسوباط بالإضافة إلى تمركزهم في المدن والقرى الآتية : (فاشودة) وهي المدينة المقدسة ويوجد بها الرث ، ومدينة كدوك التاريخية وتونجا وكاكا وينقسم الشلك حسب الموقع الجغرافي إلى قسمين (11):

1. قير: وتعني بلغة الشلك البوابة الشمالية وقوام هذه المنطقة السكان الذين كانوا يحرسون بوابة الشلك الشمالية.
2. لواك : وتعني بيت الداخل وهو محروس من أي غزو .

ومن الناحية الاجتماعية يتالف الشلك من اربع وحدات اجتماعية:

أ. كوارث kwareth وهي عشيرة المك نفسه علي ان تكون منحدرة من نسل نيكانج.

ب. ارورو ororo وهي في الاصل من العشيرة المالكة ثم حرمت حقوقها في بعض العهود والمك يتخذ من هذه المجموعة بعض زوجاته ولا يميز الارورو عن سائر العشائر الا بان لهم دورا خاصا في بعض الطقوس التي لابد من اجرائها عند تنصيب الرث الجديد او عند وفاته.

ج. بانج رث bang reth او حاشية المك واتباعه المقربون وهم اما متطوعون للخدمة او اسري الحروب او من نسل ارتكب اباؤهم جريمة القتل يضم الابناء الي الحاشية حبث يقومون بجميع الخدمات الزراعية والمباني وكل ما يلزم للمك من خدمات وهم لا يكونون عشيرة متصلة النسب ولا يتزوج منهم الرث لانه يعتبرهم من المقربين اليه واذا توفي الرث ذهب فريق منهم لخدمة مقبرته وكثيرا ما يمنحهم الرث بعض الماشية علي سبيل مكافاتهم .

د. كولو kolo وهم من الذين يتشكل منهم معظم شعب الشلك وعشائرهم تبلغ نحو المائة وكل عشيرة منها تعد نسبها عن طريق الاب والجد الي بعض اتباع نياكنج او الي بعض الزعماء الذين هاجروا الي البلاد قديما او كانوا من السكان الاصلين قبل هجرة نياكنج نفسه (12)

والوشم (الشلوخ) المميز للشلك وجود سلسة كاملة الاستدارة حول الجبهة في شكل حبيبات نتيجة لعملية جراحية. والأصل في الشلك أنهم رعاة وعندما فقدوا جانبا من ماشيتهم اضطروا إلى الاعتماد على الزراعة والصيد (صيد الأسماك) (13).

إما نظام الحكم فهو يعتمد على المكوكية (ألمك) ويطلق عليه الرث ويليه نائبه ، ثم الناظر والعمدة وأخيرا الشيخ ، ومن الملاحظ أن القواعد والتقاليد التي تحكم الصلات والجماعات في مجتمع الشلك استمدت كلها من قرارات نياكانج Nyikang والذين خلفوه(14) ، وربما هذا النظام أثر في تركيبة الشخصية الشلكاوية المطيعة للأوامر وعدم المقدرة على اتخاذ القرارات والقيادة .

ويجمع الرث بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية حيث يتوج في احتفال كبير تنتهي مراسمه فاشودة حاضرة الشلك وينتظم جميع أفراد الشلك في خطوات تحضير مراسم التتويج للرث كل حسب دوره وفق النظم والعادات والتقاليد كما أن هناك عادة القتل الطقسي للرث عند اعتلال صحته او عدم مقدرته عن تسيير الأمور(15).

إما الزواج فتكاليفه أقل بكثير من الدينكا إذ يعتمد على قليل من الماشية والأغنام. وتمارس أيضا عادة وراثة الزوجات عند قبائل الشلك وقد تحدث الانثروبولوجيون الرواد عن مجموعات القبائل التي تتكلم لغة الشلك Shilluk Speaking كما تحدث عنهم سلجمان الأنواك Anuak وليو Luo والذين يطلقون عليهم جور Jur وهي كلمة تعني بلغة الدينكا (أجنبي) . والبلندة belanda يقيمون في جنوب وجنوب غرب ليو وقبائل ديمبو Dembo يسكنون شمال غرب الجور علي دفتي دمبو وكذلك الاشولي Acholy (16).

اما قبائل النوير :يسكن النوير في إقليم المستنقعات الممتدة علي جانبي بحر الجبل والزراف الأدنى جنوب التقائهم والسوباط، وبحر الغزال، منتشرين إلي الجنوب والشرق إلي حدود الحبشة ما بين خطي عرض 30و9 إلي 30 و7 شمالا . واختلفت الآراء حول اسم النوير، فالرأي الأول يشير إلى أن الدينكا وهم أبناء عمومتهم أطلقوا عليهم هذا الاسم إثناء حروبهم الطويلة معهم بعد إن غدر جينق – وهو جد الدينكا بأخيه الأصغر (ران) جد النوير واستولي الأول بمساعدة والدته علي بقرة الثاني الحلوبة مستفيدا من عمي والدهما، أما الرأي الثاني فيشير إلى أن ران يعني شيئاً مقدساً وقد صرفه أخوه إلى نوبر التي تعني التجسس أو الطاعون، وربما لهذه الأسباب اشتهر النوير بالشراسة. وينقسم النوير جغرافيا إلى قسمين (شرقي – وغربي) ويتكون النوير الغربي: من (بول ، حاجي،

ليك، نونق، دوك) ، أما قبائل النوير الشرق فيتكونون من: (نيا نق – لاك – قاجوك – قاقوان – قاجاك)، وقبيلة جكانق توجد في كلا القسمين الشرق، الغربي ولذلك قبيلتي قاجوك وقاجاك هما فرعان من قبيلة جكانق الشرقية.(17)

والشلوخ عند النوير عبارة عن ستة خطوط على الجبهة (تشابه أحدى شلوخ الدينكا) وكل خط يرمز إلى شيء:

1. الشلخ الأول يرمز إلى انتقال الطفل من مرحلة الطفولة إلى الرجولة.
2. الشلخ الثاني يرمز إلى الابتعاد من أفعال الطفولة.
3. الشلخ الثالث يرمز إلى دفعة الذين شلخوا في زمن واحد.
4. الشلخ الرابع يرمز إلى الشجاعة.
5. الشلخ الخامس يرمز إلى الأسلوب والتهذيب والاحترام.
6. الشلخ السادس يرمز إلى الحد الفاصل بين المرأة والرجل.

وأيضا هنالك علامة مميزة للنوير دون سواهم وهي عبارة عن وشم (حبوب) أصغر من حبة السمسم تغطي الوجه كله ، وقد لحظ الباحث وجود هذا الوشم عند قبائل النوير العابرين إلى ملكا ل عن طريق منطقة قناة جو نقلي من خلال الزيارة الميدانية التي قام بها لهذه المناطق (18).

والنوير كغيرهم من القبائل النيلية يهتمون بالماشية ، والزراعة تمثل جانبا مهما من حياتهم بسبب ظروف بيئتهم التي لا تسمح بوجود المراعي الكافية (19). ولقد سببت طبيعة الأرض في إن يكون مظهر السلطة محليا فلا يوجد للمناطق ولا القرى رؤساء ولا مجالس كبار السن، والعادة أن رب الأسرة هو الذي يتولى السلطة وإذا كان النزاع خارج نطاق الأسرة كان الزعيم صاحب جلد النمر Kuaar muon هو الذي يستطيع وحده التدخل بين المتنازعين وهو الذي يقوم بالطقوس اللازمة عند ارتكاب الجرائم الجنسية والمحرمات وكذلك يقوم كبار السن في كل مجتمع بتقديم النصيحة عند الحاجة ولكن من الضروري إن تتوفر الرغبة في التسوية عند الجانبين المتصارعين.

فلكل فرع من القبيلة أسلوبه في الحياة حيث انه يحاول إن يكيف ظروفه المعيشية وفقا للبيئة التي يقيم فيها.

ومن عادات وتقاليد النوير عندما يموت الشخص يغسلونه ويحلقون شعره ثم يلف بثوب ويصلي عليه حسب التقاليد والعرف ثم يدفن الميت بالقرب من بيته ويمنع مرور إي شخص لمدة

أسبوع والمرأة تعلن الحداد علي زوجها خمسة وأربعين يوما بعدها توزع ملابس الميت علي فقراء القبيلة ومن عادات النوير عندما يموت الأب يرث الابن الأكبر زوجات أبيه مع استثناء امه ومن ينجبهم من الأطفال هم أخوة وليس أبناء (20).

اما قبائل المورلي :تقطن هذه القبيلة النيلية جنوب أعالي النيل الكبرى في منطقة نهر البيبور وتمتد حدودها إلى جبال بوما من الناحية الجنوبي الشرقية.

وقد اختلفت الآراء حول أصولهم (21):

7. أنهم من اصل كيني والدليل على ذلك وجود قبيلة كينية تتحدث نفس لهجة المورلي.
8. أنهم من اصل يوغندي .

واسم مورلي له عدة معاني (رعاة الأبقار – الرحالة – الإنسانية المتبادلة بين الأفراد).

وللمورلي فرعان (22):

1. نقلام ويسكنون في جبل بوما.
2. زواك وتيضا يسكنون بالقرب من جبل بوما.

الوشم عند المورلي عبارة عن نقاط على الوجه ترمز للجمال وبلوغ مرحلة النضج.

نظام الحكم عند المورلي يتكون من. :

1. السلطان: وهو السلطة الأعلى عند قبيلة المورلى ويتم اختياره من أسرة الاط ويجب أن تتوفر فيه الصفات الحميدة مثل الشجاعة والعدالة والمساواة والكرم خاصة انه صاحب القرار في القبيلة.
2. الشيوخ والعمد: وهم يمثلون الطبقة الثانية في الحكم ويساعدون السلطان في تصريف أعبائه.

إما النشاط الاقتصادي للمورلى فقد لعبت الطبيعة دورا كبيرا فيه خاصة إن أراضيهم تمتلئ بالأنهار ومن أهمها: البيبور ونانعام وكونق كانق ولوتيلا وفيغينو وكنفن واقوى وهذه الأنهار تنحدر فروعها من الهضبة الأثيوبية وتصب داخل أراضي المورلى وتكون كثير من المستنقعات، ومع إنهم رعويين بطبيعتهم إلا أنهم مزارعون بالضرورة وهم قوم شديدو الغرام بالصيد وأذكياء جدا في طرق الصيد ولهم عدة أنواع من شراك الصيد(23).

أما قبائل الأنوك: هم من المجموعات النيلية ويسكنون في حوض نهر بآو من أهم روافد السوباط ومعظم أراضيهم تقع داخل الأراضي الإثيوبية في الجنوب الشرقي للسودان وتغطي الأراضي التي يشغلونها المجاري العلوية لنهر جيلا (باكو) واكوبو من روافد السوباط ومنطقة على نهر بارو وأخرى على نهر بيبور قبل ملتقاه بنهر واكوبو(24).

ومن العادات الخاصة بالزواج عند الانواك يتكون المهر من أربعة بقرات مع بعض الحراب والخرز والماعز، واهم شيء في المهر الخرز الذي يطلق عليه (دموي) وهو أغلى من البقر عند الأنواك، ولا يعترفون بالزواج من خارج القبيلة خاصة الرجال. وفي حالة زواج الغريب من أحدى فتياتهم لابدّ أن يعمل لمدة عشر سنوات في أراضي الانواك ثم يسمح لهم بالزواج من فتياتهم. ومن العادات أيضا خلع الأسنان السفلى للطفل ولهذه العادة قصة تاريخية تقول : بان طفلا وقع على الأرض فقطع لسانه عندما احتك بالأسنان لذلك صارو يخلعون أسنان أطفالهم منذ ذلك الوقت(25).

نظام الحكم عند الأنواك يعتمد على النبلاء ورؤساء القرى الذين يتولون السلطة والقضاء في المنازعات التي تقع بين الأفراد وهم الذين يحتفظون بطبول الحرب وبالحراب المقدسة وللانواك نظام سياسي قريب الشبه بنظام الشلك إذ يخضعون إلي قيادة واحدة أشبه بالملكية وفي حالة وفاة الملك الذي يسمي الراس او تنحيه عن الحكم يجتمع سلاطين الانواك وكما هو معلوم لكل قرية سلطان يسمي nyeya نيايا يقررون موفقتهم علي المرشح او عدم موافقتهم علي المرشح الجديد الذي غالبا ما يكون من الزعماء الأقوياء وبعد اختياره تتم مبايعته في قريته ولابد ان يكون من طبقة النبلاء أو الأثرياء(26).

وأشار ايفا نز ريتشارد في كتابه: (the political system of the Anuak) إلى أن النبلاء لا يتزوجون من خارج العشيرة ويحصرون أنفسهم بالزواج من العشائر التي تتصل بالدم الملكي القديم (27).

المابان :يطلق عليهم البرون ويقطنون في الجزء الشمالي الشرقي من أعالي النيل وفي عدة جبال وعلى شواطئ خور جم جم وأراضيهم منبسطة ذات تلال كثيرة ومعظم أفراد القبيلة يبنون قراهم على سفوح هذه التلال ولهذا يعد الجبل وحدة قائمة بذاتها من الناحية الإدارية والاجتماعية(28).

وقد طغى اسم المابان على اسم هذه المجموعة بالرغم من إن المابان هم جزء من قبيلة البرون التي تتكون من ثلاث عشرة فرع.

وكلمة المابان أخذت من لغتهم (من – بان) وتعني بلهجتهم أصحاب الموطن وان كانت أصولهم تشير إلى شرق أفريقيا وفي مصادر أخرى إلى قبيلة الفونج السودانية.(29)

النشاط الاقتصادي لهذه المجموعة يقوم على زراعة المحاصيل المختلفة كالفول السوداني والسمسم والذرة الشامي بالإضافة إلى تربية الأبقار والماعز والضان والخنازير بكميات كبيرة للاتي :(30)

1. تستخدم في مناسبات الزواج لتقدم للمدعوين بدلا من البقر والضأن.
2. تذبح في النفير خاصة الزراعي.

إما الزواج وسط هذه القبائل فيتم في شكل مجموعات في عمر يتراوح ما بين (16–20سنة) ويتم في مواسم معروفة والمهر يتكون من (7–10 أغنام) وهناك من يطلب الخنزير (كدروك) كمهر وهم قلة ويمكن للرجل إن يتزوج ثلاث نساء في يوم واحد بشرط إن يكون هو وأسرته يعملون بجد ونشاط . ومن عادات القبيلة خلع الأسنان (سنين) من الفك الأسفل في عمر (5 – 10 سنوات) ويتم عادة في موسم الحصاد بوساطة إلة حادة وهنالك أسطورة يرويها المابان بان رجل مرض حتى انطبقت أسنانه (الفكين) بحيث لم يتمكن من شرب الماء فتم خلع أسنانه السفلى فأصبحت عادة عند القبيلة وأيضا من عاداتهم الاحتفالات بعيد (كرنا) وتعني عيد النار وهذه العادة (تشبه عادة جدع النار عند سكان جنوب النيل الازرق) حيث يدخل جميع أفراد قبيلة المابان في الماء الساعة السادسة مساء ثم يذبحون الذبائح وعادة تكون من الضأن ثم يأكلون الذرة الشامية التي حصدت في أوائل فصل الخريف التي يحرم أكلها نتيجة لانتشار الإمراض في حينها(31).

الجدول الآتي يوضح توزيع قبائل أعالي النيل بالنسبة للمراكز :

القبيلة	المراكز التي تسكنها أغلبيتها	القبائل الأخرى التي تشاركها المنطقة
النوير	بنتيو – فنجاك – واكوبو – الناصر	الدينكا وقبائل أخرى
الدينكا	بور – الرنك	الشلك وقبائل أخرى
الشلك	كدوك – ملكا ل	النوير – الدينكا وقبائل أخرى
الانواك	البيبور	المورلى – النوير وقبائل أخرى

البرون	الرنك – الناصر	الدينكا – الشلك وقبائل أخرى

علي العموم في الجانب الاقتصادي والاجتماعي تلعب الماشية دورا مهما وسط القبائل النيلية خاصة في الزواج والدية ويختلف كم المهر من قبيلة لأخرة فبينما يحدد في قبيلة الشلك بعشرة بقرات فانه يصل إلي أربعين بقرة عند قبيلة الدينكا والنوير بينما يتراوح المهر ما بين اربع إلي عشر بقرات في قبيلة الانواك وفي داخل القبيلة الواحدة فان المهر قد يدفع جملة واحدة او قد يقسط طبقا لحالة الزوج الاقتصادية أي أن باقي المهر يظل في ذمة الزوج دينا عليه لابد أن يدفعه حتي بعد أن ينجب ويكبر الأبناء(32).

والطلاق جائز عند جميع القبائل النيلية والسبب في العادة يكون العقم فبعد مضي عامان أو ثلاثة أعوام علي الزواج ولم يثمر يجوز للزوج أن يطلق زوجته وفي هذه الحالة ترد إليه الماشية التي قدمها مهرا وما قد تكون أنجبته الأبقار في تلك الفترة مع ملاحظة أن معظم الزيجات في الجنوب تكتمل بعد أن تضع الفتاة مولودها الأول.

وأيضا ما يميز القبائل النيلية في جانب الأزياء ما يعرف باللاوا وهو عبارة عن ثوب لا يتعدى المتر والنصف يقوم الرجل بربطه في كتفه علي الجانب اليمين مع تدلي الثوب في باقي الجسم حتي يتجاوز الركبة بقليل وكذا الأمر بالنسبة للمرأة من القبائل النيلية مع عكس الرباط حيث يربط في جهة الشمال(33)

وفي جانب اللغة لم تستطع لهجات قبائل جنوب السودان أن تجذب او تطغي علي الأخرى بحيث تصبح لغة حضارية رئيسية ومن ثم فقد وجدت اللغة العربية العامية الفرصة سانحة وأصبحت لغة التواصل بين تلك القبائل رغم المحاولات التي قام بها الإنجليز لتطوير تلك اللغات المحلية لتصبح لغات رسمية ولغات تخاطب إلا انهم لم ينجحوا في ذلك أيضا وفي الجانب العقائدي نجد معظم القبائل النيلية وثنية وتعيش علي الفطرة ،الفئة القليلة التي اعتنقت الديانات السماوية (الإسلام والمسيحية) فئة قليلة ومعظم الوثنين فلهم معتقدات دينية مرتبطة بالطبيعة وهي اشبه بمعتقدات قدماء المصريين والأشوريين وهناك الاله صانع المطر عند الدينكا والاشولي واللاتوكا وهناك الاله حامي البقر عند الدينكا ويسمي (نجاوت) وعند الشلك يسمي (وجوك) والآله الأنسان القادر علي احلال الضرر والنفع يسمية الكجور هولاء الأشخاص يصبحون في مرتبة الاله يربطون بين السلطة

الروحية والزمنية فأمرهم وحكمهم يعتبر أمراً مقدسا لا يعصي واذا توفي فيعتقد أن أسلافه تتقمص روحه في احدهم(34).

الخاتمة:

يطلق اسم القبائل النيلية علي مجموعة القبائل التي تدور حياتها حول النيل الأبيض وأفرعه المنتشرة في دولة جنوب السودان وهي تذخر بالعديد من الثقافات والعادات والتقاليد التي لها صلة بالبيئة مما جعل لكل قبيلة من تلك لقبائل عاداتها وتقاليدها الخاصة بها سواء كان في الزواج أو التقاليد الاجتماعية الأخرى إلا أن هذا الاختلاف يبدوا طفيفا في كثيرا من العادات والتقاليد عند تلك القبائل وهذه المجموعات تحتل مساحات واسعة في مناطق متاخمة ومتداخلة مع السودان ولذلك نجد أنها متأثرة إلي حد كبير ببعض العادات والتقاليد الاجتماعية القادمة من شمال السودان.

تمارس القبائل النيلية عملية الوشم (الشلوخ) في الوجه علي الجبهة حيث لكل قبيلة وشم خاص بها يتم وفق عادات اجتماعية واحتفالات مصاحبة لتلك الطقوس.

ويعتبر اللاو بمثابة اللبس القومي للقبائل النيلية إلا انه محدودا وغير منتشر إلا في حدود القري الجنوبية بينما لبس اللاو بدا يندثر في المدن والمناطق المتحضرة.

في الجانب الاقتصادي تمتلك القبائل النيلية الثروة الحيوانية بشكل كبير خاصة الماشية إلا أنها تأخذ المظهر الاجتماعي اكثر من الاقتصادي وتمارس كل القبائل النيلية الأنشطة الزراعية ولكن بشكل محدود حيث ان الزراعة تقوم علي الاكتفاء الذاتي خاصة الذرة التي تعتبر الغذاء الرئيسي بالإضافة إلي الذرة الشامية وتمثل عملية الصيد خاصة صيد الأسماك جانب مهم من النشاط الاقتصادي الذي تمارسه القبائل النيلية بصفة عامة والشلك بصفة خاصة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو الحسن فرح : جنوب السودان بين القوة والسلام وسلام القوة بدون معلومات النشر، ص 9.
2. SEIGMAN : Pagan Tribes of the NILOTIC Sudan : George ROUTLEDG : LONDON : 1932 : P .
3. هويدا صلاح الدين العتباني ،2012،الهوية والتعدد الاثني في الصراع بين شمال وجنوب السودان 1955-2005م،مركز دراسات المراة ،ص 47.

4. محمد عمر بشير : مشكلة جنوب السودان ، خلفية النزاع ومن الحرب الداخلية إلى السلام : ترجمة هنري رياض وآخرين : دار الجيل بيروت: ص 28.
5. المرجع السابق نفسه.
6. محمد الزين محمد: مشكلة جنوب السودان مسبباتها السياسة والاقتصادية: دكتورة – جامعة الخرطوم.
7. مسح ميداني قام به الباحث في شهر فبراير 2005م وذلك لإعداد دراسة حول العادات والتقاليد الاجتماعية للقبائل الجنوبية، ص 2.
8. نفس المصدر ، ص2.
9. محمد عوض، الشعوب والسلالات الأفريقية ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،ص164.
10. المرجع نفسه، ص 155-156.
11. حسن محمد جوهر وحسنين حسن مخلوف: السودان (حياة الشعوب) أرضه وتاريخه وحياة شعبه: دار الشعب : القاهرة ص 113 .
12. مسح ميداني ومقابلات شخصية للباحث في مدينة ملكال مارس 2005م، المصدر السابق، ص3.
13. زيارة ميدانية للمنطقة في فبراير 2005م، ص 5.
14. هم خلفاء الزعيم الروحي.
15. مسح ميدا ني ومقابلات شخصية قام بها الباحث في مدينة ملكال، المصدر السابق، ص8.
16. مسح ميداني قام به الباحث في شهر فبراير 2005ا؛ المصدر السابق، ص 7 .
17. نفس المصدر، ص6.
18. P. P. HWOELL : Amanual of nuer law ! Oxford University press : 1970 : P 12 .
19. سليمان محمد سليمان: الدينكا والنوير: المطبعة العالمية القاهرة: بدون تاريخ: ص 33.
20. مسح ميداني ومقابلات شخصية للباحث، المصدر السابق، ص 7.
21. محمد عبد الفتاح إبراهيم، 1964م أفريقيا الأرض والناس: مكتبة الأنجلو مصرية: القاهرة: ص 107.
22. علي حسن عبد الله ، 1986الحكم والإدارة في السودان: دار المستقبل العربي: ص 59.

23. عادل رضا، 1975م، الرهان الإسرائيلي على جنوب السودان (القضية – الحل – والرجل) المكتب لمصري الحديث للطباعة والنشر: ص 114.
24. محمد عبد الفتاح إبراهيم: المرجع السابق: ص 104.
25. جامعة أعالي النيل، 2005م، مركز دراسات الطفل والمرآة: دراسات حول أوضاع الطفل والمرآة ولاية أعالي النيل: غير منشور، ص 39-40.
26. فيصل محمد موسي، 2010م، بريطانيا في جنوب السودان 1885م_1947م، دراسة تاريخية وثائقية، مطبعة جامعة النيلين، ص 11.
27. فريق ابحث جو نقلي ،1983م، الهيئة الفنية الدائمة المشتركة لمياه مشروع جو نقلي القديم والحديث : ترجمة هنري رياض وآخرون: الطبعة الأولى 1983، ص 116.
28. حمد عوض: المرجع السابق: ص 121.
29. تقارير المديريات والمجالس 732/4/8 دار الوثائق القومية.
30. نفس المصدر.
31. تقارير المديريات والمجالس 732/4/8 دار الوثائق القومية.
32. زكي محمد إسماعيل ،198م،انثروبولوجيا التربية (دراسة نظرية ميدانية في قبيلة الشلك بجنوب السودان)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 286.
33. مسح ميداني ومقابلات شخصية للباحث، المصدر السابق، ص8.
34. فيصل محمد موسي، المرجع السابق، ص5.

الآثار السلبية لتعاطي المخدرات

د. شوقي عبد المجيد عبيدي بردويل
الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والقانون جامعة دنقلا

المستخلص

إن آفة المخدرات هو الإدمان، فالإدمان هو أهم ما يتعرض الباحث في موضوع المخدرات لأنه لولا الإدمان لما كان للمخدرات ذلك الخطر ولما أحدثت في العالم تلك الضجة الكبرى ولولاه لما

سقطت حكومات وأقيمت أخرى. ولولاه لما صدرت قوانين المخدرات والمؤثرات العقلية والتي من شأنها أن تقلل حجم الطلب والعرض غير المشروع للمخدرات، وإذا كان هناك لأية كارثة ما يبررها فليس للاستعمال غير المشروع للمخدرات مبرر أبداً.

Abstract

The scourge of drugs is addictive , addiction is the most important object researcher on the subject of drugs because he is not addictive because it was the drugs that risk and what brought about in the world of those big fuss , but otherwise what were drugs and psychotropic substances laws , which would reduce demand and supply volume of illicit drug .

And if there is a state of disaster , it is not justified to use illegal drugs .

المقـــدمـــة:

المخدرات وباء خطير ليس على المال والأنفس فحسب، ولكنه وباء يسطو على الأخلاق فيفسدها وعلى الكرامة فيسحقها وعلى الإرادة فيسلبها وعلى عاطفة الشرف فيزهقها. فيمكن للمخدرات أن تكون أكثر فتكاً من الأوبئة والحروب وأكثر تدميراً من الزلازل والبراكين وأعظم خطراً من الفيضانات والمجاعات وهي مشكلة جديرة بالبحث الجدي والدراسة العميقة.

إن آفة المخدرات هو الإدمان، فالإدمان هو أهم ما يتعرض الباحث في موضوع المخدرات لأنه لولا الإدمان لما كان للمخدرات ذلك الخطر ولما أحدثت في العالم تلك الضجة الكبرى ولولاه لما سقطت حكومات وأقيمت أخرى. ولولاه لما صدرت قوانين المخدرات والمؤثرات العقلية والتي من شأنها أن تقلل حجم الطلب والعرض غير المشروع للمخدرات، وإذا كان هناك لأية كارثة ما يبررها فليس للاستعمال غير المشروع للمخدرات مبرر أبداً.

أما جرائم المخدرات فتختلف كثيراً في طريقة ضبطها ومكافحتها عن سائر الجرائم الأخرى ويرجع ذلك إلى عوامل منها أن مرتكبي تلك الجرائم يتسمون بالحرص الشديد حتى يكونوا بعيدين عن رقابة أجهزة المكافحة وأعينها، إنهم يخططون لجرائمهم بدقة وعناية ويدرسون قوانين المخدرات ويلمون بكل الثغرات التي قد تؤدي لضبطهم ويرتبون دفاعهم مسبقاً على أساس الإفلات من العقاب عند احتمال وقوعهم في قبضة الشرطة. إن الحذر الشديد الذي يتصف به تجار المخدرات يجعلهم

دائماً يتشككون حتى فيمن يتعاون معهم، كل تلك العوامل تصعب مهمة رجال مكافحة المخدرات لمواجهة طائفة مجرمين على قدر كبير من الدهاء والحيلة، وهكذا يقوم صراع شديد بين عقلين: عقل يفكر كيف تتم عمليات تهريب وترويج المخدرات وعقل يفكر لدراسة أساليبهم غير المشروعة لضبطهم ودمغهم بأدلة قاطعة تدينهم.

قد لا تثير دهشة عند من يعرفون أن العبرة في مكافحة الجريمة ليست في تشديد العقوبة بل بالأكثر في ضمان تطبيقها وأن الوسيلة الأولى لمعالجة الأدراء الاجتماعية كالإدمان هي بتقصي أسبابها ودراستها دراسة عميقة وهادئة. أما المغالاة في التجريم أو العقاب فقلما تغني فتيلاً، وكثيراً ما تنتج آثار غير متوقعة، فمثلاً إن تشديد العقاب قد أدى إلى ارتفاع أسعار المخدرات في السوق وبالتالي ازدياد أرباح تجارها فازداد تهالكهم على هذا النوع من الربح الحرام.

الإدمان وأضرار المخدرات

آفة المخدرات هو الإدمان. فالإدمان هو أهم ما يتعرض الباحث في موضوع المخدرات، لأنه لولا الإدمان لما كانت للمخدرات ذلك الخطر ولما أحدثت في العالم تلك الضجة الكبرى ولما كانت هناك قوانين للمخدرات ولا هيئات دولية وإدارات إقليمية متخصصة لمكافحة المخدرات في الدول، ولولا الإدمان لما نشطت حركة التهريب ومافيا المخدرات ولولاه لما قامت حرب الأفيون في الصين[129]. فالإدمان مشكلة اجتماعية خطيرة يجب أن يتناولها الباحث بكل دقة وعناية رغماً أن ذلك ليس بالأمر السهل، لأن سبر أغوار موضوع الإدمان والوقوف على كل دقائقه وتفاصيله لا يتم بدراسة ما وضع في الكتب عن المخدرات بل أن ذلك يتطلب دراسة علم الاجتماع وعلم النفس للوقوف على الشخصية التي تتعرض للإدمان وتنساق إلى تياره ويتطلب دراسة ما كتب من الأدب في الإدمان كالأغاني والأشعار والروايات لتفهم نفسية المدمن فهماً نظرياً ثم يتطلب أخيراً مقابلة المدمنين ومحادثتهم سواء أكانوا مشردين في الطرقات أم عاكفين على المخدر في المحاشش أو مودعين في المأوى الاحترازي أو في المستشفيات يحظون بالعناية الطبية التي قد تخلصهم من الإدمان أم ملقين في غياهب السجون يقاسون ألوان العذاب ويعانون تباريح الانسحاب والانقطاع. كل ذلك ضروري جداً لفهم الإدمان والغوص في أعماق نفوس المدمنين والوقوف على أحوالهم

(129) شركة الهند الشرقية التي كانت تغذي التجارة الصينية ربحت تجارتها من تهريب الأفيون لها حتى أنها سنة 1875م هربت للصين ما قيمته 25 مليون دولار وعندما حرمت الصين استيراد الأفيون تكبدت الشركة خسائر فادحة وانقطعت أرباحها لذا دفعت الشركة الاستعمار البريطاني لشن حرب عدوانية على الصين آنها فيما عرفت بحرب الأفيون الأول.

الظاهرة ومشاعرهم الباطنة وطرق تفكيرهم، إذن ما هو الإدمان؟ وما أسبابه وما هي آثار الإدمان على المخدرات وأضراره؟ سواء أكانت آثار عامة تشترك فيها المخدرات كلها أم آثار خاصة بكل مخدر على حدة. هذا ما سنعالجه في الفروع التالية.

الفرع الأول: ماهية الإدمان:

الإدمان لغوياً كما جاء في المعاجم العربية كلسان العرب والصحاح هو الثبات على شيء أو ثبات الشيء على حالة واحدة، فقد قالت العرب إن إدمان الشيء هو الدوام عليه وأن مدمن الخمر هو الشخص المداوم على شربها، وأوردت كلمة (دمنه) المشتقة من (دَمَنَ) معاني كثيرة منها الحقد الثابت إلى الأبد، والمزجلة التي تبقى الزبالة فوقها، والعاهة الدائمة وأصلها عاهة- تصيب شجرة النخل فتعفن وتسود. وكل هذه المعاني تشير إلى دوام حالة معينة وثباتها. ويتبع هذا أن استمرار المرء على عادة خاصة متأصلة فيه وعدم استطاعته التخلص منها هو إدمان(130).

وهناك فرق بين حالة الإدمان على المخدرات وحالة الاعتياد. فالاعتياد على المخدرات حالة تنشأ من تكرار تعاطي المخدرات ولكنها ليست حاجة قهرية في الاستمرار في تعاطي المخدر ولا يوجد حاجة لزيادة الجرعة التالية من المخدر ويوجد اعتماد نفسي إلى حد ما ولا يوجد اعتماد جسمي وبالتالي لا توجد أعراض للامتناع عن تعاطيه والاعتياد ضار بالفرد أولاً، وهكذا نفهم أن حالة الاعتياد حالة غير مرضية ويمكن التخلص منها دون أعراض انسحاب وهي حالة تسبق حالة الإدمان ولا تصل في خطورتها حالة الإدمان ولكن الاعتياد هو الموصل للإدمان.

والأصل أن لدى الإنسان إغراءاً داخلياً باعتياد الأشياء ولا بأس لو أن الإنسان يعتاد الأشياء الحسنة فقط، ولكن الواقع أنه يعتاد أشياء تضر به جسدياً ونفسياً وخلقياً ولهذا نرى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد نهى عن الاعتياد فقال: (تعودوا ألا تتعودوا). ذلك لأن في العادة قدرة على الأسر ومن اعتاد شيئاً أصبح أسيره، وقد أشار المتنبي إلى ذلك فقال:

من عادته بث الشكوى ** والمرء وما يتعوده

أي المرء حصيلة عاداته

ولكن هذا التعود ذا أشكال عديدة، فهناك من يعتاد لوناً خاصاً من الثياب أو نوعاً خاصاً من الألعاب الرياضية أو سماع مغنية كأم كلثوم أو تعود سماع تلاوة على صوت قارئ معين، فمن هذه

(130) أنظر معنى الإدمان في مختار الصحاح ولسان العرب والمعجم الوسيط، الجزء الثاني، بيروت، 744م.

العادات ما هو نافع ومقوي للجسد أو مثقف للنفس والروح أو نافي للسأم والضجر يقابل ذلك من يعتاد التدخين والقمار والخمر وخلافه من العادات السيئة والمؤذية النقيضة للأولى[131].

بيد أن أسوأ العادات وأكثرها أذى هي عادة تعاطي المخدرات وهي أم العادات لهذا نعتبرها عادة خاصة ونفصلها عن العادات الضارة الأخرى ونطلق عليها اسم الإدمان. فحين نتكلم عن الإدمان وحيث يرد كلمة الإدمان في بحثنا إنما نعني به إدمان المخدرات. والسبب في ذلك أن اعتياد التدخين ولعب الميسر وبقية العادات الضارة يشكل عادة فكرية (Mental Habit) أو عاطفية (Emotional Habit) أو نفسية يمكن التخلص منها لأن الانسحاب لا تتبعه نتائج خطرة أو مرض شديد أو آلام مبرحة. أما إدمان المخدرات ولاسيما الأفيون ومستخرجاته فيكون عادة جسدية Physical Habit بحيث يصبح الجسد يعتمد في وجوده على المخدر وهذا ما يطلق عليه الاعتياد الجسدي Physical Dependence فإذا ما انقطع المدمن من تعاطي المخدرات أصيب بمرض شديد وتعرض لآلام هائلة قد تؤدي به إلى الموت، وذلك كنتيجة عفوية لما يحدث في الجسد من تغيير كيميائي يتعذر معه عودة الجسد إلى عمله الطبيعي في حال الانقطاع. إذن فالإدمان مسألة كيماوية وعليه يمكن تعريف الإدمان بالآتي:

(الإدمان هو تناول عقار ما لأجل الحصول على حالة نفسية خاصة أو التخلص من حالة نفسية أو جسمية معينة بحيث تزداد الحاجة إلى هذا العقار مع الاستعمال من جهة وتزداد الكمية اللازمة لبلوغ الحالة المطلوبة من جهة أخري بحيث يصبح عدم تناول العقار قضية مؤلمة لا يمكن تحملها إلا بتناوله. وتتفاوت تلك الحالة من حيث الشدة حسب نوع العقار وحسب شخصية المدمن وأوضاعه النفسية والاجتماعية والجسدية والعاطفية)[132].

وهناك تعريف آخر للإدمان بأنه: (حالة تسمم دورية أو مزمنة تلحق الضرر بالفرد والمجتمع وتنتج من تكرار تعاطي مخدر طبيعي أو مستحضر)[133]

الفرع الثاني: أسباب الإدمان ودوافعه:

(131) دكتور أكرم نشأت، مذكرة علم الاجتماع الجنائي، محاضرات القيت على الدورة 16 في المعهد العالي للتطوير الأمني والإداري، 1994م، بغداد.

(132) امتثال جريدي، عالم المخدرات، مطبعة دار القضايا، بيروت، الطبعة الثانية، 1978م، ص42.

(133) الدكتور سعد المغربي، الندوة الدولية العربية حول ظاهرة تعاطي المخدرات، القاهرة، 1971م، ص14.

إن أهم الدوافع إلى الإدمان هو الميل الداخلي في الإنسان إلى الاعتياد وسبق أن أوضحنا الفرق بين العادات المختلفة وبين الإدمان الذي هو عادة العادات والذي هو أسوأ العادات وأشدها خطراً. بيد أني لم أوضح بعد لماذا يعتاد بعض الناس تعاطي المخدرات. إن الميل إلى العادة سبب عام، فلا بد من وجود أسباب أخرى تدفع إلى بعض الناس دون غيرهم إلى إدمان المخدرات وهي أسباب علمية عديدة متنوعة أهمها هو:

1/ المعالجة الطبية:-

بعض المرضى تتطلب حالتهم المعالجة بالعقاقير المخدرة كالمورفين أو غيره من المخدرات لتخفيف الألم، فإذا شفوا من أمراضهم قد يتعلق بعضهم بالمخدرات التي شفى بها، ويستعملها كلما أحس بألم فيصبح مدمناً. والثابت أن بعض الأطباء أنفسهم يتعرضون للإدمان بهذه الطريقة لاسيما وأن المخدرات تحت تصرفهم وفي متناولهم ومنهم أيضا الأطباء النفسانيين من يستعمل المخدرات ليحس بأثرها ومفعولها فيجعله ذلك أقدر على معالجة مرضاه من المدمنين.

2/ حب الاستطلاع والفضول (Curiosity):-

وهذا ينطبق على الشباب خاصة، فالشباب في مرحلة معينة كما هو معلوم يكون حب الاستطلاع فيهم والفضول شديدين. فإذا سمع البعض منهم عن المخدرات والنشوة والأخيلة الجميلة التي تخلقها إندفع إلى تجربتها ظاناً أن تعاطيها مرة أو مرتين لن يؤثر فيه. وإن تركها أمر سهل، فلا يلبث أن يصبح من أسراها وهكذا يكون حب الاستطلاع والفضول والتعرض للتجربة (Experimentation) من أسباب الإدمان.

3/ الإخفاق في الحياة:-

بعض الناس تكون له آمالاً واسعة في الحياة وأهداف بعيدة يسعى إلى تحقيقها فإذا أصابه الفشل في سبيل ذلك وإذا تكرر الإخفاق وعجز عن تحقيق شيء مما يصبو إليه نفسه التجأ إلى شرب الخمور ومن ثم تعاطي المخدرات وهذا ينطبق على كثير من الطلاب الذين يقصرون في دروسهم فينشدون السلوى في عالم الإدمان.

4/ الاضطهاد الاجتماعي:-

من الناس من يتعرض للاضطهاد الاجتماعي في محيطه فيهمله المحيطون به ولا يقدرونه وقد يتحاملون عليه ويجرحونه، فتمتلئ نفسه حقداً على مجتمعه، ويدفعه ذلك الحقد إلى الانتقام. ومنهم من يلقى الاضطهاد وعدم التقدير لا من المجتمع فحسب بل من أسرته أيضاً فيحقد عليها

ويدفعه الحقد إلى الانتقام منها معاً. فيقدم على تعاطي المخدرات ظاناً أنه يؤذيها بذلك وقد يؤذيها فعلاً، ولكن إيذاءه نفسه يكون أعظم وأشد، فلا بد من الناقم على مجتمعه من أن يعبر عن الصراع الأساسي في نفسيته بطريقة من الطرق، فمن كان منهم ضعيف الشخصية!! التجأ إلى المخدرات ومن كان قوي الشخصية عنيفاً! انضم إلى حزب معادي أو حركة معينة معادية أو إلى معارضة غير مشروعة أو إلى عصابة مجرمين.

5/ المتاعب والهموم:-

أكثر الناس في هذه الدنيا لهم متاعبهم وهمومهم ولهم مشكلاتهم، ولا بد من التخلص منهما ولا بد من حل للمشكلات حتى تصبح الحياة معقولة. ولا شك بأن الذي يكافح ويجاهد حتى يحل مشكلاته ويخلص من همومه ومتاعبه يجد من بعد ذل راحة ويحس بجمال الحياة ومتعتها ولكن ضعاف الشخصية الذي لا يطيقون بذل الجهد. يفضلون حل مشكلاتهم والتخلص من متاعبهم وهمومهم بالطريقة السهلة فيلجأون إلى تعاطي المخدرات راجين أن يجدوا في عالم الإدمان ما يريحهم من كل ذلك فيصبحون من عبيد المخدرات.

6/ جلب الإثارة:-

تروج عن المخدرات أقوال كثيرة منها أنها تثير العواطف والمشاعر وتقوي الجنس وتكسب الإنسان فصاحة وذكاء ولهذا فإن الضعفاء الذين يتطلعون إلى القوة والأقوياء الذين يريدون أن يزدادوا قوة ومحبي الإثارة الزائدة كل أولئك يقبلون على تعاطي المخدرات وحيث أن المخدرات ترفع الحياء والخجل وتحل محلها وقاحة وجرأة واندفاع لذا قد يعتقد المتعاطي أنه حقق شيئاً مما أراد، ثم ما تلبث أن تتحطم أعصابه وتسوء صحته فيحصل عكس ما أراد.

7/ عشرة السوء:-

العادات التي يكتسبها المرء تتبع إلى حد بعيد الوسط الذي يعيش فيه، فإذا كان وسطاً أكثر ناسه يدخنون التبغ اعتاد التدخين، وإذا كان وسطاً يشرب أكثر ناسه الكحول اعتاد شربها، وإذا كان وسطاً أكثر ناسه يلعبون الورق ويقامرون اعتاد اللعب والمقامرة، وإذا كان يعيش في وسط أكثر ناسه لصوص غداً لصاً مثلهم. فالإنسان ابن بيئته كذا إذا كان يعاشر مدمني المخدرات اقتبس عنهم إدمانها وقد قيل:

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه ** فكل قرين بالمقارن يقتدي

يضاف إلى هذا أن المدمن ينشر الإدمان ونعني بذلك أنه يحب أن يرى غيره يشاركه في تعاطي المخدرات تماماً كما يحب شارب الخمر أن يجد من يجالسه يشربها معه، ولهذا قالوا أن

الإدمان معدي وهو قول صحيح إذا ما أخذناه بمعيار أن بائع المخدرات يخشى أن يبيع لغير المدمنين لئلا يفتضح أمره رغماً أنه يحب أن يُكثر زبائنه وتزداد بضاعته رواجاً، أما المدمن فلا يخشى الفضيحة خشية البائع، ولهذا نجد أن صغار المروجين يستخدمون في البيع المدمنين المفلسين وبذا يؤمن المدمن على حصته.

8/ الفقر والجهل:-

قديماً كان استعمال المخدرات قليل الانتشار وكان ثمنها باهظاً لذا كان مقتصراً على الأثرياء ثم أخذت المخدرات تزداد انتشاراً وأخذ الإقبال عليها يزداد وعدد المدمنين يتكاثر خاصة في القرن العشرين بعد اكتشاف الهيروين. ومع أن بعض الأثرياء لايزال يتعاطى المخدرات ولاسيما ما كان منها باهظ الثمن إلا أن أكثر المدمنين اليوم من الفقراء والجهلاء الذين يقبلون على تعاطي المخدرات لينسوا تعاستهم ومتاعبهم. ويشجعهم على ذلك جهلهم وعدم قدرتهم على إدراك مساوئ الإدمان إلا بعد فوات الأوان. وإذا كان تورد الفقراء والجهلاء في الإدمان مفهوماً فإن الشيء غير المفهوم هو تورط الأثرياء المرفهين المتعلمين الذي ليسوا بحاجة إلى المخدر لأنهم يستطيعون بأموالهم أن يحصلوا على مختلف المتع والاثارات الأخرى!!.

9/ المتاجرة وتجربة الصنف:-

كما أن بعض الأطباء يدمن المخدرات لأنها في متناول يدهم كذلك يفعل كثيرون من تجار السموم البيضاء. يضاف إلى ذلك أن التجار مضطرون إلى تذوق هذه السموم ليعرفوا أصنافها وليتأكدوا من أنها غير مغشوشة ومعلوم أن غش السموم البيضاء أمر سهل ولا يتطلب سوى إضافة شيء من كربونات الصودا أو السكر الناعم أو بودرة الأطفال. والتاجر لا يستطيع التفرقة بين المخدر النقي وبين المغشوش أو المضروب بمجرد النظر ولا يستطيع أن يلجأ بالشكوى إلى الشرطة بالطبع إن اكتشف أن المخدر مغشوش بعد شرائه، فلا بد له والحالة هذه من أن يتذوقه ليتأكد من نقاوته وخصوصاً إذا كان لا يعرف العميل أو يشك في أمانته.. وهل عند تجار المخدرات أمانة؟!! فغش المخدرات ليست جريمة في القانون لأن القانون يعاقب تداول المخدر نفسه وإحرازه وحيازته، لذا كانت تجربة الصنف يجعل كثيرون من باعة المخدرات مدمنين ونقصد بذلك على وجه الخصوص باعة السموم البيضاء دون سواهم.

10/ أشراك (شرك) تجار السموم وكمائنهم (Trape) (فخ):-

مما لاشك فيه أن كبار تجار المخدرات يودون أن يزداد عدد ضحاياهم حتى تزداد بضاعتهم رواجاً وتتضاعف أرباحهم. ولكنهم لا يستطيعون أن يعرضوا بضاعتهم على الناس علناً أو يقوموا

بالدعاية لها. أو يحاولوا بإقناع الزبائن بشرائها واستعمالها لأنهم لو فعلوا ذلك لتعرضوا للعقاب القانوني، فلا بد إذن من طرق أخرى تضمن لهم زيادة عدد المدمنين. ولهذا نجدهم يلجأون إلى مختلف أنواع الشرك أو الفخ لإيقاع الأبرياء وهي كثيرة يصعب تعدادها ومنها على سبيل المثال: وضع الكوكايين والهيروين في وردة يانعة عطرة وتقديمها لشاب أو شابة حتى إذا شمها أحدهما وانتشى بالمادة المخدرة تعلق بها وراح يلح في طلبها. كما أن بعض عصابات ومافيا المخدرات كانت تأتي بالشباب الوسيمين الأقوياء ويعطوهم السيارات الفارهة ويطلقونهم إلى الجامعات استدراجاً للطالبات الجميلات إلى أوكار العصابة (تماماً كما كان يفعل رجال عصابة تاجر المخدرات الأمريكي لوتشيانو)، فإذا كانت إحداهن قصيرة النظر سليمة النية وقعت في الشرك وانتهت إلى إحدى الأوكار حيث يضربها رجال لوتشيانو ثم يحقنوها بإبرة هيروين لإزالة الألم ولا يزالون يفعلون بها ذلك حتى تصبح مدمنة وعندئذ لا حاجة بهم للبحث عنها وجلبها بل هي التي تبحث عنهم لتستجدي المخدر، وإذا بلغت هذا الحد أعطوها ما تريد بشرط أن تشترك معهم في بيع المخدر وفي إيقاع الشباب في شركها وهو شرك المخدر كما أوقعها فيه أحد الشبان، وبهذه الطريقة أصبح لدى لوتشيانو جيش من الفتيات الجميلات والفتيان الوسيمين يعملون جميعاً في ترويج المخدرات وإغواء السليمين من الطلاب والطالبات[134].

11/ أوهام الأدباء والفنانين:-

يعتقد بعض الأدباء والشعراء والمغنين أو من يقرأ عنهم أو يستمع إليهم أن المخدرات تساعدهم على تحسين إنتاجهم الأدبي والفني لأنها توسع خيالهم وتفتح أمامهم آفاقاً جديدة بعيدة وتوحي إليهم بأفكار مبتكرة وهم في ذلك واهمون وما يؤيد ذلك أن كثيرين من الفنانين المشهورين في العالم سواء في السينما أو الغناء أو حتى في الرياضة تردنا أخبارهم بأنهم يتعاطون المخدرات وبعضهم يدمنها. فكثيرون منهم اتلفت المخدرات أعصابهم وطمست أفكارهم وقضت على نشاطهم فكانت النتيجة عكس ما كانوا يتوخون بل قضت على بعضهم أيضاً في شرخ الشباب، ذلك أن الأطباء يقولون أن مدمن السموم البيضاء لا يعيش بعد بدء الإدمان أكثر من خمسة عشرة عاماً.

فالمخدرات لا تساعد على الإنتاج الفني بل تقضي عليه وما يؤيد ذلك كم شعراء مشهورين لم يتمكنوا من إكمال قصيدة بداؤها قبل إدمانهم وكم من لوحات لرسامين مشاهير- كما يحدثنا التاريخ- رسموها في لحظة النشوة جاءت باهتة لأول مرة إلا أنها عندما أعطيت لمحللين نفسانيين

(134) امتثال جريدي، المرجع السابق، ص36.

أشاروا فيها لوجود حالة مرضية! فالفلاسفة والفنانين أنفسهم يقولون أنه لا يجوز استعمال المخدر من قبل عامة الناس لأن فيه قضاء تام على فعالية الإنسان ولذا يجب ألا يكون تعاطيهم المخدر مثلاً أعلى يقتدي به. فضلاً عن أن الهلوسة وفقدان الوعي لا يمكن أن يصنعان فكراً أو أدباً جيداً.

12/ الحرمان من العطف والحنان:-

وجد علماء النفس والاجتماع أن من اهم أسباب الإدمان هو التربية الخاطئة المتمثل في الحرمان من الحب والعطف والحنان في زمن الطفولة. فالحب والعطف والحنان شيء أساسي للإنسان لا يقل أبداً عن الغذاء فهو غذاء الروح ولهذا كان من واجب الآباء ألا يقسوا على أبنائهم سواء في البيئة العائلية أو البيئة المدرسية، وحتى ينهض قوياً في بيئة العمل. لأن الحب والعطف والحنان للطفل لا يقل أبداً عن الغذاء فهو غذاء الروح. كما يجب على الآباء ألا يخصوا بذلك بعض أبنائهم دون الآخرين، ولو كان بعض الأبناء ينشأ شرساً متمرداً، ذلك أن التربية الصحيحة للطفل يقوم على تدريبه ليوزان بين مطالب الأسرة من ناحية وحاجاته الضرورية من ناحية أخرى وكذا تحرير الطفل من قانون اللذة والألم وجعله يتبع قانون الخير والشر بالإضافة إلى اتباع الحزم المقترن بعطف في معاملة الطفل مع تجنب القسوة واللين. كل هذه من أساليب التربية الصحيحة والتي يمكن أن تحول ما عنده من شراسة وتمرد وعنف إلى مجاري صالحة تفيده في مستقبل حياته ويجنبهم حين يشبون الوقوع في أخطار عديدة أحدهما بل أسوأها تعاطي المخدرات(135).

هذه أهم أسباب الإدمان وهي الأسباب التي إذا أدمن الشخص بدافع من أحدها أو بعضها كانت معالجته ممكناً وكان شفاؤه ممكناً، بيد أن هناك سبباً آخراً أقوى من كل هذه الأسباب أعلاه مجتمعة.. وهو السبب الذي إذا أدمن الشخص بدافع منه كانت معالجته صعبة إن لم تكن مستحيلة وكذلك شفاؤه، وهذا ما يسميه علماء النفس بالشخصية المفككة. فما هي هذه الشخصية المفككة؟!

13/ الشخصية المفككة: Psychopathic/ Inadequate Personality:-

يطلق هذا الاصطلاح العلمي على الأشخاص الذين أظهروا منذ طفولتهم عدم انتظام مستمر في حياتهم وشؤونهم، وليس من الضروري أن يكون مفكك الشخصية ضعيفاً عقلياً، فإن كثيرين من المفككين كتاب وأطباء ومهندسون وفنانون ومن كبار الموظفين ومن المشاهير مثل الموسيقار واجنر الشهير والكاتب الفرنسي المشهور فولتير. فهناك صفات كثيرة إذا وجد في المرء أحدهما أو عدد

(135) الدكتور أكرم نشأت، علم الاجتماع، المرجع السابق، ص37.

منها أو كلها أصبح ذا شخصية مفككة، وهي مستويات. ولكن أهم تلك الصفات طبقاً لعلماء النفس هي الآتي[136]:

أ. **التقلب العاطفي:** أي يكره بسرعة ويحب بسرعة مع ميل إلى التهويل والأخيلة الغريبة.

ب. **عدم الاهتمام بالمعنويات والأخلاق الحسنة:** فنراه يعمل بموجب دوافعه الأنانية لا يرى ولا يعتبر سوى نفسه في كل الأحوال، ويتميز بصفات طفولية طائشة.

ج. **عدم القدرة على التحكم في العواطف والغرائز:** فبدلاً من أن يكون ذا شخصية تعمل بيسر وانسجام يصبح مجموعة من الظواهر الشخصية المتضاربة وينشئ ذلك في نفسه صراعاً خطيراً ينعكس على المجتمع بشكل سلوك عدائي ولا يجد في نفسه القدرة على مقاومة الإغراء وقلما يتعلم من تجاربه.

د. يرفض النصيحة إذا نصح ولا يفي بالوعد ولا يطيق النقد ويغضب إذا رأى الناس يراقبونه وإذا غضب لا يبالي بأية ألفاظ قبيحة ولا يكترث كثيراً لإيذاء شعور الآخرين، وسلوكهم يتنافى مع المسئولية والعرف والأخلاق.

هـ. الكذب والغش والتبجح والغرور الشديد والخيال الواسع. فقد يكون مفكك الشخصية محدثاً لبقاً يجد المتعة في رواية الأكاذيب والحكايات الملفقة ويتنقل في الأوساط الاجتماعية الراقية ويدعي التحدر من أصول عريقة ثرية ومن أوجه غروره وتبجحه إدعاء القدرة الجنسية الفائقة.

و. من صفاته الشذوذ والذي في أكثر الحالات ناتج عن سوء نمو الغدد وسوء عملها وقد يكون المفكك ذا شذوذ جنسي بمعنى أنه ليس من الضروري أن يكون مفكك الشخصية شاذاً جنسياً ولكن كل شاذ جنسياً هو بالضرورة مفكك الشخصية وهذا الشذوذ الجنسي يتكون معه في أثناء نموه منذ الصغر.

ز. تعتري المفكك نوبات من الهياج والانفجار العاطفي ونوبات من الشعور بالغم والكآبة وتكون تلك النوبات أحياناً بلا سبب ظاهر، وتكون أحياناً أخرى أشد كثيراً من أسبابها.

ح. الماسوخية والسادية: الماسوخي هو الذي يجد لذة في أن يعذب ويضرب ويهان وعكسه السادي، وقد يكون مفكك الشخصية ماسوخياً أو سادياً وقد يجمع النقيضين وهو في الغالب يجمعها لأن السادي إنما هو ماسوخي قديم تعرض لأذى الساديين واضطهادهم حتى إذا

(136) جورج درويتش وآخرون، علم النفس في خدمة الأمن، مقال منشور تحت عنوان سيكولوجية مدمن المخدرات، ترجمة لواء حسن طلعت عبد الوهاب، معهد الدراسات العليا لضباط الشرطة، القاهرة، ص186.

واتته الفرصة أو شعر بشيء من القوة أصبح سادياً، وراح يؤذي الآخرين تشفياً وانتقاماً، وهذا النوع من مفككي الشخصية يجد نفسه في عالم الإدمان مجالاً واسعاً له. فإذا كان ماسوخياً تلذذ بوخز نفسه بالإبرة عند إدخال المخدر ويجد المتعة في القسوة على نفسه وأحياناً في ألم الحرمان من المخدر، وإذا كان سادياً وجد لذته ومتعته في وخز الآخرين بالإبرة ورؤية دمائهم تسيل وأعصابهم تتشنج(137).

ط. مركب النقص ومركب العظمة: فكل صاحب شخصية مفككة يعاني من أحدهما أو المركبين معاً، فإذا عجز عن تحقيق مآربه في الحياة وأخفق ولم يستطع أن يحصل على محبة الناس أو يلفت أنظارهم إليه لجأ إلى إدمان المخدرات للتعويض عن ذلك، فإنه بتأثير المخدر يتخيل نفسه عظيماً ومحبوباً ويقنع نفسه أنه قام بأعمال مدهشة وبذلك يغطي النقص إن كان ناقصاً ويشبع غروره وحنينه إلى العظمة إن كان مصاباً بمركبها. بالإضافة إلى أن مفكك الشخصية فيه صفة عدم محبة الوالدين والتنكر لهما وقلة احترام مقامها(138).

يتضح مما تقدم أن كثيرين ممن يدمنون المخدرات إنما ينساقون سوقاً إلى الإدمان بسبب شخصيتهم الضعيفة المفككة ويقال أن المرء ذا الشخصية السليمة إذا أدمن المخدرات تفككت شخصيته، إذن كيف يكون حال المفكك ويقال أن المرء ذا الشخصية السليمة إذا أدمن المخدرات تفككت شخصيته، إذن كيف يكون حال المفكك قبل الإدمان إذا أدمن؟!! لذا اعتبرت الشخصية المفككة أقوى أسباب الإدمان.

الفرع الثالث: أثر الإدمان على المخدرات وأضراره:

هناك آثار خاصة بكل مخدر وآثار عامة تشترك فيها المخدرات جميعها حيث أن الآثار الخاصة بكل مخدر على حدة (قات/ حشيش/ كوكايين/ أفيون والعقاقير المستحضرة) تختلف كل واحدة عن الأخرى، وفي ذات الوقت يختلف أثر كل مخدر في حالة التعاطي عنه في حالة الانقطاع، وعليه فالآثار الخاصة بكل مخدر على حدة يبحث من ناحيتين أحدهما الأثر الذي يتركه كل مخدر في حالة التعاطي والآخر هو أثر نفس نوع المخدر في حالة الانقطاع. أما الآثار العامة فهي التي تشترك فيها المخدرات بصفة عامة وكلها تعتبر أضرار.

(137) الدكتور زكريا توفيق أحمد، دراسة نفسية لمتعاطي المخدرات، المؤتمر الإقليمي الثالث لمكافحة المخدرات، القاهرة، 12- 14، مارس سنة 1984م، ص6.

(138) الدكتور سعد المغربي، ظاهرة تعاطي الحشيش، دراسة نفسية اجتماعية، دار المعارف، القاهرة، 1936م، ص22.

أولاً: الآثار الخاصة:-

1/ أثر المخدر في حالة التعاطي:-

ونقصد بذلك الأعراض التي تظهر على متعاطي المخدرات، بمجرد تناول حاجته منها من نوع معين من المخدرات.. وهنا سأكتفي بتوضيح الأثر الذي يتركه الحشيش حال تعاطيه باعتباره هو الشائع لدينا في السودان.

لذا يختلف نمط السلوك المتأتي عن تدخين الحشيش اختلافاً واسعاً باختلاف الشخصيات وباختلاف طبيعة مركبات السيجارة المدخنة، حيث يشعر الفرد حال تدخينه بنوع من النشاط المعتاد ثم ما أن يلبث أن يصبح كثير الكلام والإيماءات أثناء الكلام دونما ضرورة ويبدأ يقهقه أو يضحك بشكل غير اعتيادي ثم يصبح ثرثاراً فيروي النكتة تلوى الأخرى وأكثرها تأتي نكتاً جميلة بارعة سرعان ما يتم تناقلها لذا اشتهر الحشاشون بنكتهم الساخرة[139]. وقد يتخيل الحشاش نفسه عظيماً أو أميراً أو ملكاً من أثر المخدر ويوجه النقد والنكت اللاذعة إلى الزعماء أو الرؤساء لأنه يحسب نفسه فوقهم وهو تحت التأثير. وعندما يستمر على تدخينه تحمر الأغشية المخاطية لباطن جفونه وترتخي هذه الجفون حتى أن التنسيق بين العضلات والشعور بالزمن والمكان يصيبها الخلل إلى حد بعيد، وكما تتضخم شخصيته في نظره كذلك تتضخم عنده الأشياء حتى ليظن أن حفرة ماء صغيرة في الشارع بركة كبيرة يخشى قطعها خوف الغرق، وقد يشعر حال التدخين أنه يرتفع عندما يحاول السير وقد يرفع قدميه أي أحداها إلى مسافات غير ضرورية وكأنه يخطو. ويفتح الحشيش شهيته فيشعر بالعطش والجوع معاً ويقبل على التهام الطعام ولاسيما الحلويات وعلى شرب السوائل وخصوصاً الشاي. والحشاش إذا ما اعتاد على الحشيش قد يصبح عرضة للهلوسات والهستيريا ويحدث له عجز مؤقت في الرؤيا والتنسيق في العمل العضلي ويفسد حكمه على الأمور. ومن علاماته البدنية أن عين المتعاطي وهو تحت تأثير الحشيش تكون ذات بؤبؤ جامد لا يتأثر تأثراً سوياً في تغيره أمام كثافة الضوء في الغالب، بمعنى ليس بإمكان المحقق أن يشخص متعاطي المارجوانا (الحشيش) تشخيصاً قاطعاً عندما يكون في حالته السوية إلا أن هناك مؤشرات معينة تكون خير عون للمحقق في هذا المجال. فقد يظهر على المتعاطي المستمر صفار في بشرته وخاصة حول عينيه، كما قد تكون عيناه جاحظتين كما يلاحظ وجود احتقان في أغشية جفون العين وتساقط الدموع أما تحليل البول فيكشف عن تعاطي الحشيش.

(139) تشارلز. أي. أوهارا، وغريغوري أل. أوهارا، أسس التحقيق الجنائي، الجزء الثاني، ترجمة نشأت البكري، بغداد، 1989م، ص8.

وسرعان ما يشعر متعاطي الحشيش بعد أن كان لطيفاً يرسل النكات بالدوار والميل إلى التقيؤ وبآلام في البطن وبالخمول فالنعاس وبدلاً من الشعور بالعظمة في البداية يشعر بالخوف والاضطهاد ويستولى عليه الجبن وبعد أن كان ثرثاراً طلق اللسان يصاب بالهذيان والتلعثم ويتلاشى الضحك والطرب ويحل محلها حزن شديد وشعور بالكآبة عميق(140).

ومع هذا فإن أثر قوة الحشيش في دفع المتعاطي إلى ارتكاب الجرائم الجنسية قد يساء فهمها إلى حد بعيد إذ أن الميل إلى ارتكاب الجرائم الجنسية يكمن في شخصيات المتعاطين والظروف المحيطة بهم أكثر مما يكمن في مفعول الحشيش، لأن الحشيش طبقاً للدراسات الطبية له أثر انهباطي في النشاط والرغبة الجنسية(141). ورغماً أن تعاطي الحشيش بالذات يعتبر عادة وليس إدمان إلا أن هناك إثباتاً محدداً بارتباط تعاطي الحشيش بتجربة تعاطي الهيروين بصورة عرضية بحثاً عن متعة أكثر.

2/ أثر المخدر في حالة الانقطاع Withdrawal:-

ونقصد بذلك الأعراض التي تظهر على مدمن المخدرات عند انقطاعه منها.

وهنا يكيف البدن نفسه إزاء التعاطي المتكرر للمخدرات خاصة المخدرات الأفيونية بحيث أن المدمن سرعان ما يجد أن كمية الجرعة المعتادة صارت لا تمنحه الرجع المتوقع وبهذا تكون زيادة الكميات من جرعات المخدر مطلوبة لمنح المدمن الانتعاش الذي يحتاجه أو حتى يحصل على الشعور البدني السوي فلا مناص من استزادة الجرعة وإتباعها تبعاً للتحمل المتزايد حيث يسعى البدن إلى إيجاد حصانة نسبية إزاء تأثيرات المخدر السمية ويجد المدمن نفسه بعد مرور وقت قصير قادراً على امتصاص كميات من العقار التي كانت في عداد الكميات القاتلة لو تناولها في أول الشوط. فالمدمن فيه عمى عن تأصل الإدمان فيه فيظن نفسه يحيا حياة طبيعية طالما أن المخدر متوفر لديه تحطم جسده ونفسه ولكنه تحطيم تدريجي وبطئ نسبياً، أما الانقطاع عنها فيحطمها تحطيماً سريعاً فلا يدرك المدمن حقيقة أمره ووضعه إلا إذا انقطع المخدر عنه(142).

وعندها يتعرض المنقطع لآلام جسدية ونفسية لا توصف. حيث أن أعراض انقطاع المدمن تبدأ بعد الانقطاع باثنتي عشرة ساعة وتكون بادئ الأمر خفيفة ثم ما تلبث أن تشتد وتأخذ الشدة في

(140) دكتور سعد المغربي، ظاهرة تعاطي الحشيش، دراسة نفسية اجتماعية، القاهرة، دار المعارف، 1963م، ص3.

(141) امتثال جويدي، المرجع السابق، ص52.

(142) امتثال جويدي، المرجع السابق، ص62.

التزايد حتى تبلغ ذروتها بعد اثنى عشرة ساعة أخرى، وحينئذٍ يصبح المدمن المنقطع مريضاً بالفعل وتظهر أعراض مرض الانقطاع عليه واضحة[143] وأهمها ما يلي:

أ. اتساع حدقة العين وتساقط الدمع تلقائياً وتهيج الأنف وتزايد الإفراز المخاطي.

ب. العرق الشديد وتجعد الجلد وظهور البقع الحمراء والقروح وانتصاب الشعر.

ج. فقدان الشهية والأرق وارتفاع درجة الحرارة وضغط الدم ونوبات من البرد والارتجاف.

د. اضطراب الأمعاء وتقلص المعدة تقلصاً يحدث قيئاً مختلطاً بالدم وإسهال والتهاب في الغشاء المخاطي للأمعاء الغليظة.

هـ. يلتوي حنكه ويشتد زعيقه وتعتريه كآبة وحزن عميق فضلاً عن آلام في الجسم ويعتريه بؤس نفسي قتال.

و. تتواتر أعصابه ويحس بقلق وعدم استقرار ويميل للعنف والاعتداء حتى على نفسه بالعض ويشعر بضيق في التنفس وألم شديد في مفاصله يقعده عن الحركة، وإذا لم يتم تداركه بالمخدر لفظ آخر أنفاسه وهو في سرير مرض الانقطاع.

لذا كان لا بد من معالجة الانقطاع بطريقة طبية خاصة تقي المدمن عاقبة تلك التجربة لذا اعتبر الإدمان مرضاً حتى في معظم قوانين المخدرات ذات التشريع الحديث ومنها قانون المخدرات السوداني، والمدمنون يجمعهم أمران: نشوة المخدر إذا وجد وآلامه إذا فقد. فالإدمان إذن طريقة من طرق الحياة!! أو بالأحرى عدم الحياة!!، إنه فلسفة خاصة ومبدأ فوضوي نهلستي خاص!!!. إن المدمن عبد للمخدر، إنه كالعبد الذي يحتاج سيده ويخضع له، يقبل يد سيده ويود لو يقطعها... يدعو له بالصحة والعافية وطول العمر وفي أعماقه يرجو له الهلاك!!! هذا أحد أسرار الصراع الذي يعصف بكيان المدمن ويتركه في حيرة وتردد بين تعاطي المخدر والانقطاع عنه... بين الموت البطيء وبين الفجائي!.

ثانياً: الآثار والأضرار العامة:-

نقصد بالآثار أو الأضرار العامة للمخدرات تلك الأضرار التي تشترك فيها المخدرات جميعها بصفة عامة.. فأضرار المخدرات كثيرة لا تحصى ولا تعد، خاصة إذا أحصيناً أضرار كل مخدر على حدة، فإذا أخذنا الحشيشة فقط يؤيدنا ما ذكره الإمام الشعراني في كتابه المنن: (في الحشيشة

(143) شارلز وغريغوري أورهارا، المرجع السابق، ص9.

120 مضرة دنيوية وأخروية) وقال الكماء: (إنها تورث أكثر من 300 داء في البدن كل داء لا يوجد له دواء) فما بال مجموع الأضرار الناجمة عن كل مخدر وعقار مخدر على حدة!(144).

فالمخدرات تلحق أضراراً بالفرد والمجتمع والاقتصاد الوطني وأهم الأضرار العامة التي تشترك فيها المخدرات والمؤثرات هي:

1/ المخدرات تضعف الجنس وتفسد الغريزة الجنسية وتسبب العنة:-

كثيرون يعتقدون أنها تقوي الجنس، وكثيرون من الدراسات تشير بأن المتعاطين يشعرون وهم تحت تأثير المخدرات برغبة في الاتصال الجنسي أقوى من المعتاد وبهياج جنسي أسرع من المعتاد، والواقع أن المخدرات توهن القدرة الجنسية ويقضي عليها بمرور الزمن مسبباً العنة والربط الدائم وذلك لتأثيره الضار على العصب السمبثاوي أما ما يلاحظه المتعاطون من زيادة الشهوة الجنسية فهو مجرد مظهر من مظاهر الانطلاق والتحرر من المثل والأعراف والأخلاق نتيجة تخدير أجزاء المخ العليا مما يزيل الحياء فيدفع بمتعاطيه إلى كل ما يزيل الحياء ويرفع الخجل مثل التحرش بالفتيات وارتياد أماكن ما كان ليرتاده في صحوه كمحلات البغاء السري أو العلني يصاب فيها بالأمراض الجنسية... أما أوضحنا أن المخدرات يقضي ويرفع الحياء والخجل والتدبر في عواقب الأمور!! وذلك على نهج (وإن لم تستحي فأفعل ما تشاء).

فأثر المخدر برفع الحياء حتى من صاحب الطبع المستحي هو الذي يعتقده ويفسره البعض بأنه يقوي الشهرة الجنسية.

فقد سجل الأطباء الذين يعالجون مدمنوا المخدرات أنه لتعاطي المخدرات أثر في تنبيه الأعصاب واستمرار التنبيه الحادث من الإدمان فترة يسبب ضعفاً في أعصاب المدمن، ونظراً للعلاقة الوثيقة بين الجهاز العصبي والتناسلي يسبب ذلك الضعف وهنا في القوة الجنسية وقد ينتهي ذلك في حالة التسمم المزمن بالمخدرات إلى العنة(145).

وقد يكون الضعف الجنسي بصورة عجز في الانتصاب أو فقد للاشتهاء الجنسي مما قد يلقي تبعة عجزه الجنسي دون استيحاء أيضاً.. على زوجته مما قد يحدث الطلاق معه، لذا نرى كثرة تعاطي المخدرات لدى المتزوجين حديثاً حيث يوصف لهم ذلك من قبل أصدقائهم بحجة أنها تمنع

(144) القاضي باقر خليل الخليلي، الخمر حرمتها الشرعية وأضرارها، مطبعة العمال، بغداد، 1987م.

(145) المستشار أحمد محمود خليل، جرائم المخدرات، المرجع السابق، ص23.

القذف السريع خاصة في الليالي الأولى من شهر العسل، ولكنهم يفعلون ذلك بسبب الربط الذي يحدث للمتزوج حديثاً إبان أيامه الأولى[146].

وفي حالة الهيروين على سبيل المثال يشعر المدمن وهو يغرز الإبرة في عروقه أنه يقوم بعملية جنسية ويكتفي بها، والمشاهد أن المدمن إذا وجد مع امرأة في غرفة واحدة ينصرف عنها وينهمك في إعداد وجبة من المخدر. فالمخدرات تقود للإدمان والمدمن يصاب بالاضطراب الجنسي وتسبب له الصعوبة في تنظيم رغباته وعلاقاته الجنسية (المشروعة) عقداً نفسية على مستوى عقدة أوديب[147] يصاب معه بالشذوذ الجنسي.

2/ المخدرات تضعف الجسم وتحطمه:-

لاشك أن إدمان المخدرات يحطم الجسد فيهزل وينحل ويتداعى لفقده الشهية وللاعتماد الجسدي على المخدر حيث أن المخدرات تؤثر على الجهاز العصبي المركزي ومن ثم تضر بالأعصاب والنفس والعقل وتسبب انقسام في شخصيته ومن ثم الجنون كما تضعف العضلات وجهاز المناعة في الجسم.

3/ المخدرات تهدم الأخلاق:-

تنحط همة المدمن وتنحل عزيمته ولا يعود للمثل تأثر فيه ويشتم ويغازل بوقاحة ويصبح متحللاً من المسئولية والأدب ولا يهمه أن يستجدي ولا أن يتبع الوسائل الخسيسة في الحصول على المال لتأمين المخدر، فالمتفق عليه أن أخلاقه تنحل انحلالاً تاماً وقد يرجع بعض هذا الانحلال الخلقي إلى وضع الشخص المادي والاجتماعي والعلمي والثقافي وحالته قبل الدخول في عالم المخدرات، وعلى سبيل المثال إذا جاء المدمن من وسط فقير جاهل غير مثقف وأدمن، ظهرت فيه هذه الصفات بشكل أكثر وضوحاً.. فالمخدرات تضعف الرادع الأخلاقي.

4/ المخدرات تدفع إلى الإجرام:-

هناك اختلاف بين إجرام المخدرات بالمقابلة مع جرائم المخدرات فالثابت أن المخدرات تدفع إلى ارتكاب جرائم المخدرات وتعني به كل ما يخالف قانون المخدرات من تعاطي وتجارة وحيازة وإحراز وخلافه مما جرمه القانون, أما إجرام المخدر فنعني به الآثار غير المباشرة التي تتمثل في

(146) امتثال جويدي، عالم المخدرات، المرجع السابق، ص18.

(147) عقدة أوديب اكتشفه فرويد وهي ناجمة عن عشق الابن لامه مع كره الأب بسبب الغيرة وعكسها عقدة الكترا Electr وهي ناجمة عن عشق البنت لأبيها مع كره الأم بسبب الغيرة.

السلوك الإجرامي والأنحرافي من المتعاطي نفسه ضد أفراد المجتمع، أو من المهربين وتجار المخدرات وما يصدر منهم من مقاومتهم لسلطات الضبط والتعدي عليهم.

أما أن المخدرات تدفع بالمتعاطين والمدمنين إلى ارتكاب الإجرام غير جرائم المخدر فهذه مسألة تعود إلى حالة المدمن ونفسيته في الإدمان فإذا كانت فيه نزعة الإجرام، ظهرت بتأثير الإدمان واشتدت. فكل مجتمع فيه مجرمون ونزعة أو دوافع إلى الإجرام وإن كان أفراده لا يتعاطون المخدرات. ولكن إدمان المخدرات من طبيعته أن يدفع المدمن إلى الإجرام إذا لم يجد النقود لتأمين أو شراء المخدر، فأنه في هذه الحالة يقدم على شيء يحقق له الوصول إلى المخدر فقد يسرق أو يشتغل في الدعارة وقد يقتل من أجل المال الذي يؤمن له المخدر بمعنى أنه يرتكب جرائم الأموال ولكن ذلك لا ينطبق إلا على المدمنين المفلسين. ومع ذلك المخدرات تدفع إلى الإجرام مثل جرائم العنف أحياناً والتعدي الذي ينشأ من المهربين وتجار السموم عند مقاومتهم القبض عليهم متلبسين[148].

5/ المخدرات تنشئ أعضاء في المجتمع غير عاملين وتلحق أضرار بالفرد والأسرة والمجتمع:-

مدمنوا المخدرات تضعف أجسادهم وتهزل فيفقدون الحيوية والنشاط، وتنحط هممهم فلا تبقى لهم في الحياة أهداف يسعون لتحقيقها فيصابون بالنسيان وضعف الذاكرة وفقدان الإدراك وعدم التركيز فيهملون الواجبات ويعجزون عن تنفيذ الأوامر وهكذا يصبحون أعضاء في المجتمع غير عاملين وتكون خسارة المجتمع فيهم كبيرة[149]. أما بالنسبة للأسرة فالمتعاطي ينفق دخله على المخدرات، فلا يتبقى لأسرته شيء لإشباع حاجياتها الأساسية الأمر الذي قد يدفع أفرادها إلى الخروج على القانون فبدلاً من أن يساهم أفراد الأسرة في رفع عجلة التنمية، يتحولون إلى عوائق في طريق التقدم.

فالإدمان صفة من صفات الشخصية غير القادرة على التكيف والانسجام مع المجتمع، فمن صفات المدمن أنه غير مسئول مثير للمتاعب وهو الشخص الذي يفعل أولاً ثم يفكر، فالبؤس في الحياة والمتاعب من أسباب الإدمان لا كل أسبابه، لذا صعب جداً أن نضع قاعدة عامة ونطبقها على الإدمان والمدمنين جميعاً، فلكل مدمن وضعه الخاص وأسبابه الخاصة ودوافعه أو ظروفه الخاصة التي أوقعته فيه.

(148) دكتور عبد المنعم محمد بدر، مشكلة المخدرات، الطبعة الخامسة، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، 1987م، ص23.

(149) مقدم حمدي محمد شعبان وآخرين، ظاهرة المخدرات ودور الشرطة في مكافحتها، المرجع السابق، ص82.

ولكن الثابت أن الأضرار التي تصيب الفرد من جراء الإدمان على المخدرات لا بد أن تنعكس آثاره على المجتمع بصفة عامة، خاصة إذا تحول تعاطي المخدرات من مجرد حالات فردية إلى ظاهرة اجتماعية عامة يضم عدداً واسعاً من المجتمع فتؤدي إلى انخفاض في مستوى الإنتاجية للشعب بصورة عامة بسبب الشلل الذي أصاب قطاعاً واسعاً من المجتمع وذلك يؤدي تبعاً إلى زيادة عدد أفراد المجتمع الذي لا يتعاطون المخدرات عن الوظائف الإنتاجية المباشرة لوظائف غير إنتاجية مثل رعاية المدمنين في المستشفيات وحراستهم في السجون ومطاردة المهربين.

6/ المخدرات تخرب الاقتصاد الوطني ويشكل خطراً على الأمن القومي:-

إن الاقتصاد القومي يفقد سنوياً ملايين الجنيهات ثمناً لأطنان المخدرات التي تهرب إلى الداخل حيث أن التهريب في حد ذاته يضر بالاقتصاد القومي حتى في السلع المسموح تداولها قانوناً فما بالها في السلع المحظورة تداولها والمجرمة قانوناً. فالمخدرات الغير مشروعة أو الغير مستعملة للأغراض الطبية تدخل عن طريق التهريب كسلعة ضمن سلع الدولة المقابلة لكمية النقود المتداولة بها بينما هي في الأصل ليست سلعة مما قد يصيب الاقتصاد معه التضخم والانكماش (مضار الاقتصاد) ويرتفع معه الأسعار.

يتضح من ذلك أن استيراد المخدرات وسداد قيمتها بالعملة الصعبة (العملات الأجنبية) يؤدي إلى مشكلات رئيسية في الاقتصاد السوداني أهمها[150]:

1. إن استيراد المخدرات يتم بدون تحويل عملة (مع التسليم بعدم مشروعيته) بمعنى أن استيراده يعتبر تهريب للعملة الصعبة للخارج.
2. إن استيراد المخدرات بالعملة الأجنبية يعني عجزاً في ميزان المدفوعات، حيث يعني ذلك خروج العملة دونما يقابل قيمتها سلعة مستوردة وثم يعد ذلك عجزاً في الموازنة العامة أو ميزانية الدولة.
3. إن استيراد المخدرات بالعملة الأجنبية يؤدي إلى خفض قيمة الجنيه السوداني وذلك لخضوعه للعرض والطلب.

وتفسير ذلك أن تجار المخدرات يحتاجون سنوياً إلى مئات الملايين من الدولارات لاستيراد المخدرات، لذا يشترون الدولارات بأي سعر بالجنيه السوداني من السوق السوداء أو من السودانيين

(150) إن تجار المخدرات يتعاملون بالدولار الأمريكي، ومتوسط سعر كيلو الحشيش 2300 دولار وكيلو الهيروين 150 ألف دولار وكيلو الكوكايين 130 ألف دولار وكيلو الأفيون 13 ألف دولار ومتوسط سعر الحبة المخدرة الواحدة 3 دولارات علماً أن هذه الأسعار هي أسعار التجارة الدولية غير المشروعة طبقاً لما جاء في النشرة الأسبوعية عدد 1984/49م لمنظمة الانتربول.

العاملين في الخارج مما يؤدي إلى تدهور رهيب في قيمة الجنيه السوداني، وبذا ينهار الجنيه وتزداد الديون وتتفاقم الآثار السيئة للمخدرات.

إن الإدمان على المخدرات يعمل عكس ما يقول به قانون الكفاية الحدية وهو مصطلح اقتصادي يعني في صورته المبسطة عدد وحدات السلعة التي تكفي لإشباع حاجة الشخص. وعلى ذلك فإن حاجة الإنسان على سبيل المثال من التفاح تتناقص عند تناوله التفاحة الأولى ويستمر في التناقص مع التفاحة الثانية فالثالثة حتى يبلغ الصفر عند إشباع حاجته منه ونقطة الصفر هذه هي ما نعنيه بالكفاية الحدية. وهنا نشير أن إشباع حاجة المدمن من جرعات المخدر تسير بعجلة تزايدية مع كل تعاطي خلافاً لقاعدة الكفاية الحدية في تناقص المنفعة.

وعلى أية حال فإن الشخص المتعاطي- فضلاً عن المدمن- يكون عبئاً بل وخطراً على نفسه وعلى أسرته وعلى جماعته وعلى الإنتاج وعلى المجتمع بل فإنه يشكل خطراً على الأمن القومي والمصالح العليا للدولة وذلك بسهولة تجنيده في شباك التجسس لحساب قوى معادية[151]. حيث أثبتت بعض الدراسات أن ولاء المتعاملين مع المخدرات وخاصة المهربين للمخدرات قد فاق في كثير من الأحيان ولاءهم لأوطانهم[152].

هذه أهم الأضرار العامة للمخدرات ولكن هناك أضرار أخرى نختصرها في أن المخدرات تؤدي إلى موت عاجل، وهي سلاح للاستعمار لا تقتل فقط من تصيبه وإنما تقتل أيضاً من يأتي بعده من جيل الأبرياء فالمخدرات لا يقل فتكاً وتدميراً عن أي سلاح حديث عرفته الحروب المعاصرة ويزيد من خطورتها أنها سلاح غير مشهر. كما أنها تهدد الحياة الزوجية للخطر وتؤدي إلى تفكك أسرة المدمن لها فضلاً عن أضراره الدينية في أنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وتورث العداوة والبغضاء ويكون الشخص مكروه دنيا وآخرة.

فيمكن تشبيه أضرار التعاطي وأضرار الانقطاع عن المخدر بحالة أشخاص تحيروا خلال الحرب في الوقوف بين دولتين عدوتين ينتمون إلى احداهما بالميلاد وإلى الأخرى بالإقامة، فكان من قدرهم أن عوملوا كأعداء من إحدى الدولتين أولاً، وعندما أسعدهم الحظ بالهرب منها، عوملوا أيضا كأعداء في الدولة الأخرى!!

النتـائـــج :

أثمرت هذه الدراسة النظرية العديد من النتائج أهمها ما يلي:-

(151) دكتور عبد المنعم محمد بدر، مشكلة المخدرات، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، 1987م، ص22.

(152) دكتور محمد نيازي حتاته، الاتجار بالمخدرات وأثره على الأمن القومي، دار المعارف، القاهرة، 1971م، ص166.

1. أن المخدرات موجودة في المجتمع السوداني وأن أكثر أنواعها انتشاراً هو الحشيش، وأن مكافحة مشكلة المخدرات في السودان- وفي أي مكان آخر من العالم. ليست مسئولية جهاز الشرطة فحسب- كما يعتقد البعض- ومن هنا نتبنى مفهوم الاتجاه التكاملي في المكافحة. ولكننا مع هذا لا نستطيع أن نغفل الدور الحيوي للشرطة وهو الدور الأقوى والأنفذ تأثيراً.

2. إن تعاطي الحشيش عادة نفسية وليس إدماناً لأن متعاطيه لم يظهر قوة تحمل بدني بميله بزيادة الجرعات التالية بينما إمارات التوقف والانقطاع عن تعاطيها لا تصحبها أعراض بدنية شديدة. وخطورة الحشيش في تعاطيه فقط. وهي مادة مهلوسة وقد تؤدي إلى الجنون طبقاً لشخص متعاطيه. وخطورة تعاطي الحشيش أن هناك إثباتاً محدوداً بارتباط تعاطيه بتجربة تعاطي الهيروين بصورة عرضية بحثاً عن متعة أكثر.

3. صعوبة وضع تعريف محدد للمادة المخدرة في التشريع وليس في الفقه، وصعوبة وضع تقسيم وتصنيف محدد لها أيضاً وذلك لخواص بعض أنواع المخدرات من حيث تأثيرها على النشاط العقلي أو من حيث وجودها وحسب مصدرها.

4. إن التشريعات مع إجماعها على حظر الاتصال بالمواد المخدرة إلا أنها تقر ضرورتها وتجيز الاتصال بها للأمور الطبية والعلمية، لذا ليست بالضرورة أن تكون مقدار أي مادة مخدرة تضبط تعتبر ركناً في جريمة المخدرات.

5. صعوبة وضع معيار محدد أو قدر معين من المخدر المضبوط والذي يقع تحت طائلة التجريم فيما يمكن اعتباره أهو للتعاطي أم هو للإتجار غير المشروع.. وتلك مسألة متروكة لتقدير القاضي من ظروف كل قضية، فضلاً عن خطورة هذا التعيين وذاك التحديد في لجوء المهربين والتجار إلى تهريب القدر الأقل من القدر المحدد للإدانة في جريمة الإتجار بالذات كذريعة للهروب من عقوبته (م15).

6. إن إضرار المخدرات الخاصة تنحصر في أثرين فقط الأول: أثر كل مخدر في حالة التعاطي والثانية: أثر كل مخدر في حالة الانقطاع، والذي حتماً الإدمان في هذه الأخيرة إذا كان التعاطي أخذ طابع العادة. وهذين الأثرين هما الذي ينتج منهما الأضرار العامة أو المشتركة للمخدرات جميعها.

7. إن أسباب الإدمان كثيرة وتكون بدافع من أحد تلك الأسباب أو بعضها وتكون معالجته (علاجه) وشفاؤه ممكناً منها. ولكن هناك سبب آخر أقوى من كل تلك الأسباب مجتمعة وهو: الشخصية المفككة: التي هي أقوى أسباب الإدمان وهو: الذي يدمن بدافع من نفسه حيث تكون معالجته وشفاؤه صعباً إن لم يكن مستحيلاً.

8. يجب التفريق بين جرائم المخدرات وإجرام المخدر ونعني بالأولى الجرائم الواردة تحت طائلة قانون المخدرات والمؤثرات العقلية لسنة 1994م أما الثانية: فنعني بها الجرائم التي ترتكب تحت طائلة القانون الجنائي (العقوبات) والقوانين الأخرى بدافع أو سبب المخدرات أو تحت تأثيره أو الآثار غير المباشرة التي تتمثل في السلوك الإجرامي من المتعاطي ضد المجتمع، أو من المهربين والتجار وما يصدر منهم من مقاومتهم الشرطة والتعدي عليهم وخلافه.

9. إن مفهوم الحيازة في القانون المدني هو غير مفهوم الحيازة في قانون المخدرات والمؤثرات وذلك باختلاف محل الحماية في كل.

10. إن الدراسة أثبتت أن الخمر من المخدرات المسكنة غير الأفيونية، وأنها أي المخدرات قد نهى عنه النبي (ص) بقوله (تعودوا ألا تتعودوا) (وكل مسكر خمر وكل خمر حرام) حيث أن مدلول لفظة الخمر لغة هي الستر وأصل كلمة مخدرات في اللغة من الفعل خدر (من الفعل) أي ستر والستر في كليهما يعني أنها تخمر العقل وتستره هذا فضلاً إلى من يرى من الفقهاء أن المخدرات تعتبر خمراً لفظاً معنى، هذا بالإضافة إلى أن مدلوله من خصائص الشريعة الإسلامية والمصادر المعتبرة (المعروفة) التي أشارت إليها نصوص القرآن والسنة كافية لاشتراكهما في علة التحريم، لذا أوضح البعض الآخر من الفقهاء أن المخدرات محرمة قياساً. وقد ذهب الإمام ابن تيمية إلى أن الحشيشة حرام يحد متناولها كما يحد شارب الخمر. ومنه نصل إلى نتيجة أساسية هي أن المخدرات في غير الأغراض الطبية والعلمية محرمة شرعاً. إذ أن التشريعات الوضعية تجرمه فما بال الأديان والشريعة الإسلامية، فإنها تحرمه بالطبع.

11. إن الإدمان ظاهرة وليس سبباً، ولذلك لا يمكن اعتماد هذه الظاهرة أساساً لمعالجة المشكلة خاصة وأن هناك صعوبة في معرفة إحصاء بعدد المدمنين.

12. جرائم المخدرات عموماً وفي السودان بصفة خاصة لم تحظ ما حظيت بها جرائم القانون الجنائي من دراسة قانونية رغم خطورتها ورغم تواجدها في المجتمع السوداني تعاطياً وتجارة.

التــوصيـات :

1. إن قانون المخدرات السوداني لسنة 1994م لم يرد فيه شيء لضمان سلامة تطبيق القانون فيما يتعلق بحماية القائمين على تنفيذه لما لوحظ من تعرضهم للخطر أثناء القيام بواجباتهم في ضبط جرائم المخدرات فلم يرد شيء عن تشديد العقوبة على كل من يتعدى عليهم أو يقاومهم بالقوة أياً كان نوعها أثناء تأدية وظيفتهم أو بسببها خاصة أن تجار المخدرات والمهربين يتوقع منهم كل ما يمكنهم من الفرار والإفلات من قبضتهم متلبسين.

لذا نوصي بكل ما يضمن الحماية ويشدد العقوبة بإضافة نص صريح في القانون (قانون المخدرات) بهذا الخصوص.

2. نوصي بوضع خطة قومية طويلة المدى لمكافحة المخدرات ووقف التزايد المستمر لظاهرة المخدرات في المجتمع تهريباً وتعاطياً إلى أقل قدر ممكن وتقسيم هذه الخطة إلى خطط فرعية قصيرة المدى وتكليف كل جهة مختصة بما يخصها في هذا المجال على أن تقوم اللجنة القومية لمكافحة المخدرات بمتابعة تنفيذ الخطط الفرعية وعلى ضوء نتائجها تضع استراتيجية عملها للمدى البعيد.
3. في المجال القضائي والعدلي نوصي بتوحيد المفاهيم لدى أعضاء النيابة والقضاء في المجال التشريعي كما نقترح فيما يتعلق بالمحاكم المختلفة التي تنظر في قضايا المخدرات أن تخصص دوائر خاصة أو محاكم جنائية محددة لتنظر هي فقط في قضايا المخدرات وهذا من شأنه أن تجعل هذه المحاكم تكتسب التخصص والخبرة والمهارة اللازمة في هذا المجال. فضلاً أن ذلك يحقق الفصل في قضايا المخدرات على وجه السرعة التي لها أهميتها في المكافحة، ولذات الغرض نوصي بإنشاء نيابات متخصصة للمخدرات ومن ثم التوسع فيه.
4. تكثيف نشاط الشرطة في المكافحة مع تركيز النشاط في المحافظات أو الولايات التي توجد فيها زراعة البنقو (الحشيش) للقضاء على تلك المزارع مع إحلال الزراعات البديلة وأيضاً تشديد الرقابة على الحدود السودانية الموانئ والبحرية والنهرية والمطارات.
5. اعتناء الدولة بالأندية الاجتماعية والثقافية في الأحياء وألا تقتصر المناشط فيها على ألعاب الأطفال فقط كما هو الشائع بل يجب أن تتضمن مناشط لكل الفئات العمرية.
6. محاربة البطالة وملء أوقات فراغ الشباب في الإجازات ببرامج عمل مثمرة مع قيام جمعيات شبابية لمحاربة المخدرات.
7. إدخال نظام استخدام الكلاب البوليسية في الكشف عن المخدرات خاصة في المطارات والموانئ كمرحلة أولى وأماكن السيطرات (المنافذ) بين الولايات المختلفة وبين ولاية الخرطوم باعتبارها أكثر استهلاكاً للحشيش من غيرها من الولايات.
8. تنمية الشعور الديني والوطني والاجتماعي لدى المواطنين في مجال الوقاية من المخدرات والتوعية بأضرارها العامة والخاصة.
9. الاهتمام بدور الخدمة الاجتماعية في الجامعات والمعاهد والمدارس والمؤسسات والمصانع لمساعدة الطلاب والموظفين والعمال في حل مشكلاتهم الاجتماعية والنفسية.

10. في إطار قانون المخدرات السوداني الجديد نرى أن تقوم اللجنة القومية للمخدرات بالتعاون مع النيابة والشرطة بوضع خطة عمل بالمكافحة تتعلق أهدافها بغسل الأموال واقتفاء أثر متحصلات الإتجار غير المشروع بالمخدرات وضبط هذه الأرباح ومصادرتها، حيث أن غسل الأموال يسهل إضفاء صيغة شرعية على هذه الأرباح، لذا نوصي أن تتضمن هذه الخطة على استراتيجيات لاتخاذ إجراءات سريعة مثل:

أ. توفير التدريب والمساعدة التقنية للشرطة والنيابة وعمل نيابات متخصصة والاهتمام بإعداد وتدريب العاملين في مجال المكافحة إعداداً وتدريباً تخصيصاً ودعم أجهزة المكافحة بوسائل الاتصال وحركة متطورة.

ب. يركز التدريب على تقنيات متخصصة ومتطورة للتحري عن متحصلات الجرائم المتعلقة بالمخدرات واقتفاء أثرها ثم مصادرتها في نهاية الأمر، والغرض هو توعية المسئولين في مجال إنفاذ القانون وتدريب المحققين على الطرق الواجب إتباعه.

ج. الاستفادة من الخدمات الاستشارية التي توفرها اليونسيف من أجل التوعية بمشاكل غسل الأموال وكذا من الجهود الدولية الأخرى في هذا المجال.

المـراجـع والمصـــادر

1. القرآن الكريم.

1. دكتور أكرم نشأت، علم الاجتماع الجنائي، محاضرات ألقيت على الدورة 16 في المعهد العالي لقوى الأمن الداخلي سنة 1994م، ومحاضرة ألقاها في كلية الحقوق بتاريخ 1994/12/5م.
2. امتثال جويدي، عالم المخدرات، الطبعة الثانية، دار القضايا، بيروت، 1978م.
3. دكتور ادوارد غالي الذهبي، جرائم المخدرات، المكتبة الوطنية، القاهرة، 1973م.
4. أنور العمروسي، المخدرات، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1973م.
5. المستشار أحمد محمود خليل، جرائم المخدرات، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، 1982م.
6. دكتور أحمد محمد خليفة، مشكلة المخدرات، مجلة الأمن المصرية، العدد (60).
7. حمدي محمد شعبان وآخرين، ظاهرة المخدرات ودور الشرطة في مكافحتها، بحث من مستلزمات الحصول على الدبلوم العالي للعلوم الجنائية من أكاديمية الشرطة المصرية، القاهرة، 1986م.

8. دكتور حاكم عبد الرحمن، واقع حجم مشكلة المخدرات في السودان، تقرير مقدم إلى المؤتمر العربي الدولي الثالث لمكافحة الإدمان على المخدرات والمسكرات المنعقد بالخرطوم سنة 1977م.
9. دكتور زكريا أحمد توفيق، دراسة نفسية لمتعاطي المخدرات، قدمت للمؤتمر الإقليمي الثالث لمكافحة المخدرات، القاهرة 12- 14 مارس 1984م.
10. دكتور رؤوف عبيد، شرح قانون العقوبات التكميلي، الطبعة الثانية، مطبعة نهضة مصر، 1965م.
11. تشارلز وغريغوري أوهارا، أسس التحقيق الجنائي، الجزء الثاني، ترجمة لواء نشأت البكري، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1989م.
12. القاضي باقر خليل الخليلي، الخمر حرمتها الشرعية وأضرارها، مطبعة العمال، بغداد، 1987م.
13. دكتور صباح كرم شعبان، جرائم المخدرات، مطبعة الأديب، بغداد، 1984م.
14. دكتور طه بعشر، ورقة عمل حول تعاطي المخدرات، وزارة الثقافة والإعلام، مركز الوحدة والإعلام هانس زايدال، الخرطوم، 1988م.
15. دكتور عماد الدين سلطان، مختصر الدراسات للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، الجزء الثاني، 1986م.
16. دكتور عباس الحسني، شرح قانون العقوبات العراقي، الطبعة الثانية، بغداد، 1972م.
17. دكتور علي راشد، القانون الجنائي، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، 1974م.
18. دكتور عوض محمد، قانون العقوبات الخاص، المكتب المصري الحديث للطباعة القاهرة، 1966م.
19. عبد الوهاب عبد الرازق التحافي، مشكلة المخدرات في الوطن العربي، بغداد، 1979م.
20. دكتور عبد الحليم محمد السيد، دور الإعلام في الوقاية من مشكلة المخدرات، بيروت، 1972م.

ملامح الدلالات التاريخية والثقافية لبعض أسماء المدن والأماكن بالسودان

د. الطاهر حاج النور أحمد **د. ادم محمد حسن ابكر**

الأستاذ المشارك قسم التاريخ جامعة زالنجي الأستاذ المساعد قسم التاريخ جامعة نيالا

المستخلص :

سعت الدراسة من خلال العرض إلى توضيح دلالات الأسماء مستندة على الجوانب التاريخية والثقافية والمتعلقة ببعض المناطق والأماكن في السودان، كما ركزت الدراسة على أسس ودلالات تسمية المكان الجغرافي والاستشهاد بما أورده المؤرخون والرحالة العرب ودورهم في دراسة الأسماء الجغرافية والعلاقة بين أسماء الأماكن والوصف الطبوغرافي والبيئة المحيطة بها كما أوردت الدراسة نماذج لبعض المؤثرات البيئية فى تسمية المكان والنعوت الشائعة الانتشار وأثر التحركات السكانية على تسمية بعض الأماكن.

Abstract:

The study sought through the display to clarify the semantics of names based on the historical and cultural aspects relating to certain areas and places in Sudan, as the study focused on the foundations and implications of naming geographical location and martyrdom as reported by historians and Arab travelers and their role in the study of geographical names and the relationship between place names and descriptions topographic and surrounding environment the study also cited examples of some of the environmental effects in the naming of the place and common adjectives Alanchar and the impact of population movements on naming some places.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة الحالية من عدة اعتبارات.

1- ترابط لغة الأسماء والأماكن مع ثقافة الأرض والرموز المعبرة لدلالة الاسم على المسمى، أمراً جدير بالبحث والدراسة.

2- تمثل الدراسة إبراز مكانة الدلالات التاريخية والثقافية لبعض أسماء المدن والأماكن بالسودان.

3- إبراز مساهمة الدلالات للأسماء قد يلعب دوراً في الحلول السلمية للنزاعات الحدودية حيث أن تحديد الحدود بين الدول يرتكز على مسميات أماكن وعلاقة هذه المسميات بمن حولها.
4- معيارية تسمية المكان تحتضن أسس تعبر عن هوية وذاتية المكان.

أهداف الدراسة:

1- تسليط الضوء حول إمكانية دراسة تاريخ المناطق.
2- دراسة العلاقة بين أسماء الأماكن والوصف الطبوغرافي للمنطقة والبيئة المحيطة بها.
3- النظر فى العلاقة بين أسماء الأماكن والتحركات السكانية.
4- معرفة كيفية منهجية تطور الاسم من خلال البعد الأثري التاريخي.
5- الوقوف على نماذج من الألقاب والنعوت والانطباعات المتكونة عن بعض المدن السودانية داخل الخيال والتصور الشعبي.

مشكلة الدراسة:

الأسماء والأماكن تتميز بدلالات معاني ومفاهيم ثقافية راسخة وبعض تلك الأسماء لايزال يحتفظ بمدلولة القديم المعروف للناس إلا أن بعضها لا يعرف معناه نسبة لعامل تراكم الأزمنة وتوالي الأجيال. فلذلك تتأتى مشكلة هذه الدراسة مبنية على الدوافع الأساسية (أهمية الدراسة وأهدافها وذلك سعياً لتوضيح الأبعاد الثلاثة التاريخي والثقافي واللغوي كمحاولة لدراسة العلائق بين أسماء الأماكن والوصف الطبوغرافي ومن خلال ذلك تسعى الدراسة إلى معرفة منهجية تطور الاسم لاسيما وأن المدرسة التاريخية تذخر بالكثير من النعوت والانطباعات المتكونة عن بعض المدن السودانية.

من ناحية أخرى فإن مشكلة الدراسة تشير بأن المدرسة التاريخية السودانية أولت اهتماماً بالمصادر المكتوبة وظهرت غلبة التاريخ الإداري السياسي على حساب التاريخ الشفاهي الثقافي ذو الدلالات المتباينة ثقافياً ولغوياً على امتداد الخارطة السودانية.

منهج الدراسة:

تم استخدام المنهج التاريخي والوصفي التحليلي (أسلوب التحليل الدلالي المكاني للاسم والتفسير الانطباعي سعياً للحصول على أسباب دلالات الاسم أو التعريف عبر المفهوم اللغوي والنظرة فى العلاقة بين الأسماء والوصف أو الكُنية أو التشبيه أو التلميح وذلك من خلال معطيات البيئة الطبيعية وتطوراتها العمرانية وحراكها السكاني.

فروض الدراسة:

تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الفروض التالية:-

1- دلالات الأسماء أسبابها تاريخية ولغوية.
2- دلالات الأسماء ناتجة عن الثقافة البيئية المحيطة بها.
3- هنالك نعوت للأماكن والمدن أسبابها ربما تعود لعوامل أحداث تاريخية واضحة والبعض الآخر منها مجهول.
4- ذاتية المكان قد يعبر عن هوية ذاتية المكان.

مصادر بيانات الدراسة:

يتم الحصول على البيانات الخاصة بالدراسة على الدراسات التي تناولت جانباً من أسماء الأماكن وهذه الدراسات حديثة نسبياً في السودان وخاصة الدراسات التي قد قُدمت في الفترة ما بين 1970م وإلى وقتنا الحاضر وسيتم الإشارة إلى هذه الدراسات من خلال التوثيق في متن هذه الدراسة.

كذلك من المصادر الخاصة جداً بهذه الدراسة الانطباعات الشخصية من خلال التجوال والسفر والمجالسات العامة وأحاجي الكبار الذين يحكون عن تاريخ أماكنهم بعاطفة راسخة وحنين دافق يناجي ماضٍ بعيد.

مقدمة:

تتوقف هذه الدراسة حول لغة الأسماء داخل إطارها التاريخي الجغرافي الثقافي فى السودان كمحاولة للوقوف على ملامح الدلالات التاريخية والثقافية لبعض أسماء المدن والأماكن بالسودان خاصة وأن الدعوة وتجديدها لمواصلة تدوين الإرث المتراكم لما ظل ينتجه الإنسان من خلال مسيرة

حياته الاجتماعية تبقى من أصدق الدعوات التي تهدف لإبراز وحماية التاريخ الاجتماعي من التحريف والضياع خاصة تلك المؤشرات التي تشير لمؤثرات ثقافية وذلك لأن الثقافة فى عمومها تمثل العمود الفقري للتاريخ الاجتماعي المرتبط بالأمكنة.

إن الثراء الثقافي نجده قد تجلى في الخصوصية التي وفرتها عوامل تشكيل الشخصية السودانية وتقابل النظم الاجتماعية بالجغرافية مصطحبة في ذلك دلالات وأثراً للبيئة بما تمثل فى عرض الأنشطة والموجودات التي يستند إليها الإنسان في مجريات حياته فلذلك مثلت بيئات السودان المختلفة نموذجاً مشرقاً للوجه الإيجابي المتميز بالتنوع ذي العطاء الثر والذى ظلت ترفده الثقافة العامة ومن ذلك كانت الأسماء الجغرافية والمعالم العمرانية أي الأماكن التي أنشأها الإنسان ومارس نظم حياته.

من ناحية فإن المدن الحديثة يُدخل فى جانب الفولكلور الحضري وهو ذلك الضرب من الموروث الشعبي الذى تنتجه المدينة أو البيئة الحضرية من حيث هي كيان مندمج ومتجانس، وواعي بذاته وبهويته السوسولوجية الجامعة بدرجة تكثر أو تقل وهذه كلها مؤشرات تعود إلى ضرب الألقاب على الانطباعات المكونة لبعض المدن السودانية وسنحاول في هذه الدراسة استعراض بعض من تلك المؤشرات المرتبطة بدلالة الاسم اعتماداً على الإحالات المرجعية ذات الصلة فكان ما أورده خالد محمد فرح نقلاً عن ما أورده البروفيسور بشرى في هذا المضمار حيث يقول: (على الرغم من حداثة علم الفولكلور في السودان، إلا أنه تأثر ببعض أوجه أداء الفلولكلوريات الأوربية الكلاسيكية ولعل أكبر الأدوار التركيز على دراسة الفولكلور فى المجتمعات الريفية أو البدائية مع إهمال تام للمجتمعات المدنية أو المتمدنة ومناطق الإنتاج بشكل عام) انتهى كلام البروفيسور. وسيتم مناقشة تلك الرؤية فى سياق هذه الدلالات المتعلقة بالمدن الكبيرة في السودان.

البعد الأثري والتاريخي للأسماء الجغرافية في السودان:-

دائماً ما تقتصر دراسة الأسماء الجغرافية على أسماء المعالم العمرانية أي الأماكن التي أنشأها الإنسان ومارس فيها نشاطاً ارتبط بحياته وترك فيها بقايا دالة على هذا النشاط. (1)

أسس ودلالات تسمية المكان الجغرافي:

إن معيارية تسمية المكان الجغرافي تخضع لعدة أسس يعبر فيها الاسم عن هوية ذاتية المكان قد تكون هذه الهوية لصفة فردية أو مجموعة من الصفات المتباينة يتميز بها الموقع والتسمية قد تكون بناءً على خاصية طبوغرافية معينة من معلم طبيعي مثل خور أبو عنجة وجبل موية وجبل عصيدة[153]. وقد تكون التسمية مشتقة من حيث الغطاء النباتي أو قد تكون التسمية من حياة الإنسان أو من حياة الحيوان... لقد خضعت أسماء الأماكن الأثرية والتاريخية لهذه الأسس فلذلك يستطيع المرء من خلال تلك الخاصية أن يتعرف عليها ويدركها عن طريق هويتها ويستخدم إدراكه لتركيب الكثير من الصفات والملامح في أذهاننا مثل موقعها الجغرافي من خلال الاسم(2).

المؤرخون والرحالة العرب ودورهم في دراسة الأسماء الجغرافية:

قام المؤرخون والرحالة العرب بدور رئيسي في دارسة الأسماء الجغرافية كما يتضح ذلك من المعاجم اللغوية ومعجم البلدان وكتب وصف المسالك والممالك والرحلات، وهو دور يكاد يجعل هذا العلم علماً عربياً المنشأ والتطور، لقد أولع هؤلاء الرواد بدراسة الأسماء الجغرافية وتحقيقها ووصفها وظروف تسميتها وأصولها اللغوية ودراستها إتيمولوجيا في ذلك الزمن قبل أن تقنن هذه المصطلحات فى علم اللغة (3).

من أمثلة هؤلاء العلماء : اليعقوبي (ت 895م) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي الذى وضع كتاب (البلدان) وابن حوقل (ت 956م) أبو القاسم أحمد البغدادي واضع كتاب (صورة الأرض) وابن سليم الأسواني (ت 996م) عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني فى كتابه (أخبار النوبة والمقرة والبجة والنيل). والإدريسي (ت 1165م) أبو عبد الله بن محمد عبد العزيز الشريف فى كتابه (صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس) وياقوت (ت 1229م) شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي البغدادي في كتابه معجم البلدان فى معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر في كل مكان (4).

العلاقة بين أسماء الأماكن والوصف الطبوغرافي للمنطقة والبيئة المحيطة بها:

قبل الدخول في تفاصيل هذه الدراسة يتضح، سأتشهد ببعض الدراسات حول هذا الموضوع ومن بينها دراسة الأستاذ محمد عبد السلام عبد المنان حيث ذكر (... أن الأسماء تطلق على الأماكن لاعتبارات عديدة). فقد يطلق الاسم كصفة مميزة لشعب من الشعوب التي تقطن منطقة معينة لتميزه عن غيره من الشعوب مثل كوش وأثيوبيا للإشارة إلى السودان كما تطلق أحياناً للإشارة إلى مهارة سكان إقليم معين في جانب من جوانب الحياة مثل كلمة تاستي Testy بمعنى أرض القوس التي أطلقت على السودان قديماً (5). وهناك أسباب أخرى فمن الأسماء ما يشير إلى الغطاء النباتي كما منها ما يرتبط بأشخاص. فقد حبا الله السودان بموقع جغرافي فريد جعل منه مركز جذب لمجموعات من البشرية على مدى التاريخ. وأضفى عليه جواره مركز الحضارات في العالم القديم بعداً حضارياً بالغ الأهمية. فوجود البحر الأحمر إلى شرقه أتاح إتصالاً بحضارات الشرق القديم التي كانت تمر تجارتها بالقرب من سواحله . ووجود النيل وروافده في وسطه جعل منه بوتقة تلتقي عندها الأعراق والسلالات لتمتزج على ضفتيه وتقيم الممالك والدول ومن الواضح أن البحر الأحمر لم يكن عائقاً للإتصال بين شاطئيه، بل كانت حلقة وصل فاعلة انتقل عن طريقها البشر من الجانبين ، فكانت هناك مجموعات أفريقية في جزيرة العرب (6). كما كانت هناك مجموعات عربية امتد وجودها من القرن الإفريقي شرقاً إلى الشمال الإفريقي شمالاً عبر شرق السودان ومصر والمغرب العربي وتحدثت المصادر عن هجرات يمنية وسامية قديمة، تركت آثارها في التكوين البشري واللغوي والحبشة والصومال وإرتريا وهضاب البحر الأحمر في السودان ومصر والشمال الأفريقي ،وما الجنس الحامي الذى ينتمي إليه معظم المجموعات التي تقطن هذه الأماكن سوى نتاج هذا التمازج والاختلاط بين المجموعات السامية والمجموعات الزنجية الذى تم منذ أقدم العصور ونجمت عنه قبائل القرن الأفريقي والبجا والنوبة وقدماء المصريين وقبائل البربر وإليها ويستدل بعض المؤرخين على هذه الصلة الواشجة بأسماء الأماكن التي تتشابه في الشاطئين وفى وجود الجمل، وأشياء أخرى كثيرة منها اسم إفريقيا المنسوب إلى إفريقش الملك الحميري الذى قيل إنه استقر فى تونس ومنحها اسمه الذى أصبح للقارة بأسرها، وكانت أول الممالك قياماً فى السودان وهى مملكة كوش منسوبة إلى كوش بن حام بن نوح عليه السلام ،وفى التوراة ذكر للكوشين وبعض ملوكهم وهو ترهاقا.

ولكن أقوى الصلات كانت بين شمال وادي النيل في مصر وجنوبه فى شمال السودان، فقد كان النيل مصدر مصر الأعظم وهو يقع إلى الجنوب، وكانت حماية حدود مصر الجنوبية من هجمات قاطني هذا الجنوب هماً أكبر، ولذلك توسع المصريون جنوباً عن طريق الغزو والتجارة حتى

بلغوا منطقة الشلال الرابع واكتسبت منطقة النوبة مع الزمن مسحة مصرية واضحة برزت فى الأسرة المالكة (الخامسة والعشرين) التي أقامت بين 725 قبل الميلاد و350 ميلاديه ممالك عرفت بنبتة وكوش وانتهت بمملكة مروى التي دمرها الأحباش وأقاموا على أنقاضها دولة أكسوم امتد نفوذ هذه الممالك إلى منطقة سوبا وقد يكون أثرهم امتداد إلى سنار خاصة بعد أن استقر جزء من الأسرة المالكة في مروى قرب كبوشية الحالية التي أصبحت مركزاً تجارياً هاماً ربط السودان بالبحر الأحمر ولكن هذا الازدهار أخذ في التدهور بعد ميلاد المسيح بقليل، وانهارت التجارة على مجرى نهر النيل مما أحدث انهياراً في الحياة الاجتماعية والسياسية. واضطربت الأحوال فى كل المنطقة فغزا الرومان مصر واحتلت القبائل البجاوية منطقة الكلابشة وزحفت القبائل الزنجية من كردفان ومنطقة الجزيرة شمالاً واحتلت أجزاء كبيرة من جزيرة مروى قرب كبوشية ببداية القرن الرابع الميلادي وانتهت مملكة مروى عام 350م بعد أن غزاها الملك عيزانا ملك أكسوم وإعترى المنطقة قدر كبير من الفوضى والانهيار، ومن خلال الركام قامت الممالك المسيحية المستقلة المشهورة فى نوباتيا والمقرة وعلوة. ورغم استقرار الأحوال ما يقرب تسعة قرون في معظم أنحاء هذه الممالك ، فإن اعتمادها على السند الأجنبي في حياتها الدينية والفكرية أضعف نفوذها وتأثيرها على حياة الناس العاديين ، فكانت قاعدتها السياسية هشة ولم تستطع الصمود طويلاً أمام التحدي الذى واجهها بعد ظهور الإسلام وسقوط مصر في أيدي العرب المسلمين. وكان انسياب العرب إلى أجزاء السودان المختلفة محدوداً وبطيئاً في البداية ثم تسارع وتعاظم لظروف تاريخية معلومة ساءت فيها أحوال القبائل العربية في مصر وخاصة فى أيام الخليفة المعتصم الذى اعتمد في جيوشه على الجنود الأتراك دون العرب (7).

من ناحية أخرى هنالك عدد من الموانئ السودانية ازدهرت ونمت لخدمة التجارة السودانية والبحر الأحمر منها ميناء باضع الذى ذكر فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب عندما نفى إليها أبو محجن الثقفي، كما مر بها عبد الله بن مروان آخر حكام بني أمية عام (749م). وميناء عيذاب الذى كان أحد الموانئ الرئيسية على البحر الأحمر وبلغ شهرة كبيرة أهلته لأن يكون من أحفل مراسى الدنيا وكذلك ميناء سواكن الذى ازدهر فى الفترة ما بين (1821- 1899م)(8).

يقع ميناء عيذاب على بعد 23 كيلومتراً شمالي مدينة حلايب وهى تعرف أيضاً بميناء عيذاب ويقال أن عيذاب هو اسم نوع من الأعشاب باللغة البجاوية ينمو فى منطقة عيذاب (9).

نماذج لبعض المؤثرات البيئية في تسمية الأماكن:

الأشجار والنبات:

تلعب البيئة الطبيعية بما تحتوي من أشجار وأنهار ووديان وتلال دوراً ملموساً في تسمية الأماكن في السودان ذلك أن تسمية الأماكن بأسماء الأشجار أمر مألوف وشائع مثل أبو عدارة والمحيريبة كلاهما في مناطق الجزيرة وتنسبان إلى نباتات العدار والمحريب وأورد حسن مصطفى حسن ستمائة وواحد من المواقع الجغرافية فى السودان تنسب إلى المواقع الجغرافية(10).

وهنالك نماذج أخرى لمثل هذه المسميات فى غرب السودان مثلاً نجد هنالك رهد يقع في غرب مدينة الجنينة يسمى رهد العدار ومنطقة عيش برة سبب التسمية المنطقة اشتهرت بزراعة الذرة الرفيعة ومدينة الجنينة نفسها سميت بهذا الاسم نسبة للحدائق المحيطة بها وخاصة حديقة السلطان بحر الدين سلطان دار مساليت، حيث كانت له جنينة يذهب إليها في كل أسبوع وكان ذلك قبل أن ينقل عاصمته من منطقة دارجيل عاصمة السلطنة وقياساً على ذلك فقد نلاحظ وجود أسماء أماكن منسوبة للأشجار والنبات في دارفور وفى أماكن مختلفة منها في جنوب دارفور في عد الغنم ثم تحولت الي عد الفرسان ونجد منطقة بليل وساق النعام وأم زعيفة ويعود سبب التسمية للدلالة على تميز المنطقة بأشجار الدوم والتي منها يستخرج السعف وهنالك منطقة دومايا والتي تقع في مدخل مدينة نيالا تحديداً جنوب غرب نيالا وهنالك مدينة رهيد البردي وهو النبات المعروف حيث تواجد هذا النوع من النبات حول هذا الرهد. وهناك هشابة وجميزة وقريضة وحرازة وهبيلا وكرنوي وعرديبة وكلها نعوت وأسماء لمناطق وقري تقع فى دارفور.

كما توجد فى جنوب دارفور مترادفات لأسماء بعض الأماكن منها البلابل الثلاثة بُلبل دلال العنقرة وبُلبل تمبسكو وبُلبل إبجازو وكلها مناطق تقع فى جنوب دارفور والبلبل هو نوع من أنواع الطيور المغردة .

النعوت العامة الشائعة الانتشار:

من هذه النعوت أسماء الأحياء الجديدة التي يتم تخطيطها وفقاً لسياسات الخطط الإسكانية فمثلاً نجد اسم جبرونة يطلق على كثيرٍ من الأحياء في مناطق السودان المختلفة وربما قد توجد

أحياء ومدن تسمى رضينا وطردونا وانجولا والعشش والكمبو وبانت والموردة وساق النعام وأبو حجار وتقاطع عردية والزهور فتحت والديوم وديم الزبير وديم التعايشي .

وهنالك أحياء ارتبطت أسماءها بأحداث عالمية وعلى سبيل المثال نجد حي تكساس في جنوب دارفور وحي الكنغو. وحي خرطوم بالليل وحي الإنقاذ ومنطقة مايو في الخرطوم ومنطقة حجر قدو بالفاشر ولاية شمال دارفور. وكذلك قياساً لمثل تلك المسميات يذكر محمد عبد السلام عبد المنان (... وقياساً على ذلك فقد نلاحظ وجود أسماء أماكن منسوبة للأشجار والنبات في ولاية نهر النيل أيضاً مثل السيال (11) وهى قرية السيال التي تقع الجزء الشمالي من المتمة ويلاحظ العابر للقرية وجود أشجار السيال فيها بشكل ملحوظ مما يحمل الظن أن القرية أخذت إسمها من بيئة الأشجار ممن حولها هذا إلى جانب أسماء أخرى مثل السروب والسلمة والسيالة (12) وفى محافظة شندي بناءً واستناداً على الروايات الشفوية فإن التسمية ترجع إلى جزيرة مسكيت على مقربة من المسيكتاب جنوب. أهداها الملك عجيب الماجلك إلى الفكي حسين ود علي جد المسيكتاب الحاليين الذى كان يفتيه فى بعض الأمور الدينية فأقام فيها وذريته ومن بعده ثم توجه بعضهم شمال مدينة شندي لاحقاً ليؤسسوا قرية المسيكتاب الحالية شمال المدينة (13).

إن معيارية تسمية المكاني الجغرافي تخضع لعدة أسس يعبر فيها عن ذاتية المكان أو الظاهرة بيئية أو لشواهد طبيعية... لقد خضعت أسماء الأماكن الأثرية لتلك الأسس إن الموضع الأثري مثلاً في منطقة أمبكول – أي (أم دوم) يدل على وجود أشجار الدوم وهو ذو طبيعة سكنية مستقرة ويقع بالقرب من النيل (14).

القيزان:-

ويقصد بها الكثبان والتلال الرملية وتطلق كلمة قوز على المناطق التي تميز بالمساحات الشاسعة من الكثبان الرملية وهى غالباً ما تقع فى مناطق السافنا شبه الفقيرة وهذا يعتبر انعكاساً للبيئة الطبيعية فكثيراً بمسمى دلالي يقترن به ففي غرب دارفور توجد منطقة قوز بيضة وبيضة هذه اسم لإحدى قرى غرب دارفور كما ترد كلمة قوز بصورة أكبر فى أسماء الأماكن على الضفة الغربية لولاية نهر النيل إذ ترد أسماء أماكن مثل قوز عمر، قوز بدر، قوز بره، قوز جبة وكلها في محافظة المتمة إلى الغرب من نهر النيل.

الجبال:-

ترد أسماء جمادات في بعض أماكن السودان المختلفة ولنأخذ نماذج لبعض المسميات فمنها جبل مرة فى غرب السودان وجبل الأمير في أقصى غرب السودان يقع جنوب مدينة الجنينة بل يتوسط المدينة من الناحية الجنوبية وحجر الطير وحجر العسل في محافظتي المتمة وشندي (15) تباعاً وربما كان هذا أيضاً تعبيراً عن طبيعة المنطقة الصحراوية مثل منطقة أبو حجار ومنطقة الحصاحيصا في ولاية وسط الجزيرة ودلالة الاسم يعود على تميز المنطقة بالطبيعة الصخرية التى تتخللها قطع الحصى المتناثرة.

تهذيب وتعديل بعض أسماء الأماكن والدلالات الطبوغرافية:

ورغماً عن تعديل الأسماء أو تحديث مسمياتها بغرض تحسين الاسم أو تهذيبه أو تجميله مؤخراً فإن بعض الأسماء القديمة لا زالت طاغية وربما لارتباط تلك الأسماء بالبيئة الداخلية أو البيئة المحيطة بها فغالباً أن الاسم الجديد لا يعكس شيئاً من البيئة المحيطة بالمكان.

جدول يوضح بعض الأسماء المعدلة فى بعض جهات السودان:

الاسم القديم	الاسم المعدل	ملحوظات
منطقة أعصرني	آزرني تقع في غرب دارفور	
منطقة أضان الحمار	الفردوس بشرق دارفور	
منطقة خسار مريسة	زمزم شمال دارفور	
منطقة أم صمقمتي	طينة الإمام غرب دارفور	
عد الغنم	عد الفرسان جنوب دارفور	اشتهرت بالخيول
قرية خراب بمنطقة الميرفاب	طيبة	خراب إشارة إلى حطام مباني يُرجح أنها من مخلفات المسيحية
أم ضبان	أم ضوءً بان ولاية الجزيرة	
وسخ	النضيف بجنوب دارفور	منطقة تكثر بها المياه

جريبان	غبيش بغرب كردفان	تشتهر بكثرة بالماشية
عريجة	عديلة بشرق دارفور	
ام قديتي	دريب الريح	
بويطل	الفويلح	
مجيفة	ابوعجورة	
هرار	هلال	
ترتورة	شنقل طوباي	تغني بها الشاعر شنقلي طوباي تلقي لدهباي
ابضعين	الضعين	
كيوكا	خور شمام	صالحة للمحاصيل الزراعية
المدقوق	المبروك	
قميلاية	عسلاية	
دار قلا	درقلا	
زعلان جي	زالنجي	
كرلي	كرم جي	
حسكنيتة	رادونا	
كتال	دار السلام	قيل انها تكتلك بخيراتها
غريقات	ام الخيرات	
ام بلي	ام خير	
ماني ماشي	منواشي	منطقة تاريخية قتل فيها السلطان إبراهيم قرض

ام عبد الرحمن	ام درمان	العاصمة التاريخية للسودان
مره لا	مرلا	
قنينطة	مبيركة	تقع بربر

الألقاب والنعوت عن بعض المدن السودانية:

يذكر دكتور خالد محمد فرح في ورقته العلمية التي جاءت بعنوان ملامح من فولكلور المدينة مشيراً إلى ما أشار إليه عالم الفولكلور الأمريكي Martinlaba (... لما نحن بصدده فى الواقع في كتاب له بعنوان: "علم الفولكلور الحضري" مقارنة سلوكية) Urban Folklore: A behavioral Approach وهو كتاب صدر فى عام 1979م عن جمعية فولكلور أمريكية تسمى Western Astates Folkore Society فكان مما قاله هذا العالم في هذا الخصوص والذى جاءت ترجمته " بعض المدن السودانية وما يستدعيه الخيال والتصور الشعبي السوداني" .

هنالك بعض الألقاب والنعوت والانطباعات المتكونة عن بعض المدن السودانية داخل الخيال والتصور الشعبي لأهل السودان ولا شك أن تصور الشيء بشيء دائماً بدل عن ماهيته أو جزء من ماهيته وحسبنا أن نذكر ههنا على ما ارتبط في هذا الباب.

أم درمان: البقعة (أي بقعة الإمام المهدي) أم در العاصمة الوطنية مدينة الحركة الوطنية والسياسية ،والفن والرياضة والأدب. فلا غرو أن قال بلسان حالها شاعرها الفذ عبد المنعم عبد الحي مزهواً: (فخير بنيك يا سوداني مني * سلوا الحادي سلوا الشادي المغني). وهى مدينة من تراب كما سماها علي المك يشير إلى بيوتها المبنية من الطين مدينة الباحات (الحيشان) الواسعة والدور المتداخلة.

الخرطوم: عاصمة السودان وهى (كرش الفيل) أي أن كل شيء موجود بداخلها ومن الفولكلور القولي – كما يذكر دكتور خالد محمد فرح– ارتبط بها المثل القائل (المعدوم في سوق الخرطوم) ويقال أيضاً (شن معدوم في سوق الخرطوم).

ود مدني: مدني السني، مدني الخضراء أرض المحنة وقلب الجزيرة انطلقت منها فكرة مؤتمر الخريجين وهى أيضاً مدينة الفن والرياضة وعرفت باسم الشيخ مدني السني الذي ارتبطت باسمه .

الأبيض: أب قبة فحل الديوم أي فحل المدائن وسيدها فيها أكبر سوق للصمغ العربي فى العالم كما تلقب أيضاً بعروس الرمال وفيها مرقد السيد إسماعيل الولي، ومما أرتبط بها من الأمثال الشعبية (إنت قاعد فى اللبيض وما بتعرف ود أب صفية؟).

الفاشر : فاشر أبو زكريا، اشتهرت في الفولكلور السوداني بصناعة الأحذية الشعبية الجياد أو (المراكيب الفاشرية) ويفتخر أهلها بأنهم أول من أحرق العلم الإنجليزي في مظاهرة شعبية فى فترة الاستعمار الإنجليزي.

كسلا: التاكا، مدينة الخضرة والجمال والسواقي ونبع توتيل وملهمة الشعراء.

عطبرة، أتبرا: مدينة الحديد والنار عاصمة السكة حديد، مدينة العمال والحركة العمالية والنقابية والنضال ضد الاستعمار ومن فولكلورها الحضري المادي شيوع استخدام سكانها استخدام الدرجات الهوائية.

رفاعة: رفاعة أب سن، مدينة التعليم والاستنارة وريادة تعليم المرأة حيث ارتبطت بإسم عوض الكريم أبو سنشيخ الشكرية.

الجنينة: تعرف بدار مساليت وبدار اندوكا وهي بلد السلطان بحر الدين ابكر(اندوكا) واندوكا هو لقب للسلطان والمثل يقول (كان اهلك ابوك امشي دار اندوكا) تمثل البوابة الغربية للسودان ، وعرفت بجنينة السلطان واشتهرت بالمركوب الجيناوي والعطور الغربية (16).

التحركات السكانية:

الهجرات والتحركات السكانية لبعض الأماكن تعكس دلالات قبلية كدليل على الهجرة ذات الطابع السكاني، ويذكر فى هذا المقام قرية الشايقية بمحافظة المتمة وكذلك حي القرداب شندي فوق. والقرداب بطن من بطون الشايقية . جدير بالذكر أن مجموعة من قبيلة الشايقية جاءت إلى المنطقة برفقة حملة إسماعيل باشا لفتح السودان عام 1821م وحملة كتشنر وكانت هذه من اكبر هجرات الشايقية لبلاد الجعليين بالأخص بعد معركة محمود ود احمد ضد الجعليين واستقرت فى المنطقة (17).

نتائج الدراسة:

1- توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:-

دلالات الأسماء والأماكن تميزت بنعوت ومفاهيم ثقافية راسخة تحتفظ بمدلولاتها القديمة المعروفة للناس.

2- هنالك علاقات وأبعاد ربطت بين الجانب التاريخي والثقافي واللغوي وكانت بمثابة دافع فى أسباب التسمية و(النعت) المتعلق بالصفة الدالة على الاسم.

3- للمؤثمرات البيئية الدور الأعظم فى تسمية الأماكن .

4- خلصت الدراسة بأن لفولكلور المدينة أثراً فى بعض الألقاب والانطباعات عن بعض المدن السودانية داخل الخيال والتصور الشعبي لأهل السودان.

توصيات الدراسة:

1- جمع أسماء الأماكن المعدلة بولايات السودان في أرشيف واحد.

2- إجراء دراسات تاريخية وجغرافية لمعرفة دلالات المدن الثقافية والتاريخية.

3- تقديم محاضرات وندوات من علماء متخصصون حول دلالات الأسماء والأماكن التاريخية بالسودان.

المصادر و المراجع:

1- صالح عمر الصادق، البعد الأثري والتاريخي للأسماء الجغرافية فى السودان، مجلة محاور العدد الثامن، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أم درمان الإسلامية 1999م، ص (77).

2- المصدر نفسه، ص (77)

3- المصدر نفسه ،ص (78).

4- نفس المصدر ، ص (78- 79)

5- انظر انتصار صغيرون، أسماء ومعاني السودان القديم ودلالاتها الجغرافية الثقافية ، ورقة مقدمة إلى المؤتمر القومي الثاني للأسماء الجغرافية ، الخرطوم إبريل 1999م.

6- لمزيد من الإحاطة انظر د. عون الشريف قاسم ، الإسلام والعربية فى السودان فى حياة العرب وأدبهم ،الخرطوم ،ص (387/366)

7- د. عون الشريف قاسم ، موسوعة القبائل والأنساب ،ج1 ،الطبعة الأولى ،الخرطوم 1996م، ص (11- 12)
8- أ. نهى عبد الحافظ عبد العزيز، الأهمية التاريخية لميناء عيذاب الأثري، مجلة دراسات أفريقية ،العدد 30 ،الخرطوم ديسمبر 2006م، ص (77)
9- المصدر نفسه، ص (77).
10- انتصار صغيرون، البيئة الطبيعية فى السودان القديم، ورقة قدمت في المؤتمر القومي الثاني للأسماء الجغرافية ،الخرطوم،1999م،ص(8).
11- محمد عبد السلام عبد المنان، أسماء الأماكن في ولاية نهر النيل، الخرطوم، 1998م ، ص (31).
12- المصدر نفسه، ص (34).
13- المصدر نفسه، ص (33).
14- صالح عمر الصادق، البعد الأثري والتاريخي للأسماء الجغرافية في السودان، مصدر سبق ذكره، ص (78).
15- محمد عبد السلام عبد المنان، أسماء الأماكن في ولاية نهر النيل، مرجع سابق ص (35).
16- المرجع نفسه، ص (35).
17- المرجع نفسه، ص (33).

أحكام النيابة في العبادات في الفقه الإسلامي

د. محمد إبراهيم محمد عبد الفضيل

الأستاذ المساعد مساعد جامعة دنقلا

المستخلص:

العبادة هي كمال العبودية لله تعالى، بطاعته وإخلاص العبادة له وفق ما بيّنها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم دون زيادة فيها ولا نقصان، والأصل فيها أن العبادة شخصية بأن يأتي بها الإنسان بنفسه دون نيابة عنه. وقد قسم الفقهاء العبادات إلى ثلاثة أقسام هي:

- عبادة بدنية محضة كصلاة والإيمان فلا تجوز فيها النيابة أصلاً.
- عبادة بدنية ومالية فهي التي تقوم بالبدن والمال كما هو الحال في الحج.
- عبادة مالية محضه كما هو الحال في عبادة الزكاة.

وقد اتفق الفقهاء على عدم جريان النيابة في العبادات المفروضة البدنية لعدم تحقق المقصود منها، وهو إتعاب البدن امتثالاً لأوامر الله سبحانه وتعالى. بينما اشترط الفقهاء في جريان النيابة في الحج شروطا منها العجز الدائم عن الأداء بنفسه.

أما النيابة في العبادات المالية فإن الفقهاء أجازوها لتحقق المقصود منها بعمل النائب كما هو الحال في إخراج الزكاة عن الغير (الصغير والمجنون خير مثال). كما جاء اختلاف الفقهاء في النيابة في قراءة القرآن الكريم والصدقات، إلا أن الرأي الغالب في جريان النيابة في جواز النيابة في العبادات المالية وإهداء ثواب العبادات النافلة.

Abstract

Worship is the complete servitude to God, to obey him and worship him faithfully as indicated by our Messenger of Allah, peace be upon him without an increase or decrease. the origin of worship is to be accomplished by the human himself not on behalf.

The Jurists Department divided worship into three sections:

- Purely physical worship as prayers and faith, which is not permissible to be done on behalf.

- Physical and financial worship are carried out by body and money as is the case of pilgrimage.
- Purely financial worship as in the case of Zakat.

Scholars agreed not to allow the prosecution of physical worship since the intended purpose, which is body compliance, is not achieved. With an exception of pilgrimage in case of permanent, disability.

The Jurists allow the prosecution in the financial. Worships since they achieve their

In tented purpose, .So prosecutors give out Zakat on behalf others like immature or Crazy. Scholars disagree on prosecution in reading Quran and giving Sadagat, but the majority opinion is allow such prosecution.

مقدمة:

يرتكز الدين الإسلامي على أسس وأصول عظيمة يأتي في مقدمتها توحيد الله تعالى، وأداء عبادته بالوجه الذي فرضه علينا وبينه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

فالعبادة أصل من أصول الدين، وهي حق الخالق على المخلوق، والصلة بين العبد وربه، والغاية التي خلق الله لأجلها الخلق قال سبحانه وتعالى: ٹ ٹ چ چ چ چ چ چ چ چ ا(سورة الذاريات الآية 56).

والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأقواله فرض على كل مسلماً، فلا يسع لمسلم مخالفتها، ومن خالفها فقد ابتدع في دين الله. لأن العبادات لا مجال فيها للرأي والقياس وإنما تؤخذ من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مفهوم النيابة والعبادة:

تعريف النيابة في اللغة: ورد لمصطلح النيابة عدة معان منها:

1- النيابة من مادة "ناب " وناب عنه ينوب منابا، قام مقامه، وأناب إلى الله تعالى أقبل وتاب. والنوبة والنيابة بمعنى أن تقول جاءت نوبتك ونيابتك، وهم يتناوبون.(ابن منظور، 1992م، 770).

2- ناب عن فلان، ينوب نوباً ومناباً، أي قام مقامه. وناب عني في هذا الأمر نيابة إذا قام مقامي.

3- وجاءت النيابة بمعنى الوكالة، المراد بها استنابة الإنسان غيره فيما يقبل النيابة، وهى كل عقد جاز أن يعقده الإنسان لنفسه جاز أن يوكل فيه غيره.(الرازى،1999م، 285).

ومن خلال التعريف اللغوي لمعنى النيابة نجد أن النيابة لها عدة صور تتمثل جميعها في إنابة شخص آخر للقيام بأمر معين نيابة عنه، والنائب هو الذي يقوم مقام الأصيل، وقد يكون نائباً أو وكيلاً أو ولياً أو وصياً ومفوضاً وخليفة.

تعريف النيابة في الاصطلاح:

ورد للنيابة في الفقه الإسلامي عدة معان منها:

أولاً: عرفها الحنفية: بأنها إقامة الشخص غيره مقام نفسه في تصرف جائز معلوم. وأيضاً هي تفويض التصرف والحفظ إلى الوكيل.(ابن عابدين، 1992، 417).

ثانيا: عرفها المالكية هي تفويض شخص ما له فعله مما يقبل النيابة إلى غيره ليفعله في حياته. وضابط ما يقبل النيابة هو كل تصرف جاز للشخص مباشرته بنفسه ولو من حيث المبدأ جاز له التوكيل فيه. (أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي، 2004، 175).

ثالثاً : وعرف الحنابلة النيابة بقولهم : أن النيابة هي:(قيام الغير عنك بفعل أمر) (بابن قدامة المقدسي،1994م،ج162/2)، وبهذا التعريف يتفقون مع المذهب المالكي وورد لهم تعريف ثاني وهو أن النيابة (هي قيام شخص مقام آخر في التصرف عنه) (الشاطبي ،173،1997).

تعريف العبادة في اللغة:

أصل العبودية: الخضوع والتذلل، يُقال: طريق مُعبد، أي مذلل، ومنه سُمي العبد عبداً لذله لمولاه. والعبادة: الطاعة، فالعبادة لغة: تتضمن معنى الخضوع، والذل، والإذعان والطاعة. (الزبيدي، دت، 330).

العبادة في الاصطلاح: العبادة في الاصطلاح تطلق ويراد بها أمران.

الأول: باعتبار حقيقة التعبد نفسه، ويقصد بها كمال الحب مع كمال الخضوع والذل لله سبحانه.

والثاني: باعتبار المتعبد به، ومن أجمع تعريفاتها على الإطلاق تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية بأنها: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة».(ابن تيمية،1987م، 154).

وبهذا المعنى تكون جميع أعمال المسلم إذا تحققت فيها شروط قبول العمل عبادة لله تعالى، الباطنة منها، وهي أعمال القلوب، كالخشية، والخوف، والإنابة، وحب الله ورسوله، والأعمال الظاهرة: كالصلاة، والزكاة، والحج، وبر الوالدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين، بل ويتعدى ذلك إلى الإحسان إلى البهائم، وغيرها من العبادات الظاهرة والباطنة.

فالعبادة في الإسلام شاملة لجميع الأعمال والأقوال الباطنة والظاهرة التي يرضاها الله سبحانه وتعالى سواء كانت هذه الأعمال والأفعال من أعمال القلوب، أو من أعمال الجوارح وسواء كانت من الفرائض أو السنن والمستحبات أو من قبيل الآداب والأخلاق والمعاملات مع الناس.

مكانة العبادة في الإسلام:

عبادة الله تعالى وتوحيده هي الغاية التي خلق الله لأجلها الجن والإنس والمقصود الأعظم من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وكل رسول بعث بهذا الأصل العظيم ينادي بعبادة الله تعالى وتوحيده، قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼا(سورة النحل الآية 36).

وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ (سورة الأعراف الآية 59).

والعبادة هي العهد الذي أخذه الله على بني آدم قال تعالى: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ (سورة يس: الآية 60 و 61) وإذا كانت عبادة الله تعالى وحده هي المقصود الأعظم من إرسال الرسل فهي عامة لجميع الخلق لا يستثنى أحد من عبادة الله تعالى حتى الرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، وقد أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: ﭧ ﭨ ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ (سورة الحجر الآية 9). وقال تعالى مخبراً عن

عيسى عليه السلام والملائكة: ٹ ڈ چ ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ چ ا(سورة النساء الآية 172).

والعبادة في حقيقتها امتثال وانقياد لله تعالى، ومقتضى إيمان العبد بالله تعالى أن يكون منقاداً لشرع الله تعالى أمراً ونهياً لا لهواه ورغباته، ولا يتحقق الإيمان ولا تكون حقيقة العبادة إلا بذلك، قال تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ چ (سورة الأحزاب الآية 36).

شروط العبادة في الإسلام:

ذكر العلماء شرطين لقبول العبادة في الإسلام سواء كانت من العبادات الباطنة أو الظاهرة، متى تحققا كان العمل مقبولاً، وإذا انتفى الشرطان أو أحدهما لم يكن العمل مقبولاً، وهما:

1- الإخلاص لله تعالى.

2- الموافقة والمتابعة لما شرعه الله عز وجل ومتابعة هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد جاءت النصوص الكثيرة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم تؤكد على هذين الأصلين، فإخلاص العبادة لله تعالى، وصدق التوجه إليه، وخلوص النية والعمل والبعد من الرياء أو قصد غير الله تعالى هو أصل الدين. قال تعالى:چ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ چ (سورة البينة الآية 5).وقال تعالى:چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ چ (سورة الزمر الآية 11).وقال تعالى: چ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې چ (سورة لأنعام الآية 162 و 163).

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن إخلاص العمل لله تعالى والصدق في النية عليه مدار قبول الأعمال وصلاحها، ففي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: « إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»(البخاري ،2000م، 6).

وأمر الله جل وعلا بإخلاص العبادة لله تعالى، ونهى عن الشرك، قال تعالى: چ □ چ (سورة الكهف الآية 110).

إن المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة: سببه، وجنسه، وقدره، وكيفيته، وزمانه، ومكانه.(النووي،2009م، 99). فإذا لم توافق الشريعة في هذه الأمور الستة فهو باطل مردود، لأنه أحدث في دين الله ما ليس منه.

أولاً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في سببه: وذلك بأن يفعل الإنسان عبادة لسبب لم يجعله الله تعالى سبباً مثل: أن يصلي ركعتين كلما دخل بيته ويتخذها سنة، فهذا مردود. مع أن الصلاة أصلها مشروع، لكن لما قرنها بسبب لم يكن سبباً شرعياً صارت مردودة.

مثال آخر: لو أن أحدا أحدث عبادة لانتصار المسلمين في بدر، فإنها ترد عليه، لأنه ربطها بسبب لم يجعله الله ورسوله سببا.

ثانياً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في الجنس، فلو تعبد لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة، مثال ذلك: لو أن أحداً ضحى بفرس، فإن ذلك مردود عليه ولا يقبل منه، لأنه مخالف للشريعة في الجنس، إذ إن الأضاحي إنما تكون من بهيمة الأنعام وهي: الإبل، والبقر، والغنم.

ثالثاً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في القدر: فلو تعبد شخص لله عز وجل بقدر زائد على الشريعة لم يقبل منه، ومثال ذلك: رجل توضأ أربع مرات أي غسل كل عضو أربع مرات، فالرابعة لا تقبل، لأنها زائدة على ما جاءت به الشريعة.

رابعاً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في الكيفية: فلو عمل شخص عملا، يتعبد به لله وخالف الشريعة في كيفيته، لم يقبل منه، وعمله مردود عليه. ومثاله لو أن رجلاً يُصلى يسجد في صلاته قبل أن يركع، فصلاته باطلة مردودة، لأنها لم توافق الشريعة في الكيفية. وكذلك لو توضأ منكسا بأن بدأ بالرجل ثم الرأس ثم اليد ثم الوجه فوضوؤه باطل، لأنه مخالف للشريعة في الكيفية.

خامساً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في الزمان: فلو صلى الصلاة قبل دخول وقتها، فالصلاة غير مقبولة لأنها في زمن غير ما حدده الشرع. ولو ضحى قبل أن يصلي صلاة العيد لم تقبل لأنها لم توافق الشرع في الزمان.

سادساً: أن يكون العمل موافقاً للشريعة في المكان: فلو أن أحداً اعتكف في غير المساجد بأن يكون قد اعتكف في المدرسة أو في البيت، فإن اعتكافه لا يصح لأنه لم يوافق الشرع في مكان الاعتكاف، فالاعتكاف محله المساجد.

فعليه فنقول: أن أحكام العبادات في الشرع ثلاثة هي: .(النووي،2009م، 100)

الأول: ما علمنا أن الشرع شرعه من العبادات، يكون مشروعاً.

الثاني: ما علمنا أن الشرع نهى عنه من العبادات، يكون ممنوعاً.

الثالث: ما لم نعلم عنه من العبادات، يكون ممنوع.

أما في المعاملات والأعيان فإن الأحكام ثلاثة أيضاً:

الأول: ما علمنا أن الشرع أذن فيه، فهو مباح، مثل أكل النبي صلى الله عليه وسلم من حمر الوحش.

الثاني: ما علمنا أن الشرع نهى عنه كذات الناب من السباع، فهذا ممنوع.

الثالث: ما لم نعلم عنه، فهذا مباح، لأن الأصل في غير العبادات الإباحة.

كما جاء في قوله صلي الله عليه وسلم: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة ضلالة وكل ضلالة في النار»(الترمذي ،1980،ج19/1).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً»(ابن تيمية،د.ت،76)[154].

فيكون بذلك هذان الشرطان: الإخلاص والموافقة لشرع الله تعالى على مدارهما قبول العبادة.

خصائص العبادة في الإسلام:

تتميز العبادة في الإسلام عن سائر الأديان بخصائص عدة، منها:

1- ربانية المصدر:

من خصائص العبادة في الإسلام أنها ربانية المصدر محفوظة لم تتغير ولم تتبدل مع مر الدهور والأزمان نتيجة لتعهد الله بحفظ كتابه وما يترتب على ذلك الحفظ من حفظ السنة والشريعة،

قال تعالى: ڇ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ڇ (سورة الحجر الآية 9).

وهذا بخلاف ما حدث في عبادات وعقائد الأديان الأخرى من تحريف وتبديل وابتداع أخبر الله تعالى عنه وذكر تحريفهم لكتبهم وما ترتب على ذلك التحريف من ضياع لأصول عقائدهم وعباداتهم قال تعالى: ڇ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڇ (سورة النساء الآية 46) ، وقال تعالى: ڇ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ (سورة البقرة الآية 79). ومن لوازم وثمرات تلك الربانية ألا يعبد الله إلا بما شرع الله وأنه ليس لأحد من الخلق الزيادة أو النقصان في تشريع العبادات في الإسلام، ومن ابتدع أمراً في الدين فهو رد عليه كما أخبر النبي صلي الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»((البخاري،2003، ج3، 184)).

وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتابعته في عبادته، والاقتداء به صلى الله عليه وسلم ففي الصلاة قال صلى الله عليه وسلم: «صلوا كما رأيتموني أصلي»(البخاري، حديث رقم 2697) وفي الحج قال صلي الله عليه وسلم: «لتأخذوا عني مناسككم لعلي لا أراكم بعد عامي هذا»(مسلم، حديث رقم (1297)) وفي سائر أمور الدين قال تعالى: ڇ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى □ □ □ ى ي ي □ ڇ (سورة الأحزاب الآية 21).

فمصدر العبادات كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم . وليس لبشر مهما علت منزلته أن يشرع من عند نفسه، ولا لمجمع من المجامع أن يزيد أو يعطل تشريعاً أمرنا به الله أو نهانا عنه، قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: ڇ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ (سورة آل عمران الآية 31) . وقال تعالى:ڇ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڇ (سورة الأحزاب الآية 36).

2- العبادات لا تكون إلا لله تعالى

أخص ما تتميز به العبادة في الإسلام أنها لا تصرف إلا لله وهذا الشرط الذي يميز العبادة في الإسلام عن غيرها في الأديان الأخرى والمسلم لا يتوجه بعبادته لا لنبي مرسل ولا إلى ملك مقرب

ولا إلى أحد من البشر وإنما يتوجه بها إلى الله وحده، قال تعالى:ﭽ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﭼ (سورة التوبة الآية 31). وقد نهى الله تعالى عن الشرك في العبادة وجعله ظلماً عظيماً وضلالاً بعيداً وقال تعالى:ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ (سورة النساء الآية 116) .

3- العموم والشمول في العبادات الإسلامية:

ومن خصائص العبادة في الإسلام أنها شاملة لجميع أعمال العبد وأقواله فالعبادة في الإسلام لا تقتصر على الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد بل تشمل جميع مناحي الحياة كلها، فتشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

فمن العبادات القلبية: خشية الله، والإنابة إليه، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، كل ذلك من أنواع العبادة والتي يثاب عليها المسلم إذا تحقق شرطاها: الإخلاص والمتابعة.

وطلب العلم عبادة، والعمل عبادة، والإحسان إلى الناس عبادة، والخلق الحسن عبادة. وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كلها عبادة.

فالعبادة في الإسلام شاملة لكيان الإنسان وجوارحه فالمسلم يعبد الله بالفكر والقلب واللسان والسمع والبصر وسائر الحواس، وشاملة للدين كله وتسع الحياة كلها فتشمل علاقة الإنسان بالله وهي علاقة التعبد الخالص والتذلل والخضوع وهي علاقة بين الخالق والمخلوق، والعبادة تشمل علاقة الفرد بنفسه بإتيان ما أمر الله به عبادة والامتناع عن ما نهى الله عنه عبادة يثاب عليها المسلم، والعبادة تشمل علاقة المسلم بمن حوله بدءاً بوالديه وأهله وأقاربه إلى عموم من يتصل بهم بإحقاق الحقوق وأداء الواجبات التي أمر الله بها في هذه العلاقة فكل ذلك من العبادة.

فهذا هو مفهوم العبادة الشامل في الإسلام لا تقتصر على إقامة الأركان الخمسة، و قال تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ: (سورة الأنعام الآية 162و163).

أقسام العبادات في الفقه الإسلامي :

قسم فقهاء الشريعة الإسلامية العبادات إلى ثلاثة أقسام هي(ابن نجيم،د.ت،ج651/3):

1- عبادات بدنية كالصلاة والصوم والاعتكاف وقراءة القرآن وهي عبادات بدنية تقتضي إتعاب النفس والجوارح بالأفعال المخصصة .

2- عبادات مركبة بين البدن والمال مثل الحج المقصود منها تحمل التكاليف الابتلاء والمشقة

3- عبادات مالية كالزكاة والصدقة والكفارة ويتحقق معزها بإنفاق المال المحبوب الى النفس.

فإن كانت النيابة لا يتحقق منها المقصود في العبادة البدنية ولا تتحقق مشقة النفس فلا تجوز فيها النيابة مطلقاً. كما في العبادات المالية يتحقق المقصود بالعبادة بفعل النائب. كما أن النيابة تجزي في العبادات المتضمنة للشقين البدنية والمالية كما في الحج بشروط حددها الفقهاء.

آراء الفقهاء في النيابة على العبادات

لما كانت العبادة عبارة عن الخضوع والتذلل وحدها فعل لا يراد به إلا تعظيم الله تعالى بأمره بخلاف القربة والطاعة فإن القربة ما يتقرب به إلى الله تعالى ويراد بها تعظيم الله تعالى مع إرادة ما وضع له الفعل كبناء المساجد ونحوها فإنها قربة يراد بها وجه الله تعالى مع إرادة الإحسان بالناس وحصول المنفعة لهم. والطاعة تجوز لله ومنها ما يجوز لغير الله تعالى لقوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)(سورة النساء الآية 59). والعبادة ما لا يجوز لغير الله تعالى، والطاعة موافقة الأمر.

ذهب بعض الفقهاء الى أنه يصح أن يجعل الإنسان ثواب عبادته النافلة لغيره صوما أو صلاة أو قراءة القرآن أو صدقة أو الأذكار أو غيرها من أنواع البر. وكذا لو حج أو صام أو صلى لنفسه ويؤيد هذا أن الذين سألوا النبي – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك لم يسألوه عن ثواب إهداء العمل بعده بل عما يفعلونه عن الميت كما قال سعد: " أينفعها إن تصدقت عنها؟"، ولم يقل: أن أهدي لها ثواب ما تصدقت به عن نفسي. وكذا قول المرأة الأخرى: " أ فأحج عنها؟"، وقول الرجل الآخر: أفأحج عن أبي؟ ولا يعرف عن أحد من الصحابة أنه قال: " اللهم اجعل ثواب ما عملته لنفسي أو ثواب عملي المتقدم لفلان " فإذا تبرع به، وأهداه إلى غيره كان بمنزلة ما يهديه إليه من ماله.

وعلى ذلك نرى اختلاف الفقهاء في حكمهم على النيابة في العبادات، وأستعرض آراء الفقهاء

في بعض العبادات الظاهرية منها :

من العبادات ما لا يقبل النيابة بالإجماع كالإيمان بالله – تعالى – ومنها ما يقبلها إجماعاً كالدعاء والصدقة ورد الديون والودائع واختلف في الصوم والحج أنهما لا يقبلان النيابة.

أولاً: النيابة في العبادة البدنية (الصلاة والصوم):

الصلاة عبادة بدنية محضة، فلا نيابة فيها أصلاً، بخلاف الزكاة فإنها عبادة مالية وبخلاف الحج فإنه مركب منها ما فيه من العمل بالبدن وإنفاق المال. لأن المقصود بالعبادة البدنية إتعاب البدن وقهر النفس ولا يحصل ذلك بفعل النائب. واستحالة القضاء بالمثل (ابن عابدين،1992، 355).

" إن سبب الصلاة الحقيقي ترادف النعم على العبد، لأن شكر المنعم وأجب شرعا وعقلا ، ولما كانت النعم واقعة فى الوقت جعل الوقت سبباً وقال الله تعالى ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭾ (سورة الإسراء الآية ٧٨) حيث لَوْ كَانَ السَّبَبُ هُوَ الْكُلُّ لَزِمَ تَقَدُّمُ الْمُسَبَّبِ عَلَى السَّبَبِ أَوْ وُجُوبُ الْأَدَاءِ بَعْدَ وَقْتِهِ فَتَعَيَّنَ الْبَعْضُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْبَعْضُ أَوَّلَ الْوَقْتِ عَيْنًا لِلُزُومِ عَدَمِ الْوُجُوبِ عَلَى مَنْ صَارَ أَهْلًا لِلصَّلَاةِ فِي آخِرِ الْوَقْتِ بِقَدْرِ مَا يَسَعُهَا، وَلَا آخِرِ الْوَقْتِ عَيْنًا؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ لَا يَصِحَّ الْأَدَاءُ فِي أَوَّلِهِ لِامْتِنَاعِ التَّقَدُّمِ عَلَى السَّبَبِ، فَتَعَيَّنَ كَوْنُهُ الْجُزْءَ الَّذِي يَتَّصِلُ بِهِ الْأَدَاءُ وَيَلِيهِ الشُّرُوعُ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي السَّبَبِ هُوَ الِاتِّصَالُ بِالْمُسَبَّبِ"(ابن عابدين،1992، 356).

كما يمكن الاستدلال على عدم النيابة في الصلاة أن المرأة في فترة الْحَيْضِ والنفاس وفترةَ الْجُنُونُ وَالْإِغْمَاءُ إذا طرأ على الشخص المكلف شرعاً واستمرت لأكثر من خَمْسِ صلوات لا يجب عليه قضاء الصلاة. وذلك يرجح القول بأن النيابة لا ترد على الصلاة كعبادة بدنية.

إضافة الي أن الصلاة تختلف عن العبادات التي تدخلها النيابة، بأنها لا تسقط عن المكلف بحال، فمن لم يستطيع الصلاة قائما صلي قاعداً، أو مضطجعا، وكيفما قدر، ثم أن الصلاة لا يدخلها المال بخلاف الحج((النووي، د.ت، 101).

إلا أن هنالك رأى لبعض فقهاء الحنفية يجيز أداء الفدية نيابة عن الفاني قياساً بالصوم مع عدم وجود الدليل بالقياس احتياطاً لأنها إن لم تجزيه تكون حسنة ماحية لسيئاته. (ابن عابدين ،356،1992).

أما الصوم فهو عبادة بدنية ولكن تجوز فيه النيابة مرتبطة بشروط محددة بأحكام الفدية بالإطعام، وعجز عن القضاء واستمراره الى الموت لقوله تعالى ڇ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ
ڃ ڃڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ ژ ڑ ڑک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڇ
(سورة البقرة الآية 184).

ورد في تفسير الآية " بَيَّنَ حُكْمَ الصِّيَامِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} أَيِ: الْمَرِيضُ وَالْمُسَافِرُ لَا يَصُومَانِ فِي حَالِ الْمَرَضِ وَالسَّفَرِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمَا، بَلْ يُفْطِرَانِ وَيَقْضِيَانِ بِعِدَّةِ ذَلِكَ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ. وَأَمَّا الصَّحِيحُ الْمُقِيمُ الذِي لا يُطيق الصِّيَامَ، فَقَدْ كَانَ مخيَّرًا بَيْنَ الصِّيَامِ وَبَيْنَ الْإِطْعَامِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ، وَأَطْعَمَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا، فَإِنْ أَطْعَمَ أَكْثَرَ مِنْ مِسْكِينٍ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ، فَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنْ صَامَ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِطْعَامِ"(ابن كثير ،1999م، 498). وفق التفسير فإن الإطعام يتحقق بفعل النائب عن الأصيل. فإن من لم يقدر على الصوم عليه قضاءه ، فإن لم يقدر على قضائه فدى.

ووجه الفرق بين الصلاة والصوم أن الفدية تثبت على خلاف القياس إتباعاً للنص لأن من المعقول قضاء الشيء بمثله. ووجه القياس على الصوم والصلاة بجامع عدم دخول النيابة عليهما مع القدرة . إلا أن الفدية مشروعة في القضاء عن الصوم لذلك تدخلها النيابة.

والحديث عن بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ، وَإِنَّهَا مَاتَتْ، قَالَ: فَقَالَ: «وَجَبَ أَجْرُكِ، وَرَدَّهَا عَلَيْكِ الْمِيرَاثُ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ، أَفَأَصُومُ عَنْهَا؟ قَالَ: «صُومِي عَنْهَا» قَالَتْ: إِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «حُجِّي عَنْهَا»(مسلم ،805،1988).

ومن الفقهاء من أجاز النيابة في الصلاة

فأما الصلاة عن الميت فقد حكي عن عطاء بن أبي رباح وإسحاق بن راهويه جواز الصلاة عن الميت، وهو قول شاذ تفردا به عن الجماعة مستدلاً بأمرين.

أحدهما: إنه لما جازت النيابة في ركعتي الطواف إجماعاً جازت في غيرها من الصلوات قياساً.

والثاني: إنه لما صحت النيابة في الحج والعمرة مع العجز دون القدرة، وصحت في الزكاة مع العجز والقدرة لم تخرج النيابة في الصلاة عن أحدهما.

وذهب جمهور الفقهاء إلى أن النيابة في الصلاة لا تصح بحال مع قدرة ولا عجز لقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: " عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " (مسلم، دت،ج1255/3). قال العلماء في معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف.

ولأن الصلاة كالإيمان لأنها قول وعمل ونية، ثم لم تجز النيابة في الإيمان إجماعاً فلم تجز في الصلاة ، فأما ركعتا الطواف؛ فلأنها تبع لما تصح فيه النيابة فخصت بالجواز.

" ذهب الإمام الشافعي في مذهبه القديم جواز الصيام عن الميت وهو مذهب مالك وأحمد مستدلين على ذلك بالحديث الذي روى عن عائشة رضي الله عنها أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " من مات وعليه صيام صام عنه وليه " (أبو المعالي برهان الدين ، 2004 م،ج488/2)؛ ولأنها عبادة يدخل في جبرانها المال فصحت فيها النيابة كالحج طرداً والصلاة عكساً، ودخول المال في جبرانها من وجهين:

أحدهما: جُبران الصيام بالكفارة.

والثاني: عجز الشيخ الهرم عن الصيام، وانتقاله إلى إخراج مد عن كل يوم.

وقال في الجديد: إن النيابة في الصيام لا تجوز بحال عن حي ولا ميت، وهو مذهب أبي حنيفة وأكثر الفقهاء؛ لرواية عبد الله بن عمر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " من مات وعليه صيام أطعم عنه وليه " ولأنها عبادة على البدن لا يتعلق وجوبها بالمال، فلا تصح فيها النيابة كالصلاة طردا.

قال ابن قدامة: "من نذر حجاً أو صياماً أو صدقةً أو عتقاً أو اعتكافاً أو صلاة أو غيره من الطاعات ومات قبل فعله، فَعَلَهُ الولي عنه، وعن أحمد في الصلاة لا يصلي عن الميت لأنها لا بدل بحال". وللوفاء بالنذر إجمالاً ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادة استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على أمه توفيت قبل أن تقضيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اقض عنها"(ابن ماجه، دت، ج689/1).

ثانيا: النيابة في الحج كعبادة بدنية ومالية:

" الْحَج لُغَة الْقَصْد وَاصْطِلَاحا حُضُور جُزْء بِعَرَفَة سَاعَة زمانية من لَيْلَة يَوْم النَّحْر وَطواف بِالْبَيْتِ الْعَتِيق سبعا وسعى بَين الصَّفَا والمروة كَذَلِك بِإِحْرَام وَهُوَ خَامِس أَرْكَان الْإِسْلَام وشروط وُجُوبه أَرْبَعَة الْبلُوغ وَالْعقل وَالْحريَّة والاستطاعة وَشرط صِحَة والاستطاعة نَوْعَانِ إِمْكَان الْوُصُول لمَكَّة بِلَا مشقة فادحة والأمن على النَّفس وَالْمَال وَيشْتَرط فِي حج الْمَرْأَة أَن يرافقها زوج أَو محرم أَو رفْقَة مَأْمُونَة وَأَن يكون الْحَج فرضا عَلَيْهَا". (محمد العربي القروي،دت،208).

دلت السنة النبوية على مشروعية النيابة فى الحج، وذلك بالتصريح أو إقرار من أراد الحج عن غيره(باسم بن عمر عبد الله قاضي،32،1998)، وكذلك من خلال الأحاديث التي دلت على تشبيه الحج بقضاء الدين، للحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ، جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ»(البخاري ،18،2000). وحديثه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أُخْتِي قَدْ نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، وَإِنَّهَا مَاتَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاقْضِ اللَّهَ، فَهُوَ أَحَقُّ بِالقَضَاءِ»(البخاري ،1422،2000).

وإقرار النبي صلي الله عليه وسلم للحج عن غيره الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: «مَنْ شُبْرُمَةُ؟» قَالَ: أَخٌ لِي- أَوْ قَرِيبٌ لِي- قَالَ: «حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ».(إبن ماجه، دت، ج969/2).

اتفق الفقهاء على إن الأصل في النيابة في الحج هو المنع، شأنها شأن كل العبادات إلا ما قام الدليل على صحة النيابة متى ما تحققت الشروط التي وضعها الفقهاء للنيابة في الحج.

الشروط الواجب توفرها في النيابة في الحج منها:

1- النية :

فالنية شرط لصحة جميع العبادات لقوله صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل

امرئ ما نوى، فيجب على النائب أن ينوي أن هذه الحجة عن فلان ، والأفضل أن يقول: لبيك عن فلان (الكاساني،273،1986)، كما في حديث شبرمة (ابن ماجة،2009م،ج969/2).

2- عجز المنوب عنه عن أداء الحج الواجب بنفسه:

أجمع أهل العلم على عدم جواز استنابة القادر على الحج لغيره فى أداء فريضة الحج الواجب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد رخص النيابة عن العاجز والميت، ولم يرخص عن القادر.

3- إذن المنوب عنه إن كان حياً:

الوارث إذا تبرع عن مورثه، فإن حجه صحيح، لأن الوارث خليفة الموروث في ماله فكانه مأموراً بأداء ما عليه، واتفق القائلون بمشروعية النيابة عن الحي منع الحج إلا بإذنه، لأن الحج عبادة تدخلها النيابة فيشترط الإذن فيها، إلا أن الإذن غير مشروط فى حالة الإنابة عن ميت.

ذهب الحنفية (الكاساني،1986، 273) والشافعية (الشافعي،1990، 132) إلى أنه تصح النيابة فى الحج عند توافر شروطها، فيستنيب الإنسان من يحج عنه أو عن من يهمه أمره ، أو ينوب هو من غيره متي ما كان متقيدا بضوابط النيابة وشروط النائب. وهو قول المالكية مع الكراهة وإلا عن ميت إلا إذا أوصى.

وقال ابن قدامة: "لا يجوز أن يستنيب في الحج الواجب من يقدر على الحج بنفسه إجماعًا . ومن يرجى زوال مرضه والمحبوس ونحوه ليس له أن يستنيب فإن فعل لم يجزئه وإن لم يبرأ، وبهذا قال الشافعي، وقال أبو حنيفة له ذلك، فإن قدر على الحج بنفسه لزمه وإلا أجزأه ذلك لأنه عاجز عن الحج بنفسه أشبه الميؤوس من برئه"(ابن قدامة،229،1968). كما لا يجوز الحج والعمرة عن حي إلا بإذنه فرضًا كان أو تطوعًا لأنها عبادة تدخلها النيابة فلم تجز عن البالغ العاقل إلا بإذنه، فأما الميت فتجوز عنه بغير إذن واجبًا كان أو تطوعًا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالحج عن الميت وقد علم أنه لا إذن له، وما جاز فرضه جاز نفله كالصدقة .

أجمع أهل العلم على أن من عليه حجة الإسلام وهو قادر على أن يحج لا يجزئ أن يحج غيره عنه، والحج المنذور كحجة الإسلام في إباحة الاستنابة عند العجز والمنع منها مع القدرة لأنها حجة واجبة.

فأما حج التطوع فينقسم أقسامًا ثلاثة أحدها: أن يكون ممن لم يؤد حجة الإسلام فلا يجوز أن يستنيب في حجة التطوع. الثاني: أن يكون ممن قد أدى حجة الإسلام وهو عاجز عن الحج بنفسه فيصح أن يستنيب في التطوع.

4- أن يكون قد أدى حجة الإسلام وهو قادر على الحج بنفسه فهل له أن يستنيب في حج التطوع؟ فيه روايتان:

إحداهما: يجوز وهو قول أبي حنيفة. والثانية: لا يجوز وهو مذهب الشافعي لأنه قادر على الحج بنفسه فلم يجز أن يستنيب فيه كالفرض (المباركفوري326،1984). وورد عن الإمام مالك فى تفسير آية الحج "ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا أَنَّ الْخِطَابَ بِالْحَجِّ وَالِاسْتِطَاعَةَ لِلْمَرْءِ فِي عَمَلِهِ لَا فِي عَمَلِ غَيْرِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ: لَا تَصِحُّ النِّيَابَةُ فِي الْحَجِّ فِي الْحَيَاةِ لِعُذْرٍ، فَالْعَاجِزُ يَسْقُطُ عَنْهُ الْحَجُّ عِنْدَهُ وَلَمْ يَرَ فِيهِ إِلَّا أَنَّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُوصِيَ بِأَنْ يَحُجَّ عَنْهُ بَعْدَ مَوْتِهِ حَجَّ التَّطَوُّعِ"(ابن عاشور، 23،1984).

كما اختلف الفقهاء في عمن يقع الحج، إذا حج شخص عن غيره ، فلمن يكون الحج للمباشر النائب أم للمحجوج عنه؟.

الرأي الأول وذهب إليه الحنفية (الكاساني،1986، 272) والشافعية(الشوكاني، د.ت، 110) والحنابلة (البهوتى، د.ت،391) بأن الحج يقع عن المحجوج عنه.

الرأي الثاني وذهب إليه بعض فقهاء الحنفية ومذهب للمالكية بأن الحج يقع عن النائب نفلا، وللحجوج عنه ثواب النفقة والدعاء والتسبب في الخير.

واستدل أصحاب الرأي الأول بأن الأحاديث التي وردت فى جواز النيابة عن الميت التى أقرها النبي صلي الله عليه وسلم .

واستدل أصحاب الرأي الثاني إذا ارتكب النائب محظوراً فكفارته عليه ، كما يجب عليه القضاء لو فسد حجه ومن ذلك يقع الحج له ، إلا أن الشرع أقام ثواب نفقه الحج في حق المحجوج عنه.

المعتبر في الحج عن الغير الإنفاق، فمن حج عن غيره أن أصل الحج يكون عن المحجوج عنه وأن إنفاق الحاج من مال المحجوج عنه كإنفاق المحجوج عنه من مال نفسه أن لو قدر على الخروج بنفسه وبنحوه جاءت السنة «فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لسائلة حجي عن أبيك واعتمري» ، وقال رجل «يا رسول الله إن أبى مات ولم يحج أفيجزئني أن أحج عنه؟ فقال – صلى الله عليه وسلم : نعم».(البخاري، 2000، ج176/5)، (للسرخسي، 148،1993) .

واتفق الأئمة الأربعة على الأرزاق في الحج وأما الإجارة فقد اختلفوا فيها فقال بها مالك والشافعي ومنعها أبو حنيفة وابن حنبل. والرزقة هو أن يدفع للحاج شيئاً يستعين به على حجه عن الميت من غير عقد إجارة في ذمته وسواء كان قدر كفايته أم لا. وَمَنْ حَجَّ عَنْ غَيْرِهِ يَنْوِي الْحَجَّ عَنْهُ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ، وَالْأَصْلُ أَنَّ كُلَّ عَامِلٍ يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ، فَلَا بُدَّ مِنَ النِّيَّةِ لِامْتِثَالِ الْأَمْرِ، وَلِأَنَّهُ عِبَادَةٌ تَجْرِي فِيهَا النِّيَابَةُ وَهِيَ غَيْرُ مُوَقَّتَةٍ، فَجَازَ أَنْ تَقَعَ عَنْ غَيْرِ مَنْ وَيَقُولُ: لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ عَنْ فُلَانٍ(الموصلي، 171،1937).

ثالثاً : النيابة في الزكاة كعبادة مالية:

عبادة الزكاة صنفها العلماء في أبواب العبادات التي هي علاقة بين العبد وربه، ومع ذلك قرروا أن علاقتها وثيقة بين الدولة وصاحب المال، لأن الدولة هي المكلفة بهذا التكليف بأخذ الزكاة نيابة عن مستحقيها وتولى أمر توزيعها.

إن الخليفة الأول سيدنا أبابكر الصديق رضي الله عنه قاده حرباً على مانعي الزكاة وسميت بحروب مانعي الزكاة كان سببها أن بعض الأعراب امتنع عن أداء الزكاة وخاصة مع إقرارهم بشرائع الإسلام الأخرى، فقال سيدنا أبابكر الصديق رضي الله عنه قولته المشهورة:" والله لا قاتلن من فرَق بين الصلاة والزكاة" وهذا من أقوى الأدلة على أن جباية الزكاة وصرفها موكول إلى الدولة فهي توزعها نيابة عن أصحاب المال (البخاري،2002، ج105/2).

وقوله تعالى:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة التوبة الآية 103). الآية تأمر بجباية الزكاة وجمعها ويوجب الخطاب لكل أمام المسلمين ولكل أمير على المسلمين الذي يصرفها وفق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً

مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة الآية 60). الآية بها دلالة قاطعة على أن الدولة هي التي تقوم بالنيابة على جمع وأداء الزكاة في أوجهها المحددة

ومن السنة النبوية قوله صلي الله عليه وسلم في حديث لمعاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن قاضياً ووالياً فقال له :" إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك، فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فان هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب"(البخاري،2002،ج128/2). ففي الحديث دلالة على أن من واجبات الإمام أن يتولى أخذ الزكاة بالنيابة من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء. وعلي ذلك تجزي النيابة فى جمع وتوزيع الزكاة على مستحقيها.

رابعاً : النيابة في التصدق عن الغير :

من المتفق عليه بين الفقهاء أنه يقع عن الْمَيِّت دون إِذْنه الدُّعَاء وَالصَّدَقَة وَقَضَاء دينه. أما الدعاء فقد قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام إِذا مَاتَ ابْن آدم انْقَطع عَنهُ عمله إِلَّا فِي ثَلَاث صَدَقَة جَارِيَة وَعلم ينْتَفع بِهِ وَولد صَالح يَدْعُو لَهُ.(أبو محمد محمود بن أحمد الغيتابى الحنفى،دت،ج55/14).

ويجوز للوارث وللأجنبي أن يتصدق عن الميت، ويلحق الميت ثوابها؛ لما روي: «أن رجلا أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فقال: يا رسول الله! إن أمي افتلتت نفسها، ولولا ذلك لوهبت وتصدقت، أأتصدق عنها؟ قال: "نعم" قال: فإن لي مخرفاً فأشهدك أني قد تصدقت به عنها».(ابن ماجه، دت، ج906/2). وقَالَ سعد بن أبي وَقاص يَا رَسُول الله إِن أُمِّي أصمتت وَلَو نطقت لتصدقت أفينفعها إِن تَصَدَّقت عَنْهَا؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: "نعم" (الطحطاوي ،1997م،439). وعلى ذلك فإنه تجوز النيابة في أداء الصدقة بإجماع الفقهاء.

النيابة في قراءة القرآن الكريم والدعاء عن الغير

ذكر الإمام الحافظ شمس الدين ابن القيم في كتاب ((الروح)) حديث عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرؤوا على موتاكم سورة يس» (البغوي الشافعي،

1983،ج295/5). أيضاً فما رواه أبو داود وابن ماجة وأحمد ولفظه (يس قلب القرآن. لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم) (أبو القاسم الطبراني ،220،1983).

وقال الدار قطني: هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن، ولذلك كره مالك وأصحابه قراءة القرآن عند الميت وبعد موته وعلى قبره وهو الحق. وعلى تقدير ثبوته فالمراد به من حضره الموت لا من مات وقضى نحبه.. والكراهة هنا كراهة تحريم لأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة حرام فعلها. وعلى تقدير ثبوته فالمراد به. قال ابن القيم: (وهذا يحتمل أن يراد به قراءتها على المحتضر عند موته مثل قوله (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) (مسلم،دت،ج631/2) ويحتمل أن يراد به القراءة عند القبر والأول أظهر للوجوه التالية:

الأول: أنه نظير قوله ((لقنوا موتاكم لا إله إلا الله).

والثاني: انتفاع المحتضر بهذه السورة، لما فيها من التوحيد والمعاد والبشرى بالجنة لأهل التوحيد فتستبشر الروح بذلك فتحب لقاء الله ويحب الله لقاءها.

الثالث: أن هذا علم الناس وعادتهم قديماً وحديثاً يقرؤون ((يس)) عند المحتضر.

الرابع: أن الصحابة لو فهموا من قوله صلى الله عليه وسلم: ((اقرؤوا على موتاكم)) قراءتها، لما أخلوا بها وكان ذلك أمراً معتاداً مشهوراً بينهم.

الخامس: أن انتفاعه باستماعها وحضور قلبه وذهنه عند قراءتها في آخر عهده بالدنيا هو المقصود، وأما قراءتها عند قبره فإنه لا يثاب على ذلك، لأن الثواب إما بالقراءة أو بالاستماع وهو عمل انقطع عن الميت.

وقد أفتى المتأخرون بجواز الاستئجار على تعليم القرآن لا على التلاوة وعللوه بالضرورة وهي خوف ضياع القرآن. (أبو شكيب محمد تقي الدين ،1994، 80).

ونستدل على جواز الدعاء للميت لما ورد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى للناس وهو بالمدينة النجاشي ملك الحبشة في اليوم الذي مات فيه قال: إن أخا لكم قد مات وفي رواية: مات اليوم عبد لله صالح بغير أرضكم فقوموا فصلوا عليه. قالوا: من هو؟ قال: النجاشي وقال: استغفروا لأخيكم. قال: فخرج بهم إلى المصلى وفي رواية: البقيع ثم تقدم فصفوا خلفه صفين قال:

فصففنا خلفه كما يصف على الميت وصلينا عليه كما يصلى على الميت فأمنا وصلى عليه .(الألباني،دت،ج48/1)

من خلال ذلك يمكن القول بجواز أن يجعل الإنسان ثواب عبادته النافلة لغيره صوما أو قراءة القرآن أو صدقة أو الأذكار أو غيرها من أنواع البر.

إهداء ثواب الأعمال للميت

اتفق العلماء على وصول ثواب الدعاء كما هو الحال في الصدقة والهذي للميت، للحديث: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له ".(ابن بطال ،2003،ج261/2). وروي أن النبي صلي الله عليه وسلم " ضحى بكبشين أملحين، أحدهما عن نفسه، والأخر عن أمته، ممن أقر بوحدانية الله تعالى، وشهد له بالبلاغ" فإنه جعل تضحيه احدي الشاتين عن أمته.(البخاري،1422هـ،ج139/2).

وذهب كل من الإمام مالك والشافعي إلى أنه يجوز جعل ثواب العمل للغير في الصدقة والعبادة المالية وفي الحج، ولا يجوز في غيره من الطاعات كالصلاة والصوم وقراءة القرآن وغيره.

وقال المعتزلة: ليس للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره، ولا يصل إليه، ولا ينفعه، لقوله تعالى: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى). ومن الثواب الجنة وليس للعبد أن يجعلها لنفسه فضلا عن غيره.(وهبة الزحيلي، 2007، 40).

عليه فإن القول بجواز وصول الثواب العمل إلى الميت بفعل غيره، وما يفعل عنه ينقسم إلى أربعة أقسام هي:

أحدها: ما يجوز أن يفعل عنه بأمره وغير أمره. وذلك قضاء الديون، وأداء الزكاة، وفعل ما وجب من حج أو عمرة، والدعاء له، والقراءة عند قبره.(أبو المعالي ،2004م، 487) .

والقسم الثاني: ما لا يجوز فعله عنه بأمره ولا بغير أمره. ومن ذلك كل ما لا تصح فيه النيابة من العبادات، كالصلاة والصيام.

والقسم الثالث: ما يجوز أن يفعل عنه بأمره، ولا يجوز أن يفعل عنه بغير أمره، وهو النذر بالعتق، لما فيه من لحوق الولاية.

والرابع: ما لا يجوز أن يفعل عنه بغير بأمره، مثل حج التطوع. والمعتمد عند المذهب المالكي أن النيابة عن الحي في الحج لا تجوز ولا تصح مطلقاً إلا عن الميت الذي أوصى بأن يحج عنه فتصح مع الكراهة وتنفيذها من ثلث ماله.

وأجاز الشافعية الحج عن الغير في حالتين هما العاجز عن الحج بنفسه والأمر الثاني من يأتيه الموت ولم يحج وله مال يوصي بأن يحج عنه.

الخاتمة:

النيابة في العبادات تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : لا يقبل النيابة باتفاق، وهي العبادات البدنية المحضة، كالإيمان بالله، والطهارة، سواء كان في حق الحي أو الميت، والصلاة، والصيام عن الحي.

الثاني: ما يقبل النيابة باتفاق، وهي العبادات المالية المحضة، كإخراج الزكاة، والصدقة، والعتق، والأضحية وأداء الديون، سواء في حق الحي أو الميت .

الثالث: العبادات المركبة من المال والبدن، مما تجوز فيها النيابة متي ما تحققت الشروط مثل الحج، سواء في حق الحي أو الميت.

إلا إن الصلاة من العبادات التي تصح فيها النيابة عن الميت، إذا مات وعليه صلاة، تركها لعذر من نوم، أو نسيان، أو مرض، على أصح أقوال العلماء.

يجوز إهداء الصلاة المندوبة إلى الميت، إذا أهداها إليه الحي، وأن الثواب حق للعامل، إن شاء أن يهديه، وان شاء أن يبقيه لنفسه. وإذا كان على الميت صيام فرض، تركه لعذر، واستدام عذره، كاستدامة المرض فليس عليه شيء ولا يلزم ورثته قضاء.

إلا أن الصيام من العبادات التي تصح فيها النيابة عن الميت، إذا مات وعليه صيام تمكن من أدائه ولم يؤده، فيؤدى عنه، إما بالصيام، وإما بالإطعام، أو الجمع بينهما، وللولي الخيار في ذلك . ويجوز إهداء الصيام المندوب إلى الميت في أصح أقوال العلماء.

أن قراءة القرآن، وإهداء ثوابه إلى الميت, جائز على أصح أقوال العلماء. والاستئجار على قراءة القران، وإهداء ثوابه إلى الميت محل خلاف بين العلماء والراجح عدم الجواز .

إن الزكاة، من العبادات المالية التي تصح فيها النيابة عن الميت، وتخرج من رأس ماله تركته سواء أوصى بها، أو لم يوص، لأنها حق تعلق بذمته وماله . إذا ترك الميت تركة، وعليه دين وجب على ورثته قضاء الدين عنه بالإجماع، وإذا لم يترك تركة فهم مخيرون بين القضاء والترك .

إن الحج من العبادات المركبة من المال والبدن، فتصح النيابة فيه عن الحي العاجز، بشرط استدامة العجز حتى الموت. على أصح أقوال العلماء. يجوز الاستئجار على الحج، على أصح أقوال العلماء، وإن حج عنه بغير أجرة، فهو الأفضل والأكمل .

كما أن النذور والكفارات من الأعمال المالية، التي تصح فيها النيابة عن الميت، سواء أوصى بها أو لا، ويجب على الورثة قضاء ذلك عنه إذا ترك تركة، ويصل إليه ثوابه بالإجماع.

والله أعلم

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1- أ. د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ- الفقه الإسلامي وأدلته –الناشر: دار الفكر – سوريَّة دمشق- الطَّبعة الرَّابعة.

2- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) – الموفقات – المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان- الناشر: دار ابن عفان- الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م

3- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: 1252هـ)- رد المحتاج – ج4/ ص 417 – –الطبعة: الثانية- دار الفكر-بيروت – 1412هـ – 1992م.

4- أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري(المتوفى: 1414هـ)- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند–الطبعة: الثالثة – 1404 هـ، 1984 م

5-أبو المعالى برهان الدين محمود بن أحمد- المتوفي (616هـ)- المحيط البرهاني في الفقه النعماني-
- الطبعة: الأولى-الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 1424 هـ - 2004 م
6- -أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد (المتوفى: 275هـ)- سنن أبي داود - المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
7- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)- المهذب .
8- أبو شكيب محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي (المتوفى: 1407هـ)- الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق -دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع، الشارقة- الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994م.

9- أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: 422هـ)- التلقين في الفقه المالكي - دار الكتب العلمية-الطبعة: الأولى 1425هـ-2004م.
10-أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)- المغني- الناشر: مكتبة القاهرة - الطبعة: بدون طبعة- تاريخ النشر: 1388هـ - 1968م.

11-تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)- العبودية، - المحقق: محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الطبعة السابعة المجددة 1426هـ - 2005م.
12-أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي - توفي 1231 هـ -حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح- المحقق: محمد عبد العزيز الخالدي- الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة: الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م
13-زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)- مختار الصحاح -المحقق: يوسف الشيخ محمد- الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا- الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.
14-سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)- المعجم الكبير- المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي- دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة- الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1994 م).

15-الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)- الأم -الناشر: دار المعرفة - بيروت-سنة النشر: 1410هـ/1990م.

16-عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (المتوفى: 683هـ)- الاختيار لتعليل المختار - الناشر: مطبعة الحلبي - تاريخ النشر:1356 هـ - 1937 م.

17-علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: 587هـ)- بدائع الصنائع -الناشر: دار الكتب العلمية- الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م.

18-محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)-التحرير والتنوي- الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس- سنة النشر: 1984 هـ.

19-محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)- المبسوط للسرخسي محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: 1230هـ)- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير- الناشر: دار الفكر- الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

20-محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر - صحيح البخاري- الناشر: دار طوق النجاة - الطبعة: الأولى، 1422هـ.

21-محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: 1250هـ)- المجموع -المحقق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

22-محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)- سنن الترمذي- الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت 1998 م.

23- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور -لسان العرب - (المتوفى: 711هـ)-الناشر: دار صادر - بيروت- الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.

24-مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)- صحيح مسلم - المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

25-منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: 1051هـ)- كشاف القناع - الناشر: دار الكتب العلمية.

26- باسم بن عمر عبد الله قاضي- النيابة في الحج- رسالة ماجستير فقه المقارن - كلية الشريعة -جامعة أن القري- المملكة العربية السعودية- عام 1420هـ.

27- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)-تاج العروس من جواهر القاموس- المحقق: مجموعة من المحققين- الناشر: دار الهداية.

28- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)- الفتاوى الكبرى لابن تيمية- الناشر: دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م.

29- أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)- تفسير البغوي المحقق : عبد الرزاق المهدي- الناشر : دار إحياء التراث العربي -بيروت-الطبعة : الأولى ، 1420 هـ.

30- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)- سنن ابن ماجه تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

31- زين الدين بن ابراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم - المتوفى في 970هـ - البحر الرائق شرح كنز الدقائق- الطبعة الثانية - دار الكتاب الإسلامي.

32- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)-الكافي في فقه الامام أحمد - الناشر: دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م

33- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ) -سنن ابن ماجه الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

34- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ)- عمدة القاري شرح صحيح البخاري-الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

35- أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ)- شرح السنة- الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت - الطبعة: الثانية- 1983م.

36- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)- تلخيص أحكام الجنائز- الناشر: مكتبة المعارف - الطبعة: الثالثة.

ISSN: 1858 -716X :ردمد
UNIVERSITY OF DONGOLA JOURNAL
FOR SCIENTIFIC RESEARCH
Periodical Referred Research Journal Issued by the College of Graduate Studies, University of Dongola
Sixth Year Issue No. 11 June 2016
VOL 11

STAPHYLOCOCCUS SPECIES ISOLATED FROM HOME MADE ICECREAM (DANDORMA) IN SHAMBAT-NORTH KHARTOUM PROVINCE

Dr .Samia Sadig Mohamed Ismail

Associate Professor. Faculty of Medicine. Dept. of Microbiology University of Dongola

Abstract:

The aim of this study is to isolate Staphylococcus species From homemade ice-cream called Dandorma and to identify them according to recent references (Sneath etal 1986 Barrow & Feltham. 1993).

Hundred samples of homemade ice- cream (Dandorma) specimens were collected from Shambat schools Khartoum state. *Staphyloccus* species were isolated from 44 samples (44%). These species were differentiated into two groups, The first was the coagulase positive species, which include 8 (18%) are *S.aurus and* 4(9%) *S.delphini*. The second was coagulase negative novobiocin resistant species, which include are *S.scuri* 12 (27.3%), *S.caseolyticus* 12 (27.3%), *S.saprophyticus* 4 (9.1%) and *S.arlettae* 4 (9.1%).

المستخلص :

هدفت الدراسة لعزل انواع مختلفة من المكورات العنقودية من الآيسكريم المصنع محلياً الداندورما، جمعت مئة عينه من الداندورما من المدارس بمحلية شمبات منطقة الخرطوم شمال وقد أجرى الفحص لهذه العينات حيث وجد أن 44% منها ملوثة بالمكورات العنقودية .

واندرجت هذه العزلات تحت مجموعتين، مجموعة موجبة لتخثر البلازما وكانت تحوي أنواع المكورات العنقودية الذهبية (18%) والمكورات العنقودية الدلفينية (9%) على التوالي. الأنواع السالبة لتخثر البلازما مثلت المجموعة الثانية وحوت كل من أنواع المكورات العنقودية السنجابية (27%)، المكورات العنقودية حالة للكيسين (27%)، المكورات العنقودية المترممة (4%) وأخيراً المكورات العنقودية الآرلتية (4%).

Introduction :

Dandorma, which is considered as the local public type of ice-cream, is greatly consumed in Khartoum state. Usually it is made solid and consumed in the poor districts. Dandorma is simply frozen milk or juice even merely coloured sweetened water, packed in small plastic bags that are rendered opened by bluing air into them orally. This common action introduces more contamination to the contents. Each bag is closed by a knot at its tip using hands. The bags are usually packed in thermo flasks or ice boxes. Selling is usually practiced in front of schools and public parks.

Dandorma is favorable to Sudanese children but unfortunately it is not checked by public health authorities. so hazards of being contaminated is greatest.

The genus *Staphylococcus* is Gram- positive cocci, and has at least 20 species which are aerobes and facultative an aerobes, non-motile, non-spore former, non-capsulated. Colonies can be yellow, red and orange , Colonies at solid media are round, smooth, raised, glistened (Barrow and Feltham 1993). Staphylococci species tends to live in human, animal and free in the environment . Arbuthnot (1992) reported that Staphylococci of different species were isolated from nose , hand and skin areas in one person .In the past any organism isolated from foods and showing morphological resemblance to Staphylococcus, was considered to be *Staphylocoous aureus* which was known as a food poisoning organism since old ,times (Banwart 1981). Recently many species were discovered .*Staphylococcus aureus* and *Staph .delphini* were isolated from many types of foods including ,sausage, beef burger and minced meat. *Staph sciuri* and *Staph caseolyticus* were isolated from machine-ice-cream (Mohamed 1997).

The genus *Staphylococcus* was divided into two groups coagulase-positive and negative *Staphylococci*. The coagulase-positive Staphylococcus are characterized by the production of the extra cellular enzymes (Wood, etal 1992). They are the major pathogens for animals and human, e.g. mastitis and food poisoning (Jay 1986), while the other group, coagulase-negative *Staphylococci*, are characterized by failure to coagulase plasma

(Wood, etal 1992). They are of the normal human flora and sometimes caused some diseases (Glyes and Thoen,1993). Staphylococcal food poisoning is a food- borne disease (Todd 1978) It caused by enterotoxin produced by certain strains of Staph aureus in food prior to ingestion (Dayne and Wood,1974).

Materials and methods:

Local ice-cream (Dandorma) samples were collected from Shambat schools, northern Khartoum province; the samples were collected into ice box and transported immediately to the laboratory.

The samples were streaked onto 10% freshly prepared sheep blood agars which were previously dried. Incubation was carried aerobically under 10% Co2 to at 37C˚ for 24 hrs. Those which do not show any growth were re-incubated for up to seven days before they were reported negative. Gram's stain was made from each culture and examined microscopically. Those showed the morphology of Staphylococcus was submitted for subculture to onsure purification.

Biochemical properties were studied, including the following: Coagulase test, oxidase, urease, catalase nitrate reduction and novobiocin sensitivity test, sugar reaction were read at 37C˚ within 48hrs, negative ones were left for seven days before they were considered negative.

Results:

Out of the 100 samples of Dandorma ,showed bacterial growth 44 of them were found to contain staph species and this different species were identified, some of them are coagulase-positive and the others are negative .

The frequency of isolation of Staphylococcus species from Shambat school are shown in (table 1).

Table 1: Staphylococcus species isolated from 44 Dandorma samples.

Home made-ice cream	No. of samples	No. of positive samples	*Staphylococcus species*	Frequency
Dandorma	100	44	*S.sciuri*	12 (27.3%)
			S.caseolyticus	12 (27.3%)
			S.aureus	8 (18.2%)
			S.saprophyticus	4 (09.1%)
			S.delphini	4 (09.1%)
			S.arlettai	4 (09.1%)

The coagulase-positive *staphylococci* species isolated from Dandorma are shown in table (2).

Table 2: Coagulase-positive Staphylococci species isolated from 44 Dandorma samples.

Coagulase-positive	Frequency
S. aureus	8 (18.2%)
S.delphini	4 (9.1%)

The coagulase-positive *Stapgylococcus* species isolated from 44 Dandorma are shown in table (2).

Table3: The coagulase-negative *Staphylococcus* species isolated from 44 Dandorma samples.

Coagulase-positive	Frequency
S.sciuri	12 (27%)
S.caseolyticus	12 (27%)
S.saprophyticus	4 (9.1%)
S.arlettai	4 (9.1%)

Discussion

In the past, any organism isolated from foods and showing morphological resemblance to staphylococcus was considered as *Staphylococcus aureus* .In this study the presence of other species is confirmed.

The Present study showed that 44% samples of Dandorma tested contained *Staphylococci* species. This finding should be of health concern because Dandorma forms a major part of the staple ice cream for children schools in Sudan.

Species of *Staphylococci* isolated from Dandorma were identified as *Staphylococcus Sciuri Staph*, *caseolyticus*, *Staph-aureus, Staph Saparophyticus, Staph. delphini and Staph-arlettae***.** The most common Species insolated in this study were *Staph.sciuri, Staph. Caseolyticcus and Staph aureu,* and these species were known as the cause of gastroenteritis.

The species of staphylococcus isolated were divided into two groups, coagulase positive species which include *Staph. aureus* and *Staph delphini* and coagulase negative like *Staph. Caseolyticus, Staph . arlettae , Staph.sciuri and Staph.saprophyticus*.

This high prevalence rate (44%) of isolates from Dandorma was due to the methods and tools used in manufacturing, and also to the selling technique which is practiced. Another reason for this high prevalence was

that containers were continuously opened and closed for the purpose of selling and this will allow more contamination by dust and hands to occur. This observation is in agreement with Banwart (1981) and Frazier and Westhoff (1989) .The most important causes of contamination in Damdorma by *Staphylococcus*, were the frequent handling, poor personal hygiene and processing or preparation under an unsanitary condition.

Conclusion:

-The Results showed That the provided samples of Dandorma contain more over than one-Third of different species of staphylococci half-or the *Staphylococcus isolates* were coagulase-positive.

-Two-Third of the *Staphylococcus* isolates were coagulase-negative.

Recommendation:

-This locally made ice cream (Dandorma) should be checked by health authorities.

-Health education in schools.

References:

Arbuthnotm H.P. (1992).*Staphylocovvus infections pathogenicity, immunity, laboratory diagnosis and control*.

Medical microbiology infections. Ed by Daivid Greenwood

Richard, C-B Slack and John forest 14 th edition 203-210.

Banwart, G.I. (1981).Basic food microbiology. The Avi Publishing Company, Inc. West port, connect icut.

Barrow, G.L.and Feltham, R.K.A (1993) *Cowan and steel manual for the identification of medical bacteria* 3red edition Cambridge University press.

Dayne .,. D.N. and Wood, J.M. (1974).

The incidence of enterotoxin production in strains of Staphylococcus aureus isolated from foods .J.Appl. Bacteriol.37:317-325.

Frazier, W.C.and Westhoff, D.C.(1989). Food microbiology 4th edition.

Mc Craw- Hill book company, Newyork.

Gyles, C.L., and Thoen,C.O.(1993) Pathogensis of bacterial infection in animal 2 nd edition Lowa state university press/ Ames.

Jay, J.M. (1986). Modern food micicrobiology 3 rd edition wayne state university, New York.

Mohamed, S.S (1997).

Staphyloceccus species isolated from processed meat and frozen milk products. M.Sc University of Khartoum.

Sneath, P.H.A, Mair, N.S sharpe, M.c.and Holt, J.G (1986). Gram-positive cocci, section 12, Bergey,s Manual of systematic Bacteriology-2.

Tood,E.C.D.(1978) Food borne-Disease in six countries a comparison J.Fd prod . 41:559-565.

Wood, etal (1992). *Staphylococcus infections, pathogenicity, immunity, laboratory diagnosis and control*.

Medical microbiology infections. Ed by Daivid Greenwood

Richard, C-B Slack and John forest 14th edition 203-210.

The Relationship between Idioms and Culture with Reference to English/Arabic Translation

Dr. Saudi Hassan Salim Izzeldin

Abstract

Idioms are very difficult to understand not only for translators and learners but also for speakers of the native language. This paper considers the role played by social and religious culture in analyzing and understanding idioms in both English and Arabic Languages and identifies the obstacles faced in translating them and techniques and strategies used to overcome them.

المستخلص

من الصعب جدا فهم العبارات والجمل الاصطلاحية، ليس فقط من قبل المترجمين والدارسين، إنما أيضا من قبل الناطقين باللغة نفسها. تبحث هذه الورقة الدور الذي تلعبه الثقافة الاجتماعية والدينية في تحليل وفهم العبارات والجمل الاصطلاحية في كل من اللغتين الإنجليزية والعربية وتستكشف المعوقات التي تواجه في ترجمتها والأساليب والاستراتيجيات التي تستخدم للتغلب عليها.

1. Introduction

Idioms are one of the most fascinating aspects of English language, but also one of the most difficult to understand and translate. Idioms are usually defined as groups of words whose meaning is different from the individual words. So, "under the weather" has nothing to do with the literal meaning of the "weather": it means "feeling ill". As this example illustrates, in the majority of idioms the meaning can be almost impossible to guess out of the context, while some idioms are more transparent and their meaning should be quite easy to guess, especially in context such as "bear something in mind" and "use your head". Idioms may have universal meanings which are common to many languages or specific meanings which are, due to linguistic and/or the cultural restrictions confined to the speakers of that particular language and cannot be easily understood by speakers of other languages.

2. Literature Review

2.1 English versus Arabic

Linguistically, English is an Indo-European language partially inflectional, much word order dependent and non-diglossic, whereas Arabic is a Semitic language, dependent of verbs made up of three consonants as the basic root for all other vocabulary, highly inflectional and diglossic.

While English written language may contain some colloquial expressions, but this depends on register and genre type, Arabic written language does not allow colloquial expressions. Culturally, English and Arabic are spoken by nations that are geographically, religiously and socially distant. As language and culture are closely interrelated the gap between the SL and TL in the case of English and Arabic will be bigger. Hence, the bigger this gap the more difficult the transfer of message from SL to TL will be.

2.2Translation

Juliane House (2009:13) defines translation as a process of replacing a text in one language by an equivalent text in another. The three basic features of translation are thus text, equivalence and process.

Bell (1991:1) quotes a definition of translation as an expression in language TT of what was expressed in another language ST by securing stylish and semantic equivalence. Brislin (1976:1) define translation as: the general term referring to the transfer of thoughts and ideas from one language (source) to another (target).

2.3 Idioms

An idiom is a fixed expression whose meaning is not guessable from the meaning of its parts (Trask, 2000:67) e.g. "Let the cat out of the bag" (meaning: reveal the secret).

The main features of idioms are: metaphorical and cannot be understood directly, should not be taken literally, syntactically fixed, semantically invariable and mainly cultural and informal. Idioms are categorized in various ways according to their grammatical type (e.g. verb-adverb idioms), concept or emotion portrayed and image they convey (body Parts).

Idioms may occur in slang, proverbs, allusions, similes, dead metaphors, social formulate and collocations forms (Fernando, 1996:3). Furthermore, idioms were classified by Ghazala (2003:228) into full/pure idioms, semi-proverbial expressions, phrasal verbs, metaphorical catchphrases and popular expressions.

(Note: Many phrasal verbs are idiomatic. That is, the meaning of the verb and particle is different from the base verb of its own. For example the meanings of give up and give in are quite different from the meaning of give).

2.4Culture

Culture is a notoriously difficult to define. The following definitions have been suggested:

i. The Centre for Advanced Research defines culture as "shared patterns of behavior and interactions, cognitive constructs and understanding that are learned by socialization. Then it can be seen as the growth of a group identity fostered by a social pattern unique to the group"
ii. Anthropologists, define culture as the sum total of ways of living built up by a group of human beings and transmitted from one generation to another.
iii. Spencer-Oatey(2008:3) defines culture as a fuzzy set of basic assumptions and values, orientation to live, beliefs, policies, procedures, and behavioral conversations that are shared by a group of people and that influence (but do not determine) each member's behavior and his / her interpretations of the "meaning of other people behavior ".
iv. Matsumoto (1996:16) defines culture as the set of attitudes, values, believes and behaviors shared by a group of people but different from each individual, communicated from one generation to the next.

So, roughly, culture is a way of life of a group of people – the behavior, beliefs, values and symbols that they accept generally without thinking about them and that are passed along by communication and imitation from one generation to another.

2.5Translation Strategies

Krings (1986:18) defines translation strategies as Translators potentially conscious plans for solving concrete translation problems in the framework of a concrete translation task.

Loesher (1991:8) defines translation strategies as "a pre-meditative for solving a problem which is faced in translating a text or any part of text. Usually, five main sets of strategies involved in the handling of translation problems: strategies of comprehensions, strategies of equivalent retrieval, strategies of equivalent monitoring, decision making and strategies of reduction (Krings:2008:263).Graedlled puts forth some strategies of

translating culture specific concepts: making up a new word, explaining the meaning of the SL expression in lieu of translating, preserving the SL term intact and opting for a word in the TL which seems similar to or have the same as the SL term.

3. The influence of Culture on English/Arabic Idioms

Culture plays an important role in the course of idiom analysis. Without cross-cultural awareness translators or learners cannot catch the implied meaning of them.

Arabic and English languages and their society cultures have been greatly affected by religion and social factors like customs, morals, feelings, emotions, beliefs, interpersonal relationships and friendship, family life, marriage and economics, which make the gap between SL & TL wider and therefore translation a real problem, especially when dealing with idioms. See the following examples:

Examples for religious idioms:
English: you will go to your father (means: you will die) → affected by Christianity.
Arabic: **اسم الله عليك** (means: God protects you) → affected by Islamic culture.

Examples for socio-cultural idioms:

English: Golf widow (describes a wife whose husband usually leaves her alone and goes to play golf). Playing Golf is popular in UK and USA.

Arabic: **مقطوع من شجرة** (means: he has no relatives). It implies that all his family members are dead and he needs help and sympathy. This situation is not preferred by Arabs, so we can say Arabs prefer big family because this supports social rank and influence in the society.

In light of the above facts, it is believed translating idioms requires not only the linguistic and stylistic competence but mainly open minded understanding of different aspects of SL and TL cultures as well as knowing the origins of idioms. For example, The suggested origin of the previous example: let the cat out of the bag relates to the fraud of substituting a cat for piglet at markets. If you let the cat out the bag you disclosed the trick or may be the cat 'referred to is the cat o' nine tails, which was used to flog ill-disciplined soldiers.

4. Strategies for Translating the English/Arabic Idioms

Since idioms are socially and culturally bound expressions they have worked on borrowing, calque, transposition, modulation, equivalence and adaptation. The translator or learner should be fully aware of these techniques.

Some strategies may offer some solutions and guide for a translator such as:

i. Using a parallel idiom in the TL that coveys roughly the same meaning as that of SL e.g.:

To fish in the muddy water يصطاد في الماء العكر

ii. Using a similar meaning but dissimilar form e.g.:

i. Jack of all trades but master of non (سبع صنايع والحظ أو البخت ضائع

iii. Paraphrasing the idioms e.g.:

مثل الأطرش في الزفة can be translated into "having no idea about what is going on".

iv. Using notes in the translation and

v. Consulting informants, especially in religious translations.

5. English/Arabic Idioms and the Cognitive Process

Look at the following examples which demonstrate appropriate translations for selected idioms from and into both English/Arabic languages:

ii.	*To carry coals to Newcastle*	كناقل التمر إلى هجر
iii.	Storm ina tea cup	زوبعة في فنجان
iv.	Before you can say Jack Robinson	في لمح البصر
v.	With heart and soul	قلبا وقالبا
vi.	Give someone the cold shoulder	يقلب له ظهر المجن
vii.	By heart	عن ظهر قلب
viii.	From A to Z	من طقطق للسلام عليكم (عامية)
ix.	To wipe out totally	يأكل الأخضر واليابس
x.	First with the first	أول بأول

xi.	*The apple of my eye*	قرة عيني
xii.	To shed crocodile tears	يذرف دموع التماسيح
xiii.	xii. The lion share	حصة الأسد
xiv.	A pie in the sky	عشم إبليس في الجنة
xv.	Two peas in a pod	فولة وانقسمت نصين (عامية)
xvi.	A broken reed	حيطة مايلة (عامية)

From analyzing the above English and Arabic idioms and their equivalents we reach the conclusion that the cognitive process employed by mankind remains constant and universal.

6. Conclusion

Idioms, whether English or Arabic, are culture bound and can never be literally translated. Thus, translators and learners should pay attention to the context and the equivalence of a particular idiom. They should find the equivalence in the same language (SL) first and then in the target language (TL). In addition they should be aware of translation techniques. Generally translators as well as learners should adopt a strategy when tackling such a demanding phenomenon.

Bibliography

Ali Yunis Aldahesh. (2013). *On idiomaticity in English and Arabic: A across linguistic study.* Journal of language and culture dated 13 March 2013. Sydney.

Baker, M. (1992).*In other words, a course book on translation*. London: Routledge.

Balfaqeeh, N. (2009). *Strategies for translating idioms and culturally bound expressions with the human development genre.* M.A. dissertation. University of Birmingham.

Cambridge Idioms Dictionary.(2013).Cambridge University Press.

Gairns and Redman.(2011). *Idioms and phrasal verbs.* Oxford. Oxford University Press.

Ghazalah, H. (2008).*Translation as problems and solutions*.Dar ElilmLilmalayin. Lebanon.

Ghazalah, H. (2003). *Idiomaticity between evasion and invasion in translation*: Stylistic, aesthetic and connotative considerations. Babel.

Fernando, C (1994). *Idioms and Idiomaticity.* Oxford. Oxford University Press.

Krings, H.P. (1986). *Translation problems and translation strategies of advanced German learners.* In J. House.

Larson,M.(1984). *Meaning based translation: A guide to cross language equivalents.* Lanham: University Press of America.

Loescher, W. (1991).*Translation performance, translation process and translation strategies.* Tuebingen: Guten Narr.

Mc Carthy & O'Dell.(2002). *English idioms in use, Cambridge.* Cambridge University Press.

Muna, A.S. (2012). *Strategies for translating idioms from Arabic into English and vice versa.* Journal of American Arabic Academy for Sciences and technology**,** Volume 3, Number 6.

Matsumoto, Spencer–Oatey, Bell, Brislin Definitions Available at: http://www2.warwick.ac.uk/fac/soc/al/globalpad/openhouse/intercultural skills/

Spencer-Oatey, H (2012), *What is culture? A compilation of quotations, Global PAD Core Concepts.* Available at Global PAD Open House: http://go.warwick.ac.uk/globalpadintercultural

Transmissibility of *Theileria lestoquardi* between sheep and goats

Taha, K. M.[1] ; ElHussein, A. M.[2] and Abdulla, H. S.[3]

1- Atbara Vet. Res. Lab., Sudan

2- Central Laboratory, Ministry of Sci. and Tech, Khartoum, Sudan

3- Faculty of veterinary medicine, U of K.

Abstract:

In an experimental infection, transmission of *Theileria lestoquardi* was carried out from diseased sheep to susceptible goats via infected ticks application and parasitized blood transfusion. A similar reverse transmission was done from carrier goats to susceptible sheep. A weak intermittent parasitaemia and weak signs of malignant ovine theileriosis appeared on infected goats and sheep However decrease in haemoglobin (gm/dl), R.B.Cs. Count, and packed cell volume values were more evident in infected sheep than in goats.

المستخلص:

في دراسة إمراضية، تم نقل طفيل الثايليريا ليستوكاردي من ضأن مصاب سريرياً لماعز قابل للإصابة عن طريق وضع القراد المصاب ونقل الدم الحامل للطفيل. وفي دراسة شبيهة لنقل المرض عكسياً من ماعز حامل للطفيل لضأن قابل للإصابة، ظهرت الإصابة بالطفيل ضعيفة بصورة متقطعة كما ظهرت أعراض ضعيفة لثايليريا الضأن الخبيثة في الماعز و الضأن. عموماً، لوحظ نقص في كمية الهيموقلوبين (جم/دسلتر)، عدد كريات الدم الحمراء ومكداس الدم في الضأن المصاب أكثر مما لوحظ في الماعز.

Introduction:

Malignant ovine theileriosis is a serious infectious tick-borne protozoan disease which takes acute, sub-acute or chronic forms. It is transmitted by certain species of ticks of the family Ixodidae (Dolan, 1989). The disease is caused by *T. lestoquardi nomen novum* (Morel and Uilenburg, 1981) and transmitted mainly by *Hyalomma anatolicum* ticks mainly (Latif *et al*., 1994; ElHussein *et al.*, 1993). Malignant ovine theileriosis occurs in South Eastern Europe, Northern Africa, the Near and Middle East and Southern USSR (Dolan, 1989; Uilenberg, 1997). Epidemiology of the disease is tied

to many factors such as the vector distribution and climatic effects (Haddadzadeh *et al*., 2004). The disease was firstly described in Sudan by (Mason, 1915) and known to cause high mortality rates among sheep in Northern Sudan (ElGhali and ElHussein, 1995).

Although the disease was mentioned to affect small ruminants, it was far less studied in goats than in sheep. Dzhunkovskii and Urodshevith (1924); cited in Morel and Uilenburg (1981); reported the disease in goats in Serbia. The disease also has been reported in Sahelian goats with marked clinical signs (Pabs-Garnon and Foley, 1974). In River Nile State, Nothern Sudan, 10 out of 82(12.2%) surveyed goats showed piroplasms in their blood, and antibodies were detected in (38%) apparently healthy goats in River Nile State, Sudan (Taha *et al*., 2003). Generally, the clinical picture of the disease is more mild in goats (Taha, 2000).

The present work was designed to study the transmissibility of *T. lestoquardi* from sheep to goats and vice versa.

Materials and methods:

Experimental animals:

A total of nine sheep and five goats, four to eight months old, were purchased from Eddamazeen town (South eastern Sudan) where it is reported to be free of *Hyalomma anatolicum* ticks (Jongejan *et al*., 1987). Other two tick free local goats were obtained from Atbara town as susceptible animals. All animals were kept in a tick proof pen and monitored for 30 days before infection to verify their disease free status and then for 90 days post infection (PI).

Theileria donor animals were two apparently healthy local goats found to be carrier of theileriosis with intermittent parasitaemia of <1/1000. These two goats were spleenectomized to enhance flare up of the infection. They were also given four immunosuppressive doses (0.5 mg/kgm body weight) 24 hours apart using 9 – Alta – fluro – 16 – Alta methylpecdnisolona formula (Dexamethazone-Richter Pharma, Austria). The first dose was injected on the first day of ticks application and transfusion of blood was carried out on the day following the last dose. Similarly, two clinically diseased sheep with 2% and 5% parasitaemia levels were used as donors.

Ticks:-

Clean *Hyalomma anatolicum* ticks were obtained by rearing on rabbits for three successive cycles. Ticks were applied in ear bags as described by Bailey (1960). Non feeding stages of the tick were kept in a desiccator with 75% relative humidity at room temperature.

During monitoring, clinical status, rectal body temperature was recorded daily. Geimsa's stained blood and lymph node biopsy smears were examined every other day. Red blood corpuscles (RBCs), white blood corpuscles (WBCs), concentration of haemoglobin (Hb) in gm/dl and packed cell volume (PCV) were examined weekly.

Grouping of animals:

Experiment (I):

Thirty to 45 adults of *Hyalomma anatolicum* ticks from a batch showing 14% *Theileria lestoquardi* infection rate after feeding as nymphs on an infected sheep with 2% parasitaemia, were applied to each of the two local goats (G3A and G4A) and to each of two goats from Edamazeen (G5D and G6D).

Experiment (II):

Fifty to 100 adult *Hyalomma anatolicum* ticks which fed as nymphs on carrier goats were applied on each of six sheep of Eddamazeen (2-1, 2-2, 3-1, 282 and 284). The infection rate in this batch of ticks was not determined due to the low numbers of ticks fed on the goats

Experiment (III):

A volume of 20 ml of blood obtained from the jugular vein of each carrier goats in EDTA, tubes were mixed and then injected both intravenously and subcutaneously into each of two sheep of Eddamazeen (280 and 281) in equally divided volumes. One sheep (179) was left as control.

Experiment (IV):

A volume of 40 ml of blood obtained from clinically diseased sheep, showing 5% parasitaemia, was injected in equal volumes (10ml)

intravenously and subcutaneously into two goats of Eddamazeen (277 and 278). One goat (276) was left as control.

Results:

Transmission of Theileria from sheep to Atbara goats by ticks:

Piroplasms were firstly detected in recipient goats 18 to 19 days post infection (PI). Schizonts were never seen in lymph node biopsy smears. Rectal body temperature rose (exceeded 40ºC) 7 to 8 days PI. Slight enlargement of prescapular lymph nodes was noticed 4 to 7 days PI.

Haematological parameters observed before infection (Pre I) and post infection (PI) as shown in table (1) revealed decrease in RBCs count from 10.11± 1.78 to 8.24 ± 2.53 and decrease in Hb gm/dl rose from 8.17 ± 0.75 to 7.44 ± 0.73 while PCV showed slight non significant decrease.

Table (1): Haematological changes in *Theileria lestoquardi* infected goats of Atbara by *Hyalomma anatolicum* ticks.

	RBCs	WBCs	Hbgm/dl	PCV
Pre I	10.11±1.78	6.381±2.315	8.17±0.75	23.75±3.28
PI	8.24±2.53	6.346±1.561	7.44±0.73	20.57±3.99

Transmission of *Theileria* from sheep to Eddamazeen goats by ticks:

Piroplasms were firstly seen in infected goats 10 to 12 days PI. Schizonts were never seen in lymph node biopsy smears. Rectal body temperature rose 6 to 11 days PI and fever remained 0ne to eight days. Goat G5D died 21 days PI after a short course of diarrhoea and general weakness. Other symptoms observer during postmortem included pale yellowish serosa and conjunctiva, enlargement of mesenteric and prescapular lymph nodes and congested liver.

Table (2) shows the haematological changes observed in goats. RBCs count and Hb gm/dl. values decreased significantly from 10 31± 0.85 to 5.93 ± 2.47. and from 7.77 ± 0.49 to 5.52 ± 1.30 respectively. PCV showed slight non significant decrease.

Table (2): Haematological changes in *Theileria lestoquardi* infected goats of Eddamazeen by *Hyalomma anatolicum* ticks.

	RBCs	WBCs	Hbgm/dl	PCV
Pre I	10.31±0.85	7.55±0.849	7.77±0.49	23.00±2.83
PI	5.93±2.47	8.371±4.486	5.52±1.30	17.44±4.83

Transmission of *Theileria* from carrier goats to sheep by ticks:

Sheep (2-1) died on day 46 PI. In spite of failure to detect any parasitic stage in its blood and lymph node biopsy smears, the animal showed a short course of fever started on day five PI. Enlargement of parotid lymph nodes started on day five and returned to normal size on day 16. nasal discharge and rales were noticed three days before death. Sheep (2-2) showed both schizonts (on day 16) and piroplasms (on day61) in its lymph node biopsy and blood smears, respectively. Fever was detected three days PI and fluctuated till 46 then settled to normal. The animal died on day 70 showing pale yellowish serosa and enlarged mesenteric lymph nodes.

No piroplasms were seen in sheep (3-1) while schizonts were detected firstly on day eight. Body temperature reached 40C on day five and fluctuated till death on day 47. Observed symptoms were nasal discharge and general weakness. Sheep (3-2) showed no piroplasms while schizonts were detected firstly on day six. Body temperature never exceeded 39.7C, but enlargement of prescapular and parotid lymph nodes was observed on day nine. The animal died on day 45 showing nasal discharge, general weakness and recumbancy. Postmortem findings appeared as hepatization of lungs, enlargement of mesenteric and mediastinal lymph nodes, pale yellowish serrosa, petichial haemorrhage on abomasal mucosa and distended gall bladder. No parasitic stage was detected in the impression smears of the above organs. PCV showed significant drop from 19.25+4.5 to 15.18+3.22, while slight changes were noticed in RBCs, WBCs and Hb (table 3).

In sheep 282 and 284, Piroplasms were detected on days 11 and 44, respectively. Schizonts were seen on day 11 and 64 PI. Sheep 282 developed enlargement of one prescapular lymph node three days PI and returned to normal size after 14 days. The animal showed diarrhea on day seven. No. 284 showed enlargement of prescapular and parotid lymph nodes before dieing on day 12 showing haemorrhagic batches on the abomasal mucosa and enlargement of mesenteric lymph nodes.

Table (3): Haematological changes of sheep infected with *Theileria lestoquardi* transmitted from goats through ticks.

	RBCs	WBCs	Hbgm/dl	PCV
Pre I	9.20±0.47	8.850±2.477	7.56±0.98	19.25±4.50
PI	7.36±1.93	9.788±4.132	6.92±0.76	15.18±3.22

Transmission of *Theileria* from goats to sheep by blood transfusion:

Sheep inoculated with parasitized goat's blood showed piroplasms 37-47 days and schizonts 42-65 days PI. Fever was detected intermittently 11-65 days PI. Sheep (280) showed enlargement of prescapular lymph nodes eight days PI, while diarrhoea accompanied with loss of appetite was noticed on day 54 PI. In sheep (281), diarrhoea occurred on day 12 and enlargement of one parotid lymph node was observed on day 28 PI. The latter animal died on day 72 showing general weakness and recumbence. Control sheep (279) developed no clinical signs till the end of the monitoring period. Table (4) illustrates the haematological changes of the infected and control sheep.

Table (4): Haematological changes of sheep infected with *Theileria lestoquardi* transmitted from goats through blood transfusion.

		RBCs	WBCs	Hbgm/dl	PCV
Control	Pre I	5.91±0.00	10.100±0.00	6.30±0.00	19.00±0.00
	PI	6.38±1.15	10.500±1.023	6.16±0.26	13.75±1.26
Infected	Pre I	6.99±3.01	9.550±6.505	6.16±0.00	14.00±1.41
	PI	6.97±1.52	8.100±1.91	6.19±0.39	12.96±2.06

Transmission of *Theileria* from sheep to goats by blood transfusion:

Piroplasms appeared in goats (277, 278) inoculated with parasitized sheep's blood 25-66 days PI. Schizonts were detected in both animals 76 days PI. Rectal body temperature of animal (277) exceeded 40ºC after four days PI. and fluctuated for 19 days. Control goat (276) developed no clinical signs till the end of the monitoring period. Table (5) illustrates the haematological changes of the infected and control sheep.

Table (5): Haematological changes of sheep infected with *Theileria lestoquardi* transmitted from goats through blood transfusion.

		RBCs	WBCs	Hbgm/dl	PCV
Control	Pre I	8.62±0.42	10.675±2.086	6.37±0.10	15.00±0.00
	PI	9.00±1.77	11.473±2.686	6.44±0.34	14.92±2.40
Infected	Pre I	11.08±2.56	10.650±2.753	7.74±0.50	22.25±4.86
	PI	8.76±2.16	10.754±2.563	6.73±0.65	17.38±3.87

In all above experiments, parasitaemia detected never exceeded <1/1000, piroplasms were seen frequently and schizonts were rarely detected. Clinical signs were more obvious on infected sheep than goats.

Discussion:

Ticks used in transmission of infection to goats in the present study showed 14% infection rate. The had picked up the parasite from experimentally infected sheep. This sheep had been infected with ticks which fed on carrier sheep from Atbara town showing 2% parasitaemia (Osman, 1999). The parasite was identified serologically as *Theileria lestoquardi* (Latif, A. – personal communication). Although Osman (1999) successfully transmitted the parasite with the same batch of ticks to susceptible sheep, susceptible goats in the present investigations showed sub clinical infection with doubtful signs of theileriosis in spite of the use of immunosuppressive drugs. The same reaction was also noticed even when they were inoculated with infected sheep blood with high parasitaemia. This may indicate natural resistance of goats in Sudan to development of clinical malignant theileeriosis. In this respect, similar results were also obtained by Hooshmand-Rad and Hawa (1973), Sasmal *et al*., (1983) and ElHussein *et al*., (1998). The first authors failed to induce the disease in a goat in Iraq using liver emulsion of clinically infected sheep. The animal developed neither clinical disease nor parasitic stages in its blood. Likewise, Sasmal *et al*., (1983) recorded weak clinical signs even after cortisonisation of infected goats. However a major difference our results and the results obtained from the present study is the high parasitaemia (up to 31.86%) detected by Sasmal *et al*., (1983) in inoculated goats, in spite of their use of a lesser dose (10 ml) of parasitized blood with a lower parasitaemia (3.5%). ElHussein *et al*., (1998), on the other hand, detected both piroplasm (< 1/1000) and very few

shizonts in goats infected with parasitized sheep blood, but no apparent clinical picture of the disease was manifested. However and despite all the reports on the resistance of of goats to development of clinical disease due to *T.lestoquardi* infection, their role in the epidemiology of the disease should warrant further studies especially in Sudan where sheep and goats are usually raised together and where multiplicity of animal ecotypes and /or breeds , and tick vectors in various ecological zones do exist.

Absence of clinical malignant theileriosis and weak experimental response in sheep in the present study is in contrast to that reported by Osman (1999).This may be attributed to the natural differences in resistance to the parasite by the different breeds or ecotypes, or it may be referred to the doses and/or strains of the parasite used. Such factors deserve further investigations.

References:

Bailey, K. P. (1960). Notes on the rearing of *Phipicephalus appendiculatus* and their infection with *Theileria parva* for experimental transmission. Bull. Epiz. Dis. Afr. 8: 33-43.

Dolan, T. T. (1989). Theileriosis: A comprehensive review. Revue Scientifique et Technique (International Office of Epizootics), Rev. Sci. Tech. off. Int. Epiz., 8: 11-36.

Dzhunkovskii, E. and Urodschevith, V. (1924). Theilleriosis in goats, sheep and cattle with a description of *Theileria hirci* (nov. sp) from Serbia. Parasitology. 16: 107-110. Cited by: Morell, P. C. and Uilenberg, G. (1981). Rev. Elev. Med. Vet. Pays Trop. 34: 139-143.

ElGhali, A. and ElHussein, A. M. (1995). Diseases of livestock in EdDamer Province, El Nil State, Sudan: A two-year retrospective study. Sud. J. Vet. Sci. Anim. Husb. 34: 37-45.

ElHussein, A. M.; ElGhali, A. and Mohammed, S. A. (1993). Efficacy of buparvaquone in the treatment of malignant theileriosis of sheep in Ed-Damer Province, N. State, Sudan, A field trial. Sud. J. Vet. Res., 12: 51-57.

ElHussein, A. M.; ElGhali, A.. and Mohammed, S. A. (1998). Experimental infection of goats with pathogenic ovine *Theileria hirci* in Edamer Province-Sudan.. Sud. J. Vet. Sc. Anim. Husb. 37 (1-2): 190-192.

Haddadzadeh, H. R.; Rahbari, S.; Khazraii nia, P. and Nabian, S. (2004).New concept on limiting factors of Ovine and Caprine Malignant Theileriosis (OCMT) in Iran. Iranian Journal of Veterinary Research, University of Shiraz. 5(2):43-46.

Hooshmand-Rad, P. and Hawa, N. J. (1973). Malignant theileriosis of sheep and goats. Trop. Anim. Hlth. Prod. 5:97-102.

Jongejan, F.; Zivkovic, D.; Pegram, R. G.; Tatchell, R. J.; Fison, T.; Latif, A. A. and Paine, G. (1987). Ticks (Acari, Ixodidae) of the Blue and White Nile ecosystem in the Sudan with particular reference to the *Rhipicephalus sanguineus* group. Exp. App. Acarol., 3: 331-346.

Latif, A. A.; Abdulla, H. M.; Hassam, S. M.; Zubeir, N.; Morzaria, S. P.; Osman A. M. and Mustafa, U. E. (1994). Theileriosis of sheep in the Sudan. Proceedings of a workshop held at the Sudan Veterinary Association Residence. Khartoum, Sudan., 4-5 May 1994. pp.66-72.

Mason, F. E. (1915). Ann. Report (1914). Vet Service Ministry of Agri. Vet. Pathol. Report. Gov. Press 44, Cairo, Egypt.

Morell, P. C. and Uilenberg, G. (1981). The nomenclature of some *Theileria* species (Sporozoa, Babesioidea) of domestic ruminants. Rev. Elev. Med. Vet. Pays Trop., 34: 139-143.

Osman, I. A. (1999). Some studies on Malignant Ovine Theileriosis in Northern Sudan. M. V. Sc. Thesis, University of Khartoum, Sudan. Pp. 46-89.

Pabs-Garnon L, Foley VA (1974) Caprine theileriosis in Sierra Leone: first recorded case. Vet Rec 29:603

Sasmal, N. K. ; Biswas, S. S. ; Bhattacharyya, B. ; Banerjee, C. D. And Maitra, D. N. (1983). *Theileria hirci*. Studies on transmission from Sahabadi sheep to black Bengal goats. Indian Vet.J. : 599-602.

Taha, K. M (2000). Some Studies on the Role of Goats in the transmission of Malignant Ovine Theileriosis. M. Sc. Thesis, University of Khartoum, pp. 71.

Taha, K. M.; ElHussein, A. M.; Abdalla, H. S and Salih, D. A. (2003). *Theileria lestoquardi* infection in goats in River Nile State: Comparison of

serology and blood smears. Sud. J. Vet. Sci. Anim. Husb. 42(1&2): 197-206.

Uilenberg, G. (1997). General review of tick-borne diseases of sheep and goats world-wide. Parassitologia, 39: 161-165.

Uilenberg, G. (1983). Tick-borne livestock diseases and their vectors 2. Epizootology of tick-borne diseases., FAO World Animal Review. 36: 12-19.

Effect of Nitrogen Fertilization on Growth and Yield of Banana.

Intisar Mohammed Bakheit[1] and Abdel Gaffar Elhag Said[2]
[1]Department of Horticulture, Faculty of Agriculture, University of Dongla, Dongla, Sudan
[2]Department of Horticulture, Faculty of Agricultural Studies, Sudan University of Science and Technology, Khartoum, Sudan

Abstract

A field experiment was conducted at the Demonstration Farm, Faculty of Agriculture; University of Khartoum-Shambat, during the period of 2001-2002, to study the effect of N-fertilization on growth, crop cycle duration and yield and yield components of banana (*Musa* spp.) cv. "Dwarf Cavendish" under field conditions. Three rates of nitrogen fertilizer (0, 250, and 350gN/ mat) in the form of urea (46%N) were applied to banana plants in four equal split doses. The first dose was applied at planting and the other three doses were applied at two months interval. Treatments were arranged in a completely randomized block design and replicated four times. The results showed that the application of N in this study enhanced all measured growth attributes and yield and yield components of both the plant crop and first ratoon crop compared to the control. The highest values for all measured parameters were obtained at the N level of 350gN/mat, which resulted in early shooting and faster fruit maturity of both plant crop and first ratoon crop. The control treatment, however, delayed shooing and fruit maturity. It is, noted that significant differences among N treatments were more evident in the first ratoon crop than in the plant crop.

Key word: Banana cultivation, Dwarf Cavendish, Nitrogen fertilization, *Musa* spp. Urea

تأثير التسميد الازوتي على نمو وإنتاج الموز

المستخلص

أجريت تجربه حقليه في المزرعةِ الإيضاحية، كلية الزراعة، جامعة الخرطوم–شمبات خلال عامي 2001–2002 لدراسة تأثير السماد النيتروجيني على نمو وإنتاجية الموز صنف "كافندش القزم" تحت طروف الحقل. نفذت التجربة الحقلية خلال عامي بالمزرعة التجريبية لكلية الزراعة، جامعة الخرطوم– شمبات باتباع التصميم العشوائي كامل القطاعات بأربعة مكررات. استخدمت ثلاثة مستويات من سماد النيتروجين (0.0، 250 او350 جم نيتروجين للنبات). في شكل سماد اليوريا

(46%نيتروجين). تمت تجزئة كل مستوى إلى اربع جرعات متساوية. أضيفت الجرعة الأولى عند الزراعة وأضيفت الثلاثة الأخر واحده بعد كل شهرين لنبات الغرس والخلفة الأولى. استخدم في تنفيذ التجربة تصميم القطاعات العشوائية الكاملة بأربعة مكررات. أظهرت النتائج أن إضافة النيتروجين أدت إلى زياده كبيره في معايير النمو والإنتاجية ومكونات الإنتاج في محصول الغرس ومحصول الخلفةِ الأولى مقارنةً بمحصول الشاهد. وقد أعطت المعاملة 350جرام نيتروجين للنبات اعلى قيم لكل المعايير المرصودة للنمو وللإنتاجية ومكوناتها كما أدت إلى التبكير بالأزهار ونضج الثمار مقارنةً بمعاملةِ الشاهد. لوحظ ان الفروقات المعنوية كانت اكثر وضوحاً في محصول الخلفةِ الأولى عن محصول الغرس.

INTRODUCTION

Bananas belong to the genus *Musa*, one of two genera of the family Musaceae. They are large herbaceous, rhizomatous, monocotyledonous, perennial plants (Morton, 1978). Banana is an important crop in Sudan grown almost in every state of the country, predominantly on smallholdings, for local consumption and export. The areas under banana increased tremendously during the past few years; but yields and quality are generally low; attributable to poor management and inadequate cultural practices.

Nitrogen plays a dominate role in banana nutrition (Dorel and Perrier, 1990) and is generally the most important for optimum growth and development and subsequent yields of banana even in relatively fertile soils (Butler, 1960). It is necessary for cell division at the meristematic zones and consequently vegetative and reproductive growth stages (Robinson, 1996) and is one of the nutrient elements most likely to become exhausted and to require replacement by the application of nitrogenous fertilizers (Purseglove, 1975; Warner, *et al.*1976; Robinson, 1995). The deficiency of N is more evident than that of any other major essential nutrient elements (Robinson, 1996). Its application results in a prompt increase in vegetative growth (Lahav and Israeli, 2000). Yearly application of 20 to 50 tonnes of manure per feddan, (1fed =0.42 ha), is a common practice in banana growing areas in Sudan. Chemical fertilizers are rarely used due to either their prohibitive price, ignorance of banana growers or their attempt to reduce production cost. It is also claimed that the light soils along river banks and Gash Delta on which banana is produced are fertile, without substantial evidence. Assessment of fertilizer requirements and frequency of application are

empirical, governed more by practical experience and tradition rather than by scientific research.

A number of studies, worldwide, showed positive effects of application of adequate N levels on banana growth, yield and yield components (Langenegger and Smith, 1988; Dorel and Perrier, 1990; Srinivas, 1997; Oliveira, 1999; Shailendra, *et al.*1999; Singh and Suryanaryana, 1999; Attia, *et al.*2001; Kassem, *et al.*2001) to mention but some. Excessive application of N fertilizers reduces bunch weight and consequently yields (Langenegger and Smith, 1988; Dawood, *et al.*1999; Singh and Suryanaryana, 1999). Likewise, deficiency results in a reduction in number, size and colour of leaves (Samson, 1989); poor vegetative growth, yield and yield components (Robertson, 1996; Lahav and Israeli, 2000). The magnitude of the response to nitrogen application varied with locality, environmental conditions, cultural practices adopted, N form and cultivar.

The duration of the crop cycle, from planting to harvest is an important component of banana production; the shorter, the better. Flowering in banana can occur at any time of the year (Turner, 1970) when the suckers are about 8-10 month old and has produced about 25-50 leaves (Robinson, 1995). Accordingly, fruit maturation and harvesting are not associated with a particular season as in most other fruit crops. Application of adequate nitrogen tends to stimulate early shooting and consequently shortened the time to fruit maturation and harvesting and the total duration of the crop cycle (Oliveira, 1999; Singh and Suryanaryana, 1999; Kassem, *et al.* 2001; Osman, *et al.*2004). Excessive N application on the other hand, delays shooting and fruit maturity (Arunachalam, *et al.* 1976; Singh and Suryanaryana, 1999).

Banana in Sudan had been under-searched by scientists and under-valued by government policy makers. Only very scanty information on chemical fertilization of banana, under nursery (Eltahir and El Amin, 1999) and field conditions (Biely, *et al.*1975; Eltahir and Hassan, 1997; Eltahir and Bakhiet, 1999; Dawood, *et al.*1999; Osman, *et al.* 2004), is available. Dawood, *et al.* (1999) found that banana growth and yield and yield components significantly increased with nitrogen application up to 184gN/mat, but further increase in nitrogen levels depressed yield and yield components. Similarly, Eltahir and Bakhiet, (1999) and Osman, *et al.* (2004) reported that banana shows positive responses to nitrogen in combination

with potassium or potassium and phosphorus as manifested in vegetative growth and yield components and yield. Fertilizer application is governed more by practical experience rather than by scientific studies.

Nowadays, banana is receiving much attention from governmental and private sectors and there has been an increasing awareness of the potential and importance of banana as a food source and as a cash crop. Local scattered improvement programs have been initiated in some universities and national research stations. Associated with these programs has been the need to identify constraints to local banana production through development of better cultural practices such as irrigation systems and fertilizer programs. Banana in Sudan is particularly sensitive to deficiencies of plant nutrients especially nitrogen. Nitrogen is one of the elements most likely to become exhausted and to require replacement by fertilizer application. It is the nutrient element most often limiting plant growth, can significantly affect banana growth and morphological development and subsequent yields. The present study was, therefore, conducted to assess the effects of urea fertilization on vegetative and reproductive growth of the "Dwarf Cavendish." banana cultivar under field conditions.

MATERIALS AND METHODS

The experiment of this study was carried out at the Demonstration Farm of the Faculty of Agriculture, University of Khartoum-Shambat at the intersection of Latitude 15°40′ North, and Longitude 32°32′ East, at an altitude of 376m above mean sea level to study the response of banana (*Musa*, AAA Group, Cavendish subgroup "Dwarf Cavendish") to nitrogen fertilization. The locality has a semi- arid climate with low relative humidity. The maximum temperature in summer is around 45 and 21°C minimum in winter (Oliver, 1965; Adam, 2002). The soil, (within the 0 to 60 cm soil profile), is alkaline with a pH between 8.0 and 8.5 and was not adjusted. The mean percentages of sand, silt and clay are 43, 20 and 37% respectively; and is classified as clay loamy, with poor water infiltration and poor soil structure, containing about 0.07% nitrogen, 0.1935meq/l available phosphorus and 0,23meq/l potash (Mohamed, 1999). The site of the experiment had remained fallow for 4 consecutive years prior to experimentation. The experimental land was ploughed, harrowed, leveled, and divided into 4 blocks. Each block was divided into three flat basins (plots) of dimensions 6-X4-m^2 .Six planting holes, (pits), of 50-X 25-X 25-

cm dimensions were dug in each plot and 2 kg of fermented farmyard manure together with 25g Furedan were applied to the bottom of each hole.

Five-months-old maiden suckers of banana (*Musa* AAA Group; Cavendish subgroup "Dwarf Cavendish") were used as planting material in this study. One hundred suckers of uniform size and comparable shape were obtained from a commercial banana plantation, Al-Gaily area, North of Khartoum. Dry leaves and injured roots were carefully removed and the suckers were cleaned from dust, soil debris and disinfested by immersion into a solution of 25g/l Furedan.

The treatments were three levels of N in the form of urea (46%N); namely, O, 250 and 350g N/mat. Each level was applied in four equal split doses. The first dose was applied at planting and the other three doses were applied at two month interval each one doses composed o 62.5g,87.5g per stool for 72 plants in the experiment. The weighed amount of each dose was uniformly broadcasted by hand around each mat, about 20cm away from pseudostem, and then thoroughly mixed into the soil. Treatments were arranged in a randomized complete block design with four replications. Six suckers, (an experimental unit), were planted per plot at a spacing of 2.5-X2.5-m. Planted suckers were irrigated immediately after planting and then an irrigation regime was implemented with a 7 days interval during summer and 12 to 15 days during autumn and winter. Dead and slow growth suckers were replaced three weeks after planting and weeding was done manually by hand hoeing as needed. Dead and damaged leaves were removed and pruning of unwanted suckers was carried out once every four months leaving only the mother, and first ratoon plants at all times. Bearing plants were propped-up by means of a forked stick and were harvested when fingers reached the three- quarter grade.

Data were recorded at shooting time. Pseudostem height was measured at 5cm above the ground level up to the point of intersection of the petioles of the two youngest leaves. Pseudostem girth was measured with a Verner cliper at 5-cm above the ground level. The number of days from planting of the plant crop and from the emergence of the first sucker of the ratoon crop to shooting and also from shooting to harvesting of both the plant crop and first ratoon crop was counted and recorded. Yield and yield components of both the plant crop and the first ratoon crop were determined. Weight of bunches, stalks, hands and fingers was recorded. Number of hands per bunch, fingers per bunch and fingers per hand was counted. Bunch

weight was used as an index of total fruit yield. The potential yield was calculated as the product of the average weight of bunches and the number of banana plants per feddan. Data were subjected to analysis of variance procedures of the SAS Institute, (1990) and Duncan Multiple Range Test was used to separate treatment means.

RESULTS

Vegetative growth

Data portrayed in Table 1 indicate that in banana application of nitrogen enhanced pseudostem elongation and thickness and formation of large number of leaves in both plant crop and the first ratoon crop. These positive effects of N application on banana were evident in the first ratoon crop. The elevated level of N (350gN/mat), however, recorded the highest values in all measured growth variables, maintained a high vigorous and healthy growth rate and effectively increased rate of production of dark green leaves compared to those receiving lower N levels (0 and 250g urea/mat). Significant differences also were found for number of leaves among treatments. It is, noted that the leaves were rather more responsive to N application compared to pseudostem height and girth which gave comparatively low values.

It is worth mentioning that all suckers planted on the highest nitrogen level survived the transplanting process, whereas an appreciable number of dead or slow growth suckers planted on either of the two other nitrogen levels were replaced. The type of growth and development banana plants make in the early stages is critical for later development and yield. Visually, banana plants receiving the highest nitrogen level had healthy and green plants and produced significantly greater number of leaves than the lower N levels.

Production components

Table 2 shows that the duration of the crop cycle, from planting to shooting and from shooting to harvest in the plant crop and the first ratoon crop was significantly reduced by application of nitrogen. Application of N significantly decreased the number of days from planting to shooting and also from shooting to fruit maturation and harvesting compared to the control with significant difference among treatments. The vegetative cycles of banana plants receiving 350gN/mat were shorter than those receiving 250gN/mat or those of the control.

Likewise, and as displayed in Table 3, nitrogen caused substantial increases in mean weights of bunch, stalk, hand and fingers in both the plant crop and the first ratoon crop. Nitrogen also significantly increased number of hands per bunch, fingers per bunch and per hand in both the plant crop and the first ratoon crop; the highest nitrogen level tested (350gN/mat) resulted in the greatest values for all variables.

Nitrogen also resulted in a significant increase in potential yield in both plant crop and first ratoon crop. The highest potential yield was achieved at the highest nitrogen level (350gN/mat), whereas the lower nitrogen level showed similar but significantly higher potential yield than the control.

DISCUSSION

The results of this study showed that banana plants responded to the different N levels tested. This response was perceived in increases in all attributes of vegetative and reproductive growth stages attributes and potential yield. Best vegetative growth were obtained following the application of the highest N level (350gN/mat). The differential responses to N application regarding vegetative growth of banana reported in this study corroborated the findings of others (Dorel and Perrier, 1990; Baruah and Mahanta, 1997; Srinivas, 1997; Dawood, *et al.*1999; Shailendra, *et al.* 1999; Kassem, *et al.*2001; Osman, *et al.* 2004) who found that the values of measured growth attributes increase as N level increases with some variation in response at the highest N level tested; being insignificant (Srinivas, 1997; Dawood, *et al.*1999) or decreased growth and yield (Langenegger and Smith, 1988; Gamaledin, 1992; Singh and Suryanaryana, 1999; Osman, *et al.* 2004).

The effect of nitrogen on vegetative growth was notable in the first ratoon crop in accordance with the findings of Eltahir and Bakhiet, (1999).The lack of significant difference in measured growth and yield attributes in the plant crop possibly resulted from a shift in assimilate partitioning in favour of resumption of growth and formation of rhizomes and adventitious roots of the newly transplanted suckers. It is also possible that the alkaline loamy clay soil of the site of the experiment was deficient in organic matter and total nitrogen. On the other hand, the significant response to nitrogen in the first ratoon crop could be attributed to the well developed root system and consequently increased food reserves in established underground rhizomes.

It is evident from the data that the duration of the crop cycle of both the plant and the first ratoon banana crops was shortened with increases in nitrogen application. This result concurs with the findings of (Gropimany, *et al.*1979; Arunachalam, *et al.*1976; Oliveira, 1999; Singh and Suryanaryana, (1999); Kassem, *et al.*2001 Osman, *et al.*2004) who reported shorter crop cycle duration with N application. Purseglove, (1975) demonstrated that N affected banana crop cycle
through its effects on reproductive variables. Excessive application of N tends to delay shooting and fruit maturation (Arunachalam, *et al.* 1976; Singh and Suryanaryana, 1999; Osman, *et al.* 2004)

The beneficial effect of nitrogen on the duration of the crop cycle appears to be a result of the promotion of vigorous vegetative growth and production of a greater number of leaves The rate of leaf production was faster at the application of the highest nitrogen level than the other N levels. The formation of large number of leaves was evident five months from planting; which is in line with what was reported by Lahav and Israeli, (2000) that nitrogen application generally results in a prompt increase in number of leaves. The greater number of leaves formed by banana plants receiving the 350gN/mat banana plants at the early stages of vegetative growth resulted in the synthesis of more assimilates and consequently an earlier production of optimal food reserves for flowering and subsequent fruit formation and maturation. The results indicated that adequate N application tended to enhance early shooting, thus shortened the time required for fruit harvesting. The shortest number of days to shooting was obtained with bananas planted at the 350gN/mat treatment.

The differential responses to increases in N applications regarding yield and yield components of both the plant crop and first ratoon crop of banana reported herein are in accord with those reported by other researchers (Dawood, *et al.*1999; Shailendra, *et al.*1999; Attia, *et al.* 2001; Osman, *et al.*2004). The increased height and thickness of the pseudostem and the great number of leaves produced at the 350gN/mat treatment were considered the main causes for the significant high value in yield and yield components obtained. Banana plants receiving the lower N levels mostly produced fewer leaves which resulted in production of less assimilates. Increases in yield and yield components may, however, be ascribed to the increased weight of bunches, which was in itself a reflection of the positive effects of N application on weight of hands and fingers, number of hands per bunch, fingers per bunch and per hand corroborating earlier reports (Gropimany, *et al.* 1979; Oliveira, 1999; Attia, *et al.* 2001) that application of N resulted in

significant increases in bunch weight, number of hands per bunch, number of fingers per hand and total production per unit area. Supra optimal N rates, however, reduces bunch weight (Singh and Suryanaryana, 1999). The high yield and yield components of both the plant and the first ratoon crops reported in this study were a reflection of the substantial increase in mean bunch weight, number of hands per bunch, number of fingers per bunch and per hand and mean weight of fingers. Concurring with these results are those reported by others (Gropimany, *et al.* 1979; Srinivas, 1997; Oliveira, 1999) that N application results in substantial increase yield, yield components and potential yield in banana through its effects some vegetative and reproductive attributes. However, other research indicate that high N fertilization reduces yield and yield components (Gamaleldin, 1992; Dawood, *et al*. 1999; Singh and Suryanaryana, 1999).

Many trials have been conducted in Sudan (Gamaleldin, 1992; Dawood, *et al.*1999; Osman, *et al.* 2004) and elsewhere (Langenegger and Smith, 1988; Baruah and Mahanta, 1997; Srinivas, 1997; Singh and Suryanaryana, 1999; Attia, *et al.*2001) in order to quantify and establish guide lines for banana fertilization. This study does not provide an economic optimal rate of N fertilizer needed to maximize vegetative growth and yield of banana because the response to N fertilization in this study was linear. In order to be able to determine the economic optimum yield as related to rates of N fertilizer, more rates of N have to be tested until the relation between N rates and yield are curvilinear. The response of banana to N is a complex characteristic influenced by several factors including soil type, environmental conditions, and cultural practices under which the plants are grown in accordance with the contention of Clarkson and Hanson, (1980).

From the above discussion it could be concluded that banana plants responded to N application and this was expressed in stimulation of vegetative growth, hastening the rate of shooting and fruit maturation and increasing yields and yield components of both the plant crop and the first ratoon crop. Based on the results of this 2-year study, at least 350gN/mat is required for high potential yields for both the plant crop and the first ratoon crop.

REFERANCES

Adam, H. S. (2002). *Agricultural Climatology* (in Arabic). Second edition. University of Gezira Press, Wad Medani, Sudan, 119 p.

Arunachalam,T. B. ;Wary, R. and Mathukrishnan, C.R. (1976). Studies on nutrient concentration in leaf tissue and fruit yield of Cavendish clones. *Progressive Horticulture* 8, 21-26.

Attia, M. M. ; Kassem, H. A. and El-Shenawi, M. R. (2001). Effect of nitrogen fertilization on yield and fruit quality of Williams banana. *Alexandria Journal of Agricultural Research* 46, 91-98.

Baruah, K. and Mahanta, D. (1997). Standardization of optimum dose and time of nitrogen application in banana cv. "Barjahail"(*Musa* AAA) group. *Musarama* 10, 10-11.

Biely, M. T.; El-Fahal, A.; Minesy, F. A. and Abdulla, A. (1975). Banana trials in Northern Sudan. *Acta Horticulturae* 49, 275-280.

Butler, A. F. (1960). Fertilizer experiments with Gros Michel banana. *Tropical Agriculture.* (Trinidad) 39, 189-201.

Clarkson, D. T. and Hanson, J. B. (1980). The mineral nutrition of higher plants. *Annual Review of Plant Physiology* 31, 239-298.

Dawood, D. H.; Salih, A. A. and Ali, I.A. (1999). Response of "Dwarf Cavendish" banana to nitrogen fertilization on heavy clay soils. *Sudan Journal of Agricultural Research* 2, 89-92.

Dorel, M. and Perrier, X. (1990). The influence of the environment and cultural techniques on the productivity of banana plantation in Guadeloupe. *Fruits* 45, 237-244.

Eltahir, F. H. and El Amin, M. A. (1999). Response of banana suckers to foliar application of different fertilizers. *University of Khartoum Journal of Agricultural Sciences*7, 39-50.

Eltahir, F. H. and Hassan, Y. M. (1997). Response of banana plants to foliar application of potassium. *University of Khartoum Journal of Agricultural Sciences* 5, 93-105.

Eltahir, F. H. and Bakhiet, S. B. (1999). Effects of nitrogen and potassium on growth and yield of banana plants. *University of Khartoum Journal of Agricultural Sciences* 7, 26-38.

Gamaledin, A. (1992). Annual report. Gezira Research Station. Agricultural Research Corporation, Wad Medani, Sudan. Pp.237-238.

Gropimany, R.; Mary, K.C. and Kannan, K. (1979). Effect of top dressing with urea at flower initiation time in Zangibar variety of banana. *Journal of Agricultural Research,* Kerela 17, 293-295.

Kassem, H.A.; Attia, M.M. and El-Shenawi, M.R. (2001). Effect of nitrogen fertilization on vegetative growth of Williams banana. *Alexandria Journal of Agricultural Research* 46, 81-89.

Lahav, E. and Israeli, Y. (2000). Mineral Deficiencies of Banana, In: *Diseases of Banana, Abaca and Enset, pp.339-350.* Jones D. (ed.). CABI Publishing, Wallingford, Oxon, UK.

Langenegger, W. and Smith, B. I. (1988). Nitrogen requirement of banana in South Africa. *Fruits* 43, 639-643.

Mohamed, E. A. (1999). *Effect of Natural Amendment on Aggregate Stability and Water Flow in Different Soils.* M.Sc. (Agric) thesis. University of Khartoum, Faculty of Agriculture, Shambat, Sudan.

Morton, J. (1978). *Fruits of Warm Climates pp.29-46.* Miami, Florida, U.S.A.

Oliver, J. (1965). The climate of Khartoum Province. *Sudan Notes and Records* 46, 90-129.

Oliveira, A. G. (1999). Nitrogen and sulphur fertilization on banana. *Musarama* 12, 38-39.

Osman, M. S.; Elamin, O. M. and Elkashif, M. M. (2004). Response of banana "Williams Hybrid" to nitrogen, phosphorus and potassium fertilization. *Gezira Journal of Agricultural Science* 2, 186-196.

Purseglove, J.W. (1975). *Tropical Crops: Monocotyledon, pp.345-377.* Halsted Press, John Wiley and Sons, Inc., New York.

Robinson, J. C. (1995). Banana and plantain. In: *Bananas and Plantains, pp.15-62*. Gowen S. ed. Chapman and Hall.

Robinson, J. C. (1996). *Bananas and Plantains, pp 128-139.* Crop production Science in Horticulture 5, CAB, International, Wallingford, U.K.

Samson, J. A. (1989). *Tropical Fruits*, pp.139-189. Second edition. Tropical Agricultural Series. Longmans Scientific and Technical, London, U.K.

SAS (1990). *User's Guide Statistical Analysis System.* Sixth edition. SAS Institute Inc. Cary, North Carolina, U.S.A.

Shailendra, A.; Patel, P. K.; Pandy, S. D. and Igraval, S. (1999). Influence of higher levels of nitrogen and potassium on growth and yield potential *in vitro* banana (cv. Robusta). *Journal of Agricultural Science* 32, 275-280.

Singh, D. B. and Suryanaryana, M. A. (1999). Response of "Cavendish" banana to different nitrogen levels and their split applications. *Journal of Applied Horticulture,* Lucknow 1,122-124.

Srinivas, K. (1997). Growth yield and quality of banana in relation to N fertigation. *Tropical Agriculture* 74, 260-264.

Turner, D.W. (1970). The growth of the banana. *Journal of Australian Institute for Agricultural Science* 36, 102-110.

Warner, R. M.; Fox, R. L. and Prasamsook, S. (1976). Effect of nitrogen and climatic factors on seasonality of banana production in Hawaii. *Proceedings of International Plant Propagator's Society* 26, 38-47.

Table 1. Effects of nitrogen fertilization on pseudostem height, and diameter and number of leaves of the plant crop and first ratoon crop of the banana cv. "Dwarf Cavendish."

Nitrogen treatments (g N/mat)	Pseudostem height (cm)	Pseudostem diameter (cm)	Number of leaves
	Plant crop		
0	221.60[a]	51.10[a]	31.41[a]
250	225.30[a]	53.40[a]	32.80[a]
350	230.80[a]	55.61[a]	32.41[a]
	First ratoon crop		
0	193.60[c]	37.30[c]	33.30[c]
250	201.23[b]	46.04[b]	36.40[b]
350	220.83[a]	58.81[a]	40.21[a]

Means in columns followed by the same letter are not significantly different at P= 0.05, according to Duncan's multiple range test.

Table 2. Effect of nitrogen fertilization on number of days from planting to shooting and from shooting to harvesting of the plant crop and first ratoon crop of the banana cv. "Dwarf Cavendish."

Treatment	Planting crop.		First ratoon crop.	
(gm N/mat)	Shooting	Harvesting	Shooting	Harvesting
0	336[a]	123[a]	359[a]	112[a]
250	317[b]	110[b]	347[b]	106[b]
350	306[c]	100[c]	334[c]	94[c]

Means in columns followed by the same letter are not significantly different at P= 0.05, according to Duncan's multiple range test.

Table 3. Effect of nitrogen fertilization on yield and yield components of the plant crop and first ratoon crop of the banana cv."Dwarf Cavendish."

	Average weight of				Average number of			Potential yield (tons/fed.)
Treatment (gm N/mat)	Bunches (kg)	Stalks (kg)	Hands (kg)	Fingers (gm)	Hands / bunch	Fingers /bunch	Fingers / hand	
	Plant crop							
0	9.30[c]	0.73[c]	0.86[c]	83.64[c]	7.32[c]	116.37[c]	11.33[c]	6.28[c]
250	12.47[b]	0.95[b]	1.23[b]	90.92[b]	8.91[b]	130.86[b]	13.66[b]	7.74[b]
350	15.80[a]	1.18[a]	1.44[a]	97.76[a]	9.50[a]	145.78[a]	16.49[a]	9.79[a]
	First ratoon crop							
0	10.64[c]	0.93[c]	0.34[c]	86.13[c]	6.72[c]	119.67[c]	10.87[c]	6.37[c]
250	13.40[b]	1.03[b]	1.36[b]	93.35[b]	9.31[b]	133.80[b]	14.23[b]	8.98[b]
350	16.53[a]	1.25[a]	1.52[a]	100.76[a]	10.63[a]	149.54[a]	16.89[a]	11.73[a]

Means in columns followed by the same letter are not significantly different at P= 0.05, according to Duncan's multiple range test.